إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ الجَنْبِ وَالسَّاقِ



إِعْلَامُ الحُذَّاقِ

بِحَقِيْقَةِ الجَنْبِ وَالسَّاقِ

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ عَايِدْ المِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ الجَنْبِ وَالسَّاقِ

تَأْلِيْف : الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر عَلِي عَايِد المِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الطَّبْعَةُ الأُوْلَى : ٢٠٢٢م / جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيَّة () ، إبراهيم ، علي عايد

إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ الجَنْبِ وَالسَّاقِ / علي عايد إبراهيم - إربد ، المؤلف ،

() ص . ر.إ. : /// الواصفات : الله / الفتاوى/ الوهابية/ الفرق الإسلامية/ المذاهب الدينية/ أصول الفقه الإسلامي

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ، ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الرقم المعياري للكتاب (ردمك) () **ISBN**

۞ المُقَدِّمَة ۞

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**﴿آل عمران: ١٠٢﴾ ، وقال سبحانه : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**﴿النساء: ١﴾ ، وقال : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**﴿الأحزاب: ٧٠–٧١﴾ ، أمَّا بعد :

فقد اتَّفق جمهور أهل العلم على أنَّ جميع الظَّواهر الواردة في الكتاب والسُّنَّة التي يوهم ظاهرها المشابهة بين الله تعالى وبين وخلقه ليست على ظاهر معناها ، بل مفوَّضة أو متأوَّلة عند جميعهم ، لأنَّ الله منـزَّه عن مشابهة خلقه ، وكذا التَّحيُّز والجهات والحدود ... لأنَّها صفات الأجسام ...

فهو سبحانه لا يحويه مكان ، لا يُشبه خلقه بأي وجه من الوجوه ، ولا يوصف بالتَّغيُّر والانتقال ، وليس هو بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقرُّ ويتمكَّنُ فيه ...**﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**﴿الشورى:١١﴾ ... ومع هذا كلِّه نبتت نابتة من أبناء المسلمين وصفوا الله تعالى بالعديد من صفات الخلق ... مع أنَّ الكثيرين ممَّن يَسألون مثل هذه الأسئلة ويتكلَّمون فيها لو سُئلوا عن الكثير من مسائل الحيض والنُّفاس وغيرها ما استطاعوا أن ينبسُّوا ببنت شَفَه ...

وممَّا يدعو للاستهجان : أنَّ هؤلاء جعلوا من السَّلف الصَّالح شمَّاعة لهم ، علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان ، تلكمُ المصائب التي حادت بهم عن طريق تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، ذلكم التَّنزيه الذي كان عليه الصَّحابة ومن جاء بعدهم ممَّن تبعهم إلى يومنا هذا ، حيث فهموا من قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**﴿الشورى:١١﴾ ، وقوله عزَّ

وجلَّ: ﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثالَ﴾﴿النحل:٧٤﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾﴿مريم:٦٥﴾ ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾﴿الإخلاص:٤﴾ أنَّ الله لا يشبه شيئاً من خلقه بأيِّ وجه من الوجوه ...

فإنَّ ممَّا يؤسف له حقَّاً أنَّ من اعتنقوا تلك العقائد الباطلة ودعوا إليها استمرأوا إثبات أعضاء وجوارح وردت في بعض الآيات والأحاديث سمُّوها بالصِّفات ، كـ : اليد ، والكفِّ ، والأصابع ، والوجه ، والعين ، والسَّاق ، والقدم ، والرِّجل ، والجَنْب ، والحَقْو ، والجلوس ، والحركة ، والنُّزول ، والهبوط ، والهرولة ، والحدِّ ، والجهة ... حتى أكملوا ما يضاهي ويشابه صورة الإنسان التي لم يتورَّعوا ولم يتردَّدوا في وصف الله تعالى بها وبغيرها من صفات المُحدثات ... ولم ينظروا عند كلامهم في تلك الألفاظ إلى كون اللفظ الذي جاء في الآية أو الحديث خرج مخرج المجاز أم لا ... لأنَّ الشَّيخ ابن تيمية – معتمدهم في هذه المسألة – أنكر المجاز في القرآن الكريم والحديث الشَّريف ... وهذا هو السَّبب الذي جعلهم يَلِجُوْنَ بابَ التَّشبيه والتَّجسيم من أوسع أبوابه ، والعياذ بالله تعالى ...

والطَّامَّة الكبرى في هذا الباب أنَّهم سمّوا بعض ما اعتقدوا بـ " توحيد الأسماء والصِّفات " !!! بمعنى أنَّهم حكموا على من خالفهم فيما يعتقدون بالكفر والزَّندقة والخروج من ربقة الدِّين لأنَّه لم يوحِّد الله تعالى بذلك التَّوحيد ، وهو أمرٌ لم يُسبقوا إليه ... حيث أنَّ مُخترع هذا التَّوحيد هو ابن تيمية الذي لا يحيْدون عن أقواله قيْد أنمُلَة ... وهو أمرٌ أدَّى للأسف إلى التَّنازع والتَّناحر والتَّشرذم بين أبناء الأمَّة الواحدة ... وهو مفتاح التَّبديع والتَّكفير الذي انتشر شررُه وخطرُه بين أبناء الأمَّة ... حيث كفَّر الوهَّابيَّةُ عموم الأمَّة المحمَّديَّة ...

وقد برهنَّا على ذلك في كتابنا : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّةِ لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ الُمحَمَّدِيَّة " ... وهو كتاب يقع في (٦٨٧) صفحة من القطع الكبير ...فابن تيمية بتقسيمه التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام فتح باباً للشَّرِّ مستطيراً ، وهذا مصداق ما قاله الإمام محمَّد زاهد الكوثري في كتابه الرَّائع : " الإشفاق على أحكام الطَّلاق " ، فقد قال : "ولو قلنا لم يبلَ الإسلام في الأدوار الأخيرة بِمَنْ هو أضرُّ من ابن تيمية في

تفريق كلمة المسلمين لما كنَّا مبالغين في ذلك ، وهو سَهلٌ متسامحٌ مع اليهود يقول عن كتبهم : إنَّها لم تحرَّف تحريفًا لفظيًا " . انظر : الإشفاق على أحكام الطلاق (ص٦٧) ، وانظر كلام ابن تيمية في أنَّ كتب أهل الكتاب لم تحرَّف ألفاظها وإنَّما حرِّفت معانيها في : مجموع الفتاوى (١٣/ ١٠٤). وهذه طامَّة كبرى ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ ما ذكره البعض من عقائد نسبها للسَّلف الصَّالح ، كقولهم : يدٌ لا كالأيدي ... فقد وضَّح ذلك وأجاب عنه العلَّامة الشَّيخ سلامة هندي القضاعي العزَّامي الشَّافعي (١٣٧٩هـ) ، فقال: «إذا سمعت في بعض عبارات بعض السَّلف: إنَّما نؤمن بأنَّ له وجهاً لا كالوجوه، ويداً لا كالأيدي، فلا تظنّ أنَّهم أرادوا أنَّ ذاته العليَّة منقسمة إلى أجزاء وأبعاض، فجزء منها يد وجزء منها وجه، غير أنَّه لا يشابه الأيدي والوجوه الّتي للخلق .

حاشاهم من ذلك، وما هذا إلاّ التَّشبيه بعينه، وإنَّما أرادوا بذلك أنَّ لفظ الوجه واليد قد استعمل في معنى من المعاني وصفة من الصِّفات الّتي تليق بالذَّات العليَّة، كالعظمة والقدرة، غير أنَّهم يتورَّعون عن تعيين تلك الصِّفة تهيُّباً من التَّهجُّم على ذلك المقام الأقدس، وانتهز المجسِّمة والمشبِّهة مثل هذه العبارة فغرُّوا بها العوام، وخدعوا بها الأغمار من النَّاس، وحملوها على الأجزاء فوقعوا في حقيقة التَّجسيم والتَّشبيه، وتبرَّأوا من اسمه، وليس يخفى نقدهم المزيَّف على صيارفة العلماء وجهابذة الحكماء " . انظر : فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص٧٠-٧١) .

إنَّ من يدرس عقائد هؤلاء الرعاع يجد أنَّ عندهم هوسٌ وولعٌ شديد في إثبات ما يظنُّونه صفات لله جلَّ جلاله ... ولا أدلَّ على ذلك أكبر ممَّا هو مسجَّل على الشَّريط السَّابع من شرح الواسطيَّة للشَّيخ صالح بن فوزان الفوزان ، فقد جاء فيه : "فضيلة الشَّيخ وفَّقكم الله : هل يُؤخذ من قوله ﷺ أو هل يُؤخذ من هذا الحديث القدسي ، وهو قوله سبحانه وتعالى :"العظمة إزاري والكبرياء ردائي" هل يُؤخذ منهما إثبات هاتين الصِّفتين ؟!!

الشَّيخ الفوزان : بلا شكٍّ ، نعم ، إثبات أنَّهما كما وردا : إزاره ورداؤه !!!" . فيا للعجب ...

وعلى كلِّ حال فمن حمل الألفاظ المتشابهة كـ : الجَنْب ، والسَّاق ، والوجه ، واليد ، والعين ، والسَّاعد ،والأصابع ، والقَدَم ، والحَقْو ، والإتيان ، والمجيء ، والنُّزول ، والجلوس ، والقعود ، والضَّحك ، والعجب ، والكنف ، والمكر ، والخداع ، والغَيْرة ... على ظاهر معناها فقد خالف السَّلف والخلف، وأتى بما لم يقله المُنزِّهون ، فليس في هذه المسألة إلَّا تفويض الكيْف والمعنى أو التَّأويل ... فلماذا السَّعي الحثيث لتفريق الأمَّة من خلال الإصرار على تحريم وتجريم التَّأويل مطلقاً مع الزَّعم بأنَّ السَّلف لم يؤوِّلوا البتَّة ، ورمي المؤوِّلة بالتَّجهُّم والتَّعطيل ؟!!!...

مع أنَّ التَّأويل التَّفصيلي ثبت عن بعض السَّلف الصَّالح ، وقد ذكرنا ذلك موسَّعاً في كتابنا : إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأوِيْلَاتِ السَّلَف " ، وكتابنا : " إِعْلَامُ الطَّغَامِ بِأَنَّ التَّأوِيْلَ مِنْ دِيْنِ الإِسْلَام" .

فالله تعالى لا تجوز بحقِّه الكيفيَّة والأينيَّة، فلا يقال لمن لا شبيه له ولا مِثال : كيف هو ؟ كما لا يقال لمن هو غنيٌّ عن المكان : أين هو ؟

فالمطلوب من المكلَّفين نفي الكيفيَّة والأينيَّة عنه البتّة سبحانه وتعالى. فإذا مررنا بآيات الاستواء – مثلاً – يجب علينا بداية أن نُبادر إلى تنزيه الله تعالى عن كلِّ معنى من المعاني التي تجوز على البشر ، كالجلوس أو القعود ... أو غيرها من الكيفيَّات والتَّخييلات والتَّشكيلات التي لا تليق إلَّا بالأجسام كالتَّحيُّز والمماسَّة والافتقار إلى الأماكن، لأنَّ ذلك ينتهي إلى التَّجسيم ...

ولقد أبدع الإمام الشَّافعي رحمه الله عندما قال : " من انتهض لمعرفة مدبِّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبِّه، وإن اطمأنَّ إلى العدم الصِّرف فهو معطِّل، وإن اطمأنَّ لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد" ...

ولأجل مناقشة مسألتي " السَّاق والجَنْب " الواردتين في الكِتَاب والسُّنَّة من جميع جوانبهما ، جاء هذا الكتاب الذي اشتمل على مُقَدِّمَةُ ، وَفَصْلَين ، كُلُّ فصلٍ تضمَّن ثلاثة مباحث ، وهي :

المُقَدِّمَةُ : ...

الفَصْلُ الأَوَّلُ : إِعْلَامُ المُشْتَاق بِحَقِيْقَةِ السَّاق.

المَبْحَثُ الأوَّل : الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدَةُ فِي السَّاق وَتَأوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَهَا .

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي السَّاقِ الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : عَقِيْدَةُ المُتَسَلِّفَة فِي السَّاق .

الفَصْلُ الثَّانِي : حَقِيْقَةُ الجَنْبِ المُضَاف إِلَى الله تَعَالَى .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدة فِي الجَنْب وَتَأوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَه .

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي الجَنْبِ الوَارِد الكِتَابِ وَالسُّنَّة

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : عَقِيْدَةُ بَعْضِ المُتَسَلِّفَةُ فِي الجَنْبِ .

والله تعالى أسأل أن يرزقنا سُبُل الهُدى ، وأن يُجنِّبنا موارد الهوى والرَّدى ، وسُبُل الغواية والعَمى ، ونسأله تعالى أن يعلِّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يزيدنا علماً ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، في السرِّ والعَلن ، إنَّه أهل ذلك والقادرُ عليه ...

وَسُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ ،

وَالحَمْـــــــدُ لله رَبِّ

العَالَمِيْن

الفَصْلُ الأَوَّلُ

✿✿✿ إِعْلَامُ الْمُشْتَاق بِحَقِيْقَةِ السَّاق ✿✿✿

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدَةُ فِي السَّاق وَتَأْوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَهَا .

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي السَّاقِ الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : عَقِيْدَةُ الْمُتَسَلِّفَةُ فِي السَّاقِ وَمُنَاقَشَتُهَا .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدَةُ فِي السَّاق وَتَأْوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَهَا

ورد لفظ السَّاق في القرآن الكريم مجرَّداً عن الإضافة منكَّراً للتَّهويل أو للتَّعظيم ، وقد ثبت عن ابن عبَّاس أنَّه قال في معنى السَّاق : أنَّه يَوْم يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَأَهوَالِ يَوْم القِيَامَة ، وذلك معروف في كلام العرب ، ويجوز أن يكون المعنى: يوم يكْشفُ النَّاس عن سوقهم لشدَّة ما هم فيه ... وتأويل السَّاق ثابتٌ عن حَبْر الأمَّة وتُرجمان القرآن ، وكذا عن غيره من السَّلف الصَّالح ...

ومن المعلوم أنَّ لفظ السَّاق لم يأت في القرآن إلَّا ثلاث مرَّات ... قال تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُوْنَ﴾**﴿القلم:٤٢﴾ ، وهذه الآية الكريمة هي مجال دراستنا في هذا الكتاب ...

وقال تعالى : **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾**﴿القيامة:٢٩-٣٠﴾ ، قال الشَّريف الرَّضي في "تلخيص البيان في مجازات القرآن"(٢/ ٣٥٦) : "وهذه استعارة على أكثر الأقوال. والمراد بها – واللهّ أعلم – صفة الشّدَّتين المجتمعتين على المرء من فراق الدُّنيا ، ولقاء أسباب الآخرة. وقد ذكرنا فيما تقدَّم مذهب العرب في العبارة عن الأمر الشَّديد ، والخطب الفظيع ، بذكر الكشف عن السَّاق ، والقيام عن ساق" .

وقال الثَّعلبي في"الكشف والبيان عن تفسير القرآن"(١٠/ ٩٠):"قال الرَّبيع بن أنس: الدُّنيا بالآخرة، وهي رواية أبي الجوزاء وعطيَّة عن ابن عبَّاس، ورواية عوف ومنصور عن الحسن، وروى الوالي وباذان عن ابن عبَّاس ، قال: أمر الدُّنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من أيَّام الدُّنيا، وأوَّل يوم من أيَّام الآخرة، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال: إسماعيل ابن أبي خالد: عمل الدُّنيا بعمل الآخرة، وقال الضَّحَّاك: النَّاس يجهِّزون جسده والملائكة يجهِّزون روحه، وروى سفيان عن رجل عن الحسن عن مجاهد قالا: اجتمع فيه الحياة والموت ... " .

وقال الواحدي النَّيسابوري في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد "(٤/ ٣٩٥) :"قال عطاء: شدَّة الموت بشدَّة الآخرة. وقال المفسِّرون: تتابعت عليه الشَّدائد" .

وقال البغوي في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن"(٥/ ١٨٦):" قَالَ قَتَادَةُ : الشِّدَّةُ بالشدَّة. قال عَطَاءٌ: شِدَّةُ الْمَوْتِ بِشِدَّةِ الْآخِرَةِ، قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَا يَخْرُجُ مِنْ كَرْبٍ إِلَّا جَاءَهُ أَشَدُّ مِنْهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمْرُ الدُّنْيَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، فَكَانَ فِي آخر يوم من أَيَّام الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اجْتَمَعَ فِيهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: النَّاس يُجَهِّزُونَ جَسَدَهُ وَالْمَلَائِكَةُ يُجَهِّزُونَ رُوحَهُ ... ".

وقال ابن عطيَّة الأندلسي في "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"(٥/ ٤٠٦) :"واختلف في معنى قوله : **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ، فقال ابن عبَّاس والحسن والرَّبيع بن أنس وإسماعيل بن أبي خالد : هذه استعارة لشدَّة كرب الدُّنيا في آخر يوم منها ، وشدَّة كرب الآخرة في أوَّل يوم منها ، لأنَّه بين الحالين قد اختلطا له، وهذا كما تقول : شمَّرت الحرب عن ساق، وعلى بعض التَّأويلات في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ " ...

وأمَّا الأحاديث الواردة في السَّاق فكثيرة ، من أشهرها :

قال البخاري في "الصَّحيح" (٦/ ١٥٩ برقم ٤٩١٩) : "حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» .

والحديث أضاف السَّاق لله تعالى ، وقد تكلَّم عليه أهل العلم ... والكلام عليه ينتظم في النِّقاط التَّالية :

أَوَّلًا : قال البغوي في "شرح السُّنَّة"(١٥/ ١٤٢) : " قَوْله: «يكْشف رَبُّنَا عَنْ سَاقه» ، قَالَ الْخَطَّابِيّ: هَذَا مِمَّا تهيب القَوْل فِيهِ شُيُوخنَا، وأجروه عَلَى ظَاهر لَفظه، وَلَمْ يكشفوا عَنْ بَاطِن مَعْنَاهُ عَلَى نَحْو

مَذْهَبهم فِي التَّوَقُّف فِي تَفْسِير كُلّ مَا لَا يُحِيط الْعلم بكنهه من هَذَا الْبَاب، وَقَدْ تَأَوَّلَه بَعْضهم عَلَى معنى قَوْله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿الْقَلَم: ٤٢﴾ ، فَروِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: عَنْ شدَّة وكرب، وَسُئِلَ عِكْرِمَةَ عَنْ قَوْله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿الْقَلَم: ٤٢﴾ ، قَالَ: إِذَا اشْتَدَّ الْأَمر فِي الْحَرْب، قِيلَ: كشفت الْحَرْب عَنِ السَّاق" .

وقال ابن فورك في " مشكل الحديث وبيانه"(ص٤٤٢) : "وَاعلم أَنَّ هَذَا الْخَبَر مِمَّا تقدم الْبَيَان فِي تَأْوِيله ، وأوضحنا أَنَّه لَا يجوز أَن يُقَال : لله سَاق أَو يكْشفُ عَن سَاقه من قبل أَنَّ الْأَلْفَاظ المرويَّة فِي الْأَخْبَار وَمَا ورد فِي الْقُرْآن الْكَرِيم من ذَلِك قَوْله : ﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾﴿الحاقة آ: ٤٢﴾ ، فَإِنَّمَا ورد مُطلقًا غير مُضَاف وَلَا مُقَيّد .

وَقد رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس تَأْوِيل ذَلِك ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ : يَوْم يُكْشَفُ عَن شدَّة ، وَأَنَّ ذَلِك كَلَام الْعَرَب ، لأَنَّهم يَقُولُونَ : قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ ، أَي : على شدَّة .

وروى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ عَن النَّبِي ﷺ فِي قَوْله : ﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾ ، قَالَ عَن نور عَظِيم ، وَورد لفظ النُّور مُطلقًا أَيْضاً غير مُضَاف إِلَى الله جلَّ ذكره ، فَيحْتَمل أَن يكون الْمَعْنى فِي ذَلِك مَا يَتَجَدَّد لَهُم عِنْد رُؤْيَة الله عزَّ وَجلَّ من الْفَوَائِد والمكاشفات والألطاف الَّتِي تظهر لسرائرهم" .

ثَانِياً : أنَّ بعض أهل العلم حكموا على الإضافة بأنَّها مُنْكَرة ... قال الإمام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"(٨/ ٦٦٤) :" وَوَقَعَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : " يكْشفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ" ، وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، فَأَخْرَجَهَا الْإِسْمَاعِيلِيُّ كَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ فِي قَوْلِهِ : "عَنْ سَاقِهِ" : نَكِرَةٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ بِلَفْظ : "يُكْشَفُ عَن سَاق" ، قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : هَذِهِ أَصَحُّ لِمُوَافَقَتِهَا لَفْظَ الْقُرْآنِ فِي الْجُمْلَةِ لَا يُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ ذُو أَعْضَاءٍ وَجَوَارِحٍ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء".

وقال الإمام علي بن سلطان القارّي(١٠١٤هـ) في"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح "(٨/ ٣٥٢٠) : "وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى يكْشفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ شِدَّةٍ يَرْتَفِعُ دُونَهَا سَوَاتِرُ الِامْتِحَانِ ؛ فَيَتَمَيَّزُ

أَهْلُ الْإِخْلَاصِ وَالْإِيقَانِ بِالسُّجُودِ، عَنْ أَهْلِ الرَّيْبِ وَالنِّفَاقِ فِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾**﴿القلم: ٤٢ - ٤٣﴾ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَأَخْرَجَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ الْحَدِيثَ بِلَفْظِ: يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ. قَالَ: وَهَذَا أَصَحُّ لِمُوَافَقَةِ لَفْظِ الْقُرْآنِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ".

ثَالِثاً : أنَّ الحديث حديث آحاد ، وأخبار الآحاد ليست حجَّة في العقيدة ، على ما ذهب إليه جمهور الأصوليين ، منهم: الباقلَّاني ، الخطيب البغدادي ، ابن فورك ، الغزالي ، القاضي عبد الجبَّار ، الرَّازي ، البيهقي ، الكرماني ، القاسمي ، النَّووي ، الكاساني ، ابن عبد البر ، عبد القاهر البغدادي ، وغيرهم كثير . انظر : الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) ، المستصفى (١/ ١٤٢) ، شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٥١) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، الإحكام ، الآمدي (٢/ ٣٢ فما بعدها) ، شرح العضد على ابن الحاجب (٢/ ٥٦) ، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (١/ ٢٣) ، (٢/ ٣٧٥) ، أساس التقديس (ص١٩٢) ، الأسماء والصفات (ص٤٥٠) ...

ونسبهُ جماعة إلى الأكثر من أهل الأصول . انظر : المعتمد في أصول الفقه ، (٢/ ٥٥٦) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ...

كما نسبه ابن حزم إلى الحنفيَّة والشَّافعيَّة وجمهور المالكيَّة ، وإلى جميع المعتزلة . انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٧) ، إرشاد الفحول (ص٤٨) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٧-٢٤٨) ...

وقد ناقشنا هذه المسألة باستفاضة في كتابنا : "الإِمْدَادُ وَالإِسْعَادُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِالآحَادِ فِي الاعْتِقَاد" ، وهو كتابٌ مطبوع منشور ، وفيه ذكرنا أنَّ جمهور أهل العلم نصُّوا في كُتُبهم على أنَّ خبر الآحاد يفيد الظَّنَّ ولا يفيد العلم ، وممَّن نقلنا أقوالهم في الكتاب المذكور :

الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) ، الإمام أحمد بن علي أبو بكر الرَّازي الجصَّاص الحنفي (٣٧٠هـ) ، الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) ، الإمام أبو سليمان حمد بن محمَّد الخطَّابي (٣٨٨هـ) ، الإمام محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلَّاني المالكي (٤٠٣هـ) ،

الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (٤٠٦هـ) ، الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمَّد البغدادي الاسفرائنيي التَّميمي (٤٢٩هـ) ، الإمام محمَّد بن علي الطيِّب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (٤٣٦هـ) ، الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) ، الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) ، الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، الإمام القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) ، الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) ، الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (٤٧٤هـ) ، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، الإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمَّد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدِّين ، الملقَّب بإمام الحرمين (٤٧٨هـ) ، الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن الحسين بن عبد الكريم ، فخر الإسلام البزدوي (٤٨٢هـ) ، الإمام محمَّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمَّة السَّرخسي (٤٨٣هـ) ، الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثُمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) ، الإمام علي بن محمَّد بن علي، أبو الحسن الطَّبري، الملقَّب بعماد الدِّين، المعروف بالكيا الهراسي الشَّافعي (٥٠٤هـ) ، الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) ، الإمام محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (٥١٠هـ) ، الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمَّد بن برهان (٥١٨هـ) ، الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (٥٣٦هـ) ، الإمام علاء الدِّين شمس النَّظر أبو بكر محمَّد بن أحمد السَّمرقندي (٥٣٩هـ) ، الإمام علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (٥٤٣هـ) ، الإمام القاضي محمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي(٥٤٣هـ) ، الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون

اليحصبي السّبتي (٥٤٤هـ) ، الإمام العلاء محمَّد بن عبد الحميد الأسمندي (٥٥٢هـ) ، الإمام علاء الدِّين ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (٥٨٧هـ) ، الإمام أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي الشَّهير بابن رشد الحفيد (٥٩٥هـ) ، الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الريّ (٦٠٦هـ) ، الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) ، الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثُمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، الإمام أحمد بن محمَّد بن أحمد المظفَّر ابن المختار، أبو العبَّاس بدر الدِّين الرَّازيّ الحنفي (٦٣٠هـ) ، الإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدّويني الأسنائي الشَّهير بـ ابن الحاجب (٦٤٦هـ) ، الإمام مجد الدِّين عبد السَّلام بن تيمية (٦٥٢هـ) ، الإمام أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (٦٥٦هـ) ، الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي (٦٨١هـ) ، الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقُرافي (٦٨٤هـ) ، الإمام سراج الدِّين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي (٦٨٢هـ) ، الإمام أبو الحسن علاء الدِّين علي بن أبي الحزم الخالدي المخزومي القرشي الدِّمشقي الملقَّب بابن النَّفيس (٦٨٧هـ) ، الإمام تقي الدِّين أبو الفتح محمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، الإمام صفي الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحيم الأرموي الهندي (٧١٥هـ) ، الإمام سليمان بن عبد القوي الطُّوفي الحنبلي (٧١٦هـ) ، الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) ، الإمام عبد العزيز بن أحمد بن محمَّد ، علاء الدِّين البخاري الحنفي (٧٣٠هـ) ، الإمام أبو عبد الله، محمَّد بن إبراهيم بن سعد الله

بن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي ، الإمام عبد المؤمن بن عبد الحقّ، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدِّين (٧٣٩هـ) ، الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤٠هـ) ، الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، الإمام صلاح الدِّين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدِّمشقي العلائي (٧٦١هـ) ، الإمام محمَّد بن عبد الله الشِّبلي الدِّمشقيّ الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدِّين ابن تقي الدِّين (٧٦٩هـ) ، الإمام عبد الرَّحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشَّافعيّ (٧٧٢هـ) ، الإمام تقيُّ الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي (٧٥٦هـ) وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب (٧٧١هـ) ، الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) ، الإمام إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخمي الغرناطي الشَّهير بالشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، الإمام سعد الدِّين مسعود بن عمر التَّفتازاني (٧٩٣هـ) ، الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) ، الإمام أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، الإمام علي بن محمَّد بن علي الزِّين الشَّريف الجرجاني (٨١٦هـ) ، الإمام محمَّد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشَّافعي المشهور بـ «ابن نور الدِّين» (٨٢٥هـ) ، الإمام ولي الدِّين أبي زرعة أحمد بن عبد الرَّحيم العراقي (٨٢٦هـ) ، الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) ، الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، الإمام جلال الدِّين محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن إبراهيم المحلي الشَّافعي (٨٦٤هـ) ، الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عثمان بن علي المارديني الشَّافعي (٨٧١هـ) ، الإمام أبو بكر محمَّد بن محمَّد بن عاصم الغرناطي (٨٢٩هـ) ، الإمام أبو عبد الله، شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (٨٧٩هـ) ، الإمام

محمَّد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرُّومي الحنفي محيي الدِّين، أبو عبد الله الكافِيَجي (٨٧٩هـ) ، الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، الإمام يوسف بن حسين الكراماستي (٩٠٦هـ) ، الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) ، الإمام زين الدِّين أبي يحيى زكريَّا بن محمَّد بن زكريَّا الأنصاري السّنيكي (٩٢٦هـ) ، الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، الإمام محمَّد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التَّاذفي ، الحنفي رضي الدِّين المعروف بـ ابن الحنبلي (٩٧١هـ) ، الإمام محمَّد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (٩٧٢هـ) ، الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام (٩٧٤هـ) ، الإمام علي بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثُمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، الإمام أيُّوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ) ، الإمام محبّ الله بن عبدالشَّكور الهندي البهاري (١١١٩هـ) ، الإمام محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، الإمام أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنًّا، شهاب الدِّين النّفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) ، الإمام إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، قال الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدِّين السِّندي (١١٣٨هـ) ، الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني الصَّنعاني (١١٨٢هـ) ، الإمام محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) ، الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، الإمام حسن بن محمَّد بن محمود العطَّار الشَّافعي (١٢٥٠هـ) ، الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) ، الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي(١٣٠٧هـ) ، الامام محمَّد عبده حسن خير الله

(١٩٠٥م) ، الإمام محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلَّاق القاسمي (١٣٣٢هـ) ، الإمام محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمَّد شمس الدِّين بن محمَّد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (١٣٥٤هـ) ، الإمام حسن بن عمر بن عبد الله السّيناوني المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ) ، الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) ، الإمام محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (١٣٦٧هـ) ، الإمام أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) ، الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الواحد خلَّاف (١٣٧٥هـ) ، الإمام عبد الوهَّاب النَّجَّار (١٩٤١م) ، الإمام محمود شلتوت (١٣٨٣هـ) ، الإمام مصطفى بن حسني السِّباعي (١٣٨٤هـ) ، الإمام الشَّهيد سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاربي (١٩٦٦هـ) ، الإمام محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) ، الإمام ظفر أحمد بن لطيف أحمد عثماني التَّهانوي (١٩٧٤م) ، الإمام محمَّد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (١٩٧٤م) ، الإمام محمَّد الغزالي المصري (١٩٩٦م) ، الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) ، الأستاذ حسن محمَّد أيُّوب (٢٠٠٨م) ، الإمام عبد الكريم بن علي بن محمَّد النّملة (١٤٣٥هـ) ، الأستاذ الدُّكتور وهبه الزّحيلي (١٤٣٦هـ) ، الأستاذ الدُّكتور محمَّد مصطفى الزّحيلي ، الإمام محمَّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشَّافعي ، الأستاذ محمَّد صدقي بن أحمد بن محمَّد آل بورنو أبو الحارث الغزّي ، الأستاذ أحمد بن عبد الله بن حميد ...

رَابِعَاً : قال الإمام محمَّد الخضر الجكيني الشَّنقيطي(١٢٥٤هـ) في "استحالة المعيَّة بالذَّات وما يضاهيها من متشابه الصِّفات"(ص١٧٥) : "قلت : أخرج البخاري حديث الشَّفاعة بطوله في الرِّقاق عن أبي هريرة ، ولم يذكر فيه الكشف عن السَّاق أصلاً ، وأنكر سعيد بن جبير إضافة السَّاق إليه تعالى فيما أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عنه أنَّه سُئلَ عن الآية فغضب غضباً شديداً ، وقال : أنَّ أقواماً يزعمون أنَّ الله تعالى يكشف عن ساقه ، وإنَّما يكشف عن الأمر الشَّديد" .

خَامِسَاً : أنَّ الكثير من السَّلف الصَّالح أوَّلوا السَّاق بأنَّ الله تعالى يَبْدُو عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ عظيم ...وهذا هو المروي عن ابن عبَّاس ...وهو أمر معروف ومشهور في كلام العرب ، وامتلأت به دواوينهم ... وبالإضافة للتَّأويلات السَّلفيَّة التي أوردناها في هذا المبحث، فقد ذكرنا في المبحث الثَّاني من هذا الفصل العديد من تأويلات السَّلف للسَّاق الواردة في الآية الكريمة ...

سَادِسَاً : أنَّ تأويل ابن عبَّاس للسَّاق الوارد في الآية بالكَرْبِ وَالشِدَّةِ تأويلٌ صحيح ، رواه جمعٌ من أهل العلم ، منهم : الطَّبري في التَّفسير (٢٣/ ١٨٧) ، الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٢ برقم ٣٨٤٥) ، البيهقي في الأسماء والصِّفات(٢/ ١٨٣ – ١٨٥برقم ٧٤٦) ، وغيرهم كثير ...

سَابِعَاً : وحتَّى لو سلَّمنا بصحَّة إضافة السَّاق لله تعالى ... فلا ضير في ذلك ... فالله تعالى هو ربّ كلّ شيءٍ ومليكه، وهو سبحانه المُتصرِّف، والمُصرِّف لكلِّ شيء في الوجود ، وهو المتفرِّد بالقوَّة والقدرة والتَّدبير، وهو سبحانه شديد العذاب ... فكشف الله تعالى عن ساقه كشفٌ عن قدرته التي تنكشف عند الشِّدَّة ، فالله تعالى يكْشفُ عن العظيم من أمره ، وقيل : يكْشفُ عن نوره ، أو عن ساق جهنَّم ... أو أن يكون الكشف بمعنى الإزالة ، أي : يزيل ويرفع ما وقع بالخلق من الشِّدَّة ...أو أنَّ المعنى من الإضافة هنا هو : أذكر يا محمَّد وذكِّر قومك بذلك اليوم العصيب الرَّهيب الذي يُكْشَفُ فيه عن أمر فظيع شديد في غاية الهول والشِّدَّة ... وليأتوا بهؤلاء الشُّركاء ليعاونوهم إذا اشتدَّ الهول وعظم الأمر وادلهمَّت الخُطوب ...فهو استعارة عن شدَّة الأمر ، وأنَّ الأمر يستدعي الجدّ والتَّشمير عن السُّوق ، لأنَّ العرب كانوا إذا وقعوا في أمر عظيم شمَّر الواحد منهم عن ساقه، فاستُعيرت السَّاق في موضع الشدَّة ، كما أنَّ النِّساء كنَّ إذا فوجئن بالغارة شَمَّرن عن سوقهنَّ وهربن...

مع التَّأكيد على أنَّ اللهَ تعالى منزَّه عن التَّبعيض والأعضاء ، أو أن ينكشف أو يتغطَّى ...

فالأمر واقع بين أمرين : إمَّا أن نجري لفظ السَّاق على ظاهر لفظه مع تفويض المعنى إلى الله تعالى أو تأويله بما يتوافق مع القواطع العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة ...

ثَامِناً : من المعلوم لدى الدَّارسين أنَّ أغلب الأحاديث رويت بالمعنى الذي قاله رسول الله ﷺ ، ولم تروَ بنفس اللفظ الذي تلفَّظ به رسول الله ﷺ ...ولا شكَّ في أنَّ هذا الحديث مرويٌّ بالمعنى ، شأنه في ذلك شأن أغلب الأحاديث ... وفي كتابه " الكفاية في علم الرِّواية " أفاض الخطيب البغدادي في الكلام على رواية الحديث بالمعنى ... وفتح باباً سمَّاه : " بَابُ ذِكْرِ مَنْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى إِجَازَةِ الرِّوَايَةِ عَلَى الْمَعْنَى مِنَ السَّلَفِ ، وَسِيَاقِ بَعْضِ أَخْبَارِهِمْ فِي ذَلِكَ " ، قال فيه : " أَخْبَرَنِي أَبُو محمَّد عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ الصَّيْرَفِيُّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ محمَّد بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَهْمِ الْكَاتِبُ، أنا محمَّد بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِيُّ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْفِلَسْطِينِيُّ، أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أُكَيْمَةَ اللَّيْثِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: قُلْنَا لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ : بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّا لَنَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَلَا نَقْدِرُ عَلَى تَأْدِيَتِهِ كَمَا سَمِعْنَاهُ قَالَ: " إِذَا لَمْ تُحِلُّوا حَرَامًا وَلَا تُحَرِّمُوا حَلَالًا فَلَا بَأْسَ" .

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الطَّنَاجِيرِيُّ، أنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الْوَاعِظُ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، ثنا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: حَدِّثْنَا بِحَدِيثِ أَبِي الزَّعْرَاءِ كَمَا سَمِعْتَ ، قَالَ: " يَا سُبْحَانَ اللهَّ ، وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ ، إِنَّمَا نَجِيئُكُمْ بِالْمَعْنَى" .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقُرَشِيُّ ، بِأَصْبَهَانَ، أنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، ثنا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَزْدِيُّ، ثنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ محمَّد بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى النَّاقِدُ ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ محمَّد الْفِرْيَابِيُّ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا مَعْنٌ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، قَالَ دَخَلْنَا عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا الْأَسْقَعِ ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، لَيْسَ فِيهِ وَهْمٌ وَلَا نِسْيَانٌ ، فَقَالَ ، هَلْ قَرَأَ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: فَهَلْ زِدْتُمْ أَلِفًا أَوْ وَاوًا أَوْ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: إِنَّا لَنَزِيدُ وَنَنْقُصُ ، وَمَا نَحْنُ

بِأُولَئِكَ فِي الْحِفْظِ؟ فَقَالَ: فَهَذَا الْقُرْآنُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْرُسُونَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَكَيْفَ وَنَحْنُ نُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ سَمِعْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ" .

أَخْبَرَنَا الْبَرْقَانِيُّ، أنا ابْنُ خَمِيرَوَيْهِ الْهَرَوِيُّ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِدْرِيسَ، ثنا ابْنُ عَمَّارٍ، ثنا الْمُعَافَى ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، قَالَ: " إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَدِّثَكُمُ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعْنَاهُ ، وَلَكِنْ عَمُــودُهُ ، وَنَحْوُهُ" .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقُرَشِيُّ ، بِأَصْبَهَانَ، أنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، ثنا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَزْدِيُّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى النَّاقِدُ ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا مَعْنٌ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، قَالَ دَخَلْنَا عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا الْأَسْقَعِ ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ فِيهِ وَهْمٌ وَلَا نِسْيَانٌ ، فَقَالَ ، هَلْ قَرَأَ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: فَهَلْ زِدْتُمْ أَلِفًا أَوْ وَاوًا أَوْ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: إِنَّا لَنَزِيدُ وَنَنْقُصُ ، وَمَا نَحْنُ بِأُولَئِكَ فِي الْحِفْظِ؟ فَقَالَ: فَهَذَا الْقُرْآنُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْرُسُونَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَكَيْفَ وَنَحْنُ نُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ سَمِعْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ".

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعَدِّلُ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّاقِدُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا جَعْفَرٌ الْفِرْيَابِيُّ، ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا مَعْنٌ ، ح وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْفَتْحِ، أنا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِئُ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو خَيْثَمَةَ، ثنا مَعْنُ بْنُ عِيسَى ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ، قَالَ: " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ – وَقَالَ قُتَيْبَةُ: إِذَا جِئْنَاكُمْ – بِالْحَدِيثِ عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ" .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ، ثنا عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ، ثنا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، عَنْ جَدِّهِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا بُنَيَّ: «إِنَّهُ يَبْلُغُنِي أَنَّكَ تَكْتُبُ عَنِّي الْحَدِيثَ ثُمَّ تَعُودُ فَتَكْتُبُهُ» فَقُلْتُ لَهَا: أَسْمَعُهُ مِنْكِ عَلَى شَيْءٍ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْمَعُهُ عَلَى غَيْرِهِ ، فَقَالَتْ: هَلْ تَسْمَعُ فِي الْمَعْنَى خِلَافًا؟ قُلْتُ: لَا ، قَالَتْ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ" .

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا أَبُو قَطَنٍ، ثنا ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ: كَانَ أَنَسٌ إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَفَرَغَ مِنْهُ قَالَ: أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، أنا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، ثنا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، ح أَخْبَرَنَا ابْنُ رِزْقٍ ، أَيْضًا أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ الصَّوَّافِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ قَالُوا: ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ: «كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنْ عَشَرَةٍ الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَاللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ» .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، أنا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دُرُسْتُوَيْهِ الْفَارِسِيُّ، ثنا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، ثنا أَبُو بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ، ثنا سُفْيَانُ ، قَالَ: «كَانَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ لَا يُحَدِّثُهُ إِلَّا عَلَى مَا سَمِعَ» .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَمِيرَوَيْهِ الْهَرَوِيُّ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِدْرِيسَ، ثنا ابْنُ عَمَّارٍ، ثنا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ الْقَاضِي ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ: «كَانَ الْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ يُحَدِّثُونَ بِالْمَعَانِي ، وَكَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَرَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ وَابْنُ سِيرِينَ يُحَدِّثُونَ كَمَا سَمِعُوا» .

أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمُزَكِّي ، قَالَ: أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ، ثنا إِسْحَاقُ يَعْنِي ابْنَ رَاهَوَيْهِ، أنا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَالنَّخَعِيُّ

وَالشَّعْبِيُّ يُحَدِّثُونَ بِالْحَدِيثِ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ حَدَّثُوا كَمَا سَمِعُوا كَانَ أَفْضَلَ» .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ، قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مَاسِي: حَدَّثَكُمْ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْزُوقٍ، ثنا أَبُو مَعْمَرٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، قَالَ: «كَانَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ وَابْنُ أَبِي نَجِيحٍ يُحَدِّثَانِ بِالْمَعَانِي ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ وَابْنُ طَاوُسٍ يُحَدِّثَانِ كَمَا سَمِعَا» .

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، قَالَ: «سَمِعْتُ الْحَسَنَ يُحَدِّثُ بِالْأَحَادِيثِ الْأَصْلُ وَاحِدٌ وَالْكَلَامُ مُخْتَلِفٌ» .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النَّاقِدُ، ثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْكَاغَذِيُّ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، ثنا حَرْبُ بْنُ مَيْمُونٍ، ثنا هِشَامٌ ، قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا بِالْحَدِيثِ الْيَوْمَ وَتُحَدِّثُ مِنَ الْغَدِ بِكَلَامٍ آخَرَ؟ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ بِالْحَدِيثِ إِذَا أَصَبْتُ الْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى السُّكَّرِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَزْهَرِ، ثنا الْمُفَضَّلُ بْنُ غَسَّانَ الْغَلَابِيُّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ، ثنا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ: «لَا بَأْسَ بِتَقْدِيمِ الْحَدِيثِ وَتَأْخِيرِهِ إِذَا أَصَبْتَ الْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شُعَيْبٍ الرُّويَانِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْوَرَّاقُ، أنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أنا الْمُبَارَكُ بْنُ فُضَالَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ ، «أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يُقَدِّمَ وَيُؤَخِّرَ إِذَا أَصَابَ الْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْخَيْرِ فَرَجُ بْنُ الْخِضْرِ بْنِ جَامِعٍ الْجَوْهَرِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَسَّانَ بْنِ سُهَيْلٍ الْحَرَشِيُّ ، بِالْكُوفَةِ، ثنا أَبِي، ثنا وَكِيعٌ ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ: قُلْتُ

لِلْحَسَنِ: " الرَّجُلُ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَيُحَدِّثُ بِهِ لَا يَأْلُو يَكُونُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ ، قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ: «لَا بَأْسَ بِهِ» .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَمِيرَوَيْهِ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِدْرِيسَ، ثنا ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، ثنا مَهْدِيُّ ، عَنْ غَيْلَانَ ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: " الرَّجُلُ يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لَا يَأْلُو ، فَتَكُونُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ ، قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ " .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَا: أنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ ، ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ غَيْلَانَ الْمِعْوَلِيُّ ، قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ: " أَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَلَا آلُو أَنْ أُحَدِّثَ بِهِ كَمَا سَمِعْتُ ، فَأَزِيدُ فِيهِ أَوْ أَنْقُصُ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ" .

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ ، قَالَ: ثنا الْعَبَّاسُ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ ، قَالَ: ثنا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الرَّقِّيُّ ، قَالَ: ثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، قَالَ: ثنا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبْحَابِ ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَغَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ ، إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ لَهُ غَيْلَانُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ الرَّجُلُ ، يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ فَلَا يُحَدِّثُهُ كَمَا سَمِعَهُ يَزِيدُ فِيهِ وَيَنْقُصُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّمَا الْكَذِبُ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَهُ» .

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِيرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبْحَابِ ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ ، أَنَا وَغَيْلَانُ ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ الرَّجُلُ ، يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ فَيَزِيدُ فِيهِ وَيَنْقُصُ مِنْهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا الْكَذِبُ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَهُ» .

أَخْبَرَنَا الْبَرْقَانِيُّ، أنا ابْنُ خَمِيرَوَيْهِ الْهَرَوِيُّ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِدْرِيسَ، ثنا ابْنُ عَمَّارٍ، ثنا الْمُعَافَى ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، قَالَ: «إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَدِّثَكُمُ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعْنَاهُ ، وَلَكِنْ عَمُودُهُ وَنَحْوُهُ».

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلَّانَ الْوَرَّاقُ، أنا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَوْصِلِيُّ، ثنا أَبُو يَعْلَى أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَيَّاشٍ ، أَخُو أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ: «إِنَّ رَجُلَيْنِ يَأْتِيَانِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَيُشَدِّدَانِ عَلَيَّ فِي الْحَدِيثِ ، فَمَا أَجِيءُ بِهِ كَمَا سَمِعْتُهُ ، إِلَّا أَنِّي أَجِيءُ بِالْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الطَّنَاجِيرِيُّ، أنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الْوَاعِظُ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، ثنا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: حَدِّثْنَا بِحَدِيثِ أَبِي الزَّعْرَاءِ كَمَا سَمِعْتَ ، قَالَ: «يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ ، إِنَّمَا نَجِيئُكُمْ بِالْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بُرْهَانٍ الْغَزَّالُ وَأَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارُ ، قَالَا: أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ ، سَمِعْتُ الْفِرْيَابِيَّ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ ، يَقُولُ: " لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُحَدِّثَكُمْ بِالْحَدِيثِ كَمَا سَمِعْنَاهُ – وَقَالَ ابْنُ بُرْهَانٍ: كَمَا سَمِعْنَا – مَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ" .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَا: أنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ، ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ سَيْفٍ الْمَكِّيِّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ: «أُنْقِصُ الْحَدِيثَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ» ، قَالَ الْحَسَنُ ، قَالَ زَيْدٌ، وَقَالَ سُفْيَانُ: «إِذَا ذَهَبْتُ أُحَدِّثُكُمْ كَمَا سَمِعْتُ فَلَا تُصَدِّقُونِي» . قَالَ زَيْدٌ: يَعْنِي أَنَّهُ يُحَدِّثُ عَلَى الْمَعَانِي .

أَخْبَرَنِي أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي بِالدَّيْنَوَرِ، أنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَافِظُ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ: " إِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ كَمَا سَمِعْتُ فَلَا تُصَدِّقُونِي – قَالَ زَيْدٌ: يَعْنِي أَنَّهُ يُحَدِّثُ عَلَى الْمَعَانِي" .

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَبَّاسِ النِّعَالِي، أنا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحٍ النَّسَوِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَاصِمٍ ، بِبُخَارَى، ثنا الْمُهَنَّأُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ ، يَقُولُ: قَالَ صَاحِبٌ لَنَا لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: حَدِّثْنَا كَمَا سَمِعْتَ ، فَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَعْنَى» .

أَخْبَرَنَا أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَافِظُ بِنَيْسَابُورَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ، أنا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ غَانِمِ بْنِ حَمُّوَيْهِ الْمُهَلَّبِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ الْبُوشَنْجِيُّ ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ بُكَيْرٍ ، يَقُولُ: «رُبَّمَا سَمِعْتُ مَالِكًا ، يُحَدِّثُنَا بِالْحَدِيثِ ، فَيَكُونُ لَفْظُهُ مُخْتَلِفًا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ» .

وَحَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، إِمْلَاءً: ثنا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْمَالِينِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ خَالِدٍ النَّسَوِيُّ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ خَشْرَمٍ ، يَقُولُ: «كَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُحَدِّثُنَا ، فَإِذَا سُئِلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَدَّثَنَا بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْأَوَّلِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ» .

قَرَأْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الْبَرْقَانِيِّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمُزَكِّي، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ، أنا قُتَيْبَةُ ، قَالَ: " كَانُوا يَقُولُونَ: الْحُفَّاظُ أَرْبَعَةٌ: إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ ، وَيَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، وَوُهَيْبٌ ، كَانَ هَؤُلَاءِ يُؤَدُّونَ اللَّفْظَ – قَالَ أَبُو رَجَاءٍ قُتَيْبَةُ: وَكَانَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ يُحَدِّثُ عَلَى الْمَعْنَى، سُئِلَ عَنْ حَدِيثٍ فِي النَّهَارِ كَذَا أَوْ كَذَا، يُغَيِّرُ اللَّفْظَ " .

أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، أنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ ، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدٍ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ، يَقُولُ: «أَخَافُ أَنْ يُضَيَّقَ عَلَى النَّاس تَتَبُّعُ الْأَلْفَاظِ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ حُرْمَةً وَوَسِعَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَى وُجُوهٍ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا» .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمُؤَدِّبُ ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيُّ ، قَالَ: أنا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْدَانَ، ثنا سَعِيدُ بْنُ رَحْمَةَ الْأَصْبَحِيُّ ، قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْقَرْقَسَانِيُّ يَقُولُ: «إِيش تُشَدِّدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِذَا أَصَبْتُمُ الْمَعْنَى فَحَسْبُكُمْ» .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ، ثنا يَعْقُوبُ بْنُ مُوسَى الْأَرْدَبِيلِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ النَّجْمِ الْمَيَانَجِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَرْذَعِيُّ ، قَالَ: " قُلْتُ لِأَبِي زُرْعَةَ: إِذَا سَمِعْتُكَ تُذَاكِرُ بِالشَّيْءِ عَنْ بَعْضِ الْمَشْيَخَةِ قَدْ

سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِكَ ، فَأَقُــولُ: ثَنَا أَبُو زُرْعَةَ وَفُلَانٌ ، وَإِنَّمَا ذَاكَرْتَنِي أَنْتَ بِالْمَعْنَى ، وَالْإِسْنَادُ؟ قَالَ: أَرْجُو ، قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ حَدِيثًا طَوِيلًا؟ قَالَ: فَهَذَا أَضْيَقُ، فَإِنْ قُلْتُ: حَدَّثَنَا فُلَانٌ وَأَبُو زُرْعَةَ نَحْوَهُ فَسَكَتَ ". انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص٢٠٣ فما بعدها) .

فالحديث مرويٌّ بالمعنى ، شأنه في ذلك شأن أغلب الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة ، والرِّواية بالمعنى قد تختلف عن الرِّواية باللفظ ، وليس كلُّ الرُّواة عالمون بحقيقة الألفاظ وما تؤدِّي إليه من المعاني ، ولذلك استحبَّ الكثير من أهل العلم لمن روى حديثاً بالمعنى أن يتبعه بقول: "أو كما قال، أو: نحو هذا" ، وما أشبه ذلك من الألفاظ ، وهذا مرويٌّ عن بعض الصَّحابة كابن مسعود وأبي الدَّرداء وأنس رضي الله عنهم أجمعين ...

ومن المعلوم أنَّ الحديث إذا كان متعلِّقاً بالعقيدة التي يترتَّب عليها كفرٌ وإيمان ، كحديث السَّاق ... كان الاحتراس والاحتراز والحيطة في روايته أكبر بكثير من أحاديث الأحكام ...

وممَّا يُثبت أنَّ الحديث روي بالمعنى : أنَّ الإمام مسلم مطوَّلاً في الصَّحيح (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) بلفظ : " فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ " ، فقال : "حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا

بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاس فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا

أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**﴿النساء: ٤٠﴾، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "، قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ» قُلْنَا: لَا، وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: «لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

وقال مسلم في "الصَّحيح" (٤/٢٢٥٨ برقم ٢٩٤٠) : "حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ

السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاس سَبْعَ سِنِينَ، لَيْس بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ " قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: " فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاس فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاس هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ".

وقال ابن أبي عاصم في "السُّنَّة"(١/ ٢٨٠ برقم ٦٣٠) : " ثنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: وَفَدْتُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَكَانَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي حوائجنا عمر بن عبد العزيز فَلَمَّا قَضَيْتُ حَوَائِجِي رَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا رَدَّ الشَّيْخُ فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قُلْتُ لَهُ إِنِّي ذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنِي بِهِ أَبِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ذَهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا وَبَقِيَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ فَقَالَ لَهُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاس قَالُوا إِنَّ لَنَا رَبًّا كُنَّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ نَرَهُ فَيُقَالُ لَهُمْ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ تَعْرِفُونَهُ

فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُقَالُ لَهُمْ وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ فَقَالُوا إِنَّهُ لا شِبْهَ لَهُ فَيكْشفُ لَهُمْ عَنْ حِجَابٍ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا وَيَبْقَى قوم في ظهورهم مثل صياحي الْبَقَرِ فَيُرِيدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا فَلا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ اللهَّ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، فَيَقُولُ اللهُّ تَعَالَى: عِبَادِي ارْفَعُوا رؤوسكم فَقَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي النَّارِ".

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لأَبِي بُرْدَةَ: آللهَّ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَسَمِعْتَ أَبَاكَ حَدَّثَكَ عَنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ هَذَا ؟ فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ ثلاثة أيمان " . قال الألباني في "ظلال الجنة" (١/ ٢٨١) : " إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان. والحديث أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" (ص١٥٣-١٥٤) ، وأحمد (٤/ ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩) من طرق عن حماد بن سلمة إلا أنهما لم يسوقاه بتمامه. وأخرج منه مسلم (٨/ ١٠٤-١٠٥) الجملة الأخيرة منه في ليل بلفظ آخر وهو رواية لأحمد (٤/ ٤٠٢ و٤٠٩-٤١٠) أخرجاه من طرق أخرى عن أبي بردة به..." .

وقال الحاكم في " المستدرك على الصَّحيحين" (٢/ ٥٤٢ برقم ٣٨٤٥، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوْلَى مِنْ حَدِيثٍ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لَمْ أَسْتَجِزْ رِوَايَتَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص) : "حَدَّثَنَا أَبُو زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيُّ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَبَّانِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، ثنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنْبَأَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عَنَاقَ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقٍ   قَدْ سَنَّ قَوْمَكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقْ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوْلَى مِنْ حَدِيثٍ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لَمْ أَسْتَجِزْ رِوَايَتَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ" .

والأثر رواه البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٣ برقم ٧٤٦) : "حدَّثَنَاهُ أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ، أنا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيُّ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَبَّانِيُّ، نا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، نا عَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُبَارَكِ، أنا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: إِذَا خُفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَابْتَغُوهُ مِنَ الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ. أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عَنَاقْ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقْ قَدْ سَنَّ قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ. تَابَعَهُ أَبُو كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ، وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، أَيْ: عَنِ الْأَمْرِ الشَّدِيدِ، وَأَنْشَدُوا:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ، وَكَانَ يَطْرُدُ الطَّيْرَ عَنِ الزَّرْعِ فِي سَنَةٍ جَدْبٍ:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمَنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ: هَذَا وَمَا رُوِّينَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَعْنَى يَتَقَارَبَانِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَرُوِيَ بِمَعْنَاهُ" .

وقال اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة"(٣/ ٤٧٤ برقم ٧٢٤) : "أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدٍ السُّلَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانَ الْبَصْرِيُّ الْمُرَادِيُّ، قَالَ: ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ دِيَابٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلَبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: عَنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ" .

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٤ برقم ٧٤٧) : "أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُزَكِّي، أنا أَبُو الْحَسَنِ الطَّرَائِفِيُّ، نا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٥ برقم ٧٤٨) : "أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو نا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ، نا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْفَرَّاءُ، حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَرَأَ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ يُرِيدُ: الْقِيَامَةَ وَالسَّاعَةَ لِشِدَّتِهَا. قَالَ الْفَرَّاءُ: أَنْشَدَنِي بَعْضُ الْعَرَبِ لِجَدِّ طَرَفَةَ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحْ

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٥ برقم ٧٤٩) : "أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي، أنا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَطِيَّةَ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي عَمِّي الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَطِيَّةَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ يَقُولُ: حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ، وَكَشْفُهُ دُخُولُ الْآخِرَةِ وَكَشَفُ الْأَمْرِ عَنْهُ" .

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٦ برقم ٧٥١) : "أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَا: نا أَبُو الْعَبَّاسِ هُوَ الْأَصَمُّ، نا أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أنا حَمَّادُ بْنُ مَسْعَدَةَ، أنا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ فِي الْحَرْبِ قِيلَ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ. قَالَ: فَأَخْبَرَهُمْ عَنْ شِدَّةِ ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّمَا جَاءَ ذِكْرُ الْكَشْفِ عَنِ السَّاقِ عَلَى مَعْنَى الشِّدَّةِ، فَيُحْتَمَلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَبْرُزُ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّتِهَا مَا تَرْتَفِعُ مَعَهُ سَوَاتِرُ الِامْتِحَانِ، فَيُمَيِّزُ عِنْدَ

ذَلِكَ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالْإِخْلَاصِ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي السُّجُودِ، وَيَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ عَنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فَتَعُودُ ظُهُورُهُمْ طَبَقًا لَا يَسْتَطِيعُونَ السُّجُودَ، قَالَ: وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُ النَّاس فَقَالَ: لَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ يكْشفُ لَهُمْ عَنْ سَاقٍ لِبَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ سَبَبًا لِبَيَانِ مَا شَاءَ مِنْ حُكْمِهِ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ: وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ قُدْوَةٍ، وَقَدْ يَحْتَمِلُهُ مَعْنَى اللُّغَةِ .

سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ يَذْكُرُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى النَّحْوِيِّ فِيمَا عَدَّ مِنَ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ الْوَاقِعَةِ تَحْتَ هَذَا الِاسْمِ، قَالَ: وَالسَّاقُ النَّفْسُ، قَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁ حِينَ رَاجَعَهُ أَصْحَابُهُ عَنْ قَتْلِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ وَلَوْ تَلِفَتْ سَاقِي. يُرِيدُ نَفْسَهُ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: فَقَدْ يُحْتَمَلُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ التَّجَلِّي لَهُمْ وَكَشَفَ الْحُجُبِ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ. قَالَ: وَلَسْتُ أَقْطَعُ بِهِ الْقَوْلَ وَلَا أَرَاهُ وَاجِبًا فِيمَا أَذْهبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمُنَا مِنَ الْقَوْلِ بِمَا لَا عِلمَ لَنَا بِهِ".

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ١٨٧ برقم ٧٥٢) : "أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدَانَ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَسَنِيُّ، نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، نا رَوْحُ بْنُ جُنَاحٍ، عَنْ مَوْلَى، عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا» . تَفَرَّدَ بِهِ رَوْحُ بْنُ جُنَاحٍ، وَهُوَ شَامِيٌّ يَأْتِي بِأَحَادِيثَ مُنْكَرَةٍ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهَا وَاللهُ أَعْلَمُ" .

وقال البغوي في"شرح السُّنَّة"(١٥/ ١٣٩) : "قَوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿الْقَلَم: ٤٢﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْم كرب وَشدَّة، وَقَالَ: وَهِيَ أَشد سَاعَة فِي الْقِيَامَة، وَقَالَ مُجَاهِد: يُكْشَفُ عَنِ الْأَمر الشَّدِيد، وَالْعرب تذكر السَّاق إِذَا أخبرت عَنْ شدَّة الْأَمر وهوله، وَقَوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾**﴿الْقِيَامَة: ٢٩﴾ ، قِيلَ: آخر شدَّة الدُّنْيَا بِأول شدَّة الْآخِرَة" .

وقال ابن المبارك في "الزُّهد "(٢/ ١٠٥ برقم ٣٦١) :" أَنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿ القلم﴾ ، قَالَ : يَوْمُ كَرَبٍ وَشِدَّةٍ" .

وقال أيضاً في الزُّهد"(٢/ ١٠٥ برقم ٣٦٢) :" أَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : شِدَّةُ الأَمْرِ وَجِدُّهُ ، قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ" .

وقال الرَّبيع بن حبيب في " الجامع الصَّحيح مسند الإمام الرَّبيع بن حبيب"(ص٣٣٦ برقم ٨٧٨) :"قال عبَّاد بن العوام : روي عن عاصم بن كليب أنَّه قال : رأيت ابن عبَّاس غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط ، فقال : إنَّكم لتقولون قولاً عظيماً ، يعني : التَّشبيه الذي ذكروا ، وإنَّما يعني : يُكْشَفُ عن الأمر الشَّديد .

وقال سعيد في حديث عاصم بن كليب : لو علمت من قال هذا التَّشبيه لفعلت به وفعلت ، وقال علي بن عاصم : هو الحق ، فأعجبه قول سعيد وأنكر رواية الآخرين . وقال ابن عبَّاس : عن الأمر الشَّديد ، أما سمعت قول الأوَّل : قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ، أي : على شدَّة ، وقال عكرمة : ألا ترى أنَّ الحرب إذا اشتدَّت قالوا : قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ، قال الشاعر:

قَوْمِي بَنُو قَيْسٍ إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ وَأَبْدَتْ سَاقَهَا لَقِحَتْ

وقال الحسن وعكرمة : يُكْشَفُ عن الأمر الشَّديد ..." .

وقال ابن منده في " الرَّد على الجهميَّة"(ص١٦) :"أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْغَزِّيُّ، بِغَزَّةَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿ القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «عَنْ سَاقَيْهِ» ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «هَكَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَيَكْشِفُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الشِّينِ».

وهذه قراءة شاذَّة لا يصحُّ الاحتجاجُ بها لمخالفتها نصَّ القرآن ، قال النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج "(٥/ ١٣٠-١٣١) : " مَذْهَبَنَا أَنَّ الْقِرَاءَةَ الشَّاذَّةَ لَا يُحْتَجُّ بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهَا

حُكْمُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ لِأَنَّ نَاقِلَهَا لَمْ يَنْقُلْهَا إِلَّا عَلَى أَنَّهَا قُرْآنٌ ، وَالْقُرْآنُ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالتَّوَاتُرِ بِالْإِجْمَاعِ ، وَإِذَا لَمْ يَثْبُتْ قُرْآنًا لَا يثبت خبراً" .

كما نصَّ العديد من أهل العلم على عدم جواز القراءة بالقراءات الشَّاذَّة سواء كانت منسوبة لابن عبَّاس أو لابن مسعود أو لغيرهما ... قال الإمام ابن عبد البر في "الاستذكار"(٢/٤٨٦): " الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْأَمْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ وَالرَّأْيِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ فِي صَلَاتِهِ نَافِلَةً كَانَتْ أَوْ مَكْتُوبَةً بِغَيْرِ مَا فِي الْمُصْحَفِ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ ، سَوَاءً كَانَتِ الْقِرَاءَةُ مُخَالَفَةً لَهُ مَنْسُوبَةً لِابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ إِلَى أُبَيٍّ أَوْ إلى بن عَبَّاسٍ أَوْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ أَوْ مُسْنَدَةً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ...".

وقال الإمام ابن عابدين في " ردّ المحتار على الدُّر المختار "(١/٤٨٦) : "الْقُرْآنُ الَّذِي تَجُوزُ بِهِ الصَّلَاةُ بِالِاتِّفَاقِ هُوَ الْمَضْبُوطُ فِي مَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا عُثْمَانُ ﷺ إلَى الْأَمْصَارِ، وَهُوَ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ الْعَشَرَةُ، وَهَذَا هُوَ الْمُتَوَاتِرُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَمَا فَوْقَ السَّبْعَةِ إلَى الْعَشَرَةِ غَيْرُ شَاذٍّ، وَإِنَّمَا الشَّاذُّ مَا وَرَاءَ الْعَشَرَةِ وَهُوَ الصَّحِيحُ" .

وقال الإمام الزّركشي في " البرهان في علوم القرآن "(١/٣٣٢) :" قَالَ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ : وَقَدْ وَرَدَ إِلَى دِمَشْقَ اسْتِفْتَاءٌ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ عَنِ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ : هَلْ تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهَا؟ وَعَنْ قِرَاءَةِ الْقَارِئِ عَشْرًا كُلُّ آيَةٍ بِقِرَاءَةِ قَارِئٍ ، فَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِ عَصْرِنَا منهم شيخنا الشَّافعيَّة والمالكيَّة حينئذ وكلاهما أبو عمر وَعُثْمَانُ يَعْنِي ابْنَ الصَّلَاحِ وَابْنَ الْحَاجِبِ .

قَالَ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ: يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْرُوءُ بِهِ عَلَى تَوَاتُرِ نَقْلِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ قُرْآنًا ، وَاسْتَفَاضَ نَقْلُهُ بِذَلِكَ ، وَتَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ ، كَهَذِهِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي ذَلِكَ الْيَقِينُ وَالْقَطْعُ عَلَى مَا تَقَرَّرَ وَتَمَهَّدَ فِي الْأُصُولِ ، فَمَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ ذَلِكَ مَا عَدَا الْعَشَرَةِ فَمَمْنُوعٌ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِهِ مَنْعَ تَحْرِيمٍ لَا مَنْعَ كَرَاهَةٍ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَ الصَّلَاةِ ، وَمَمْنُوعٌ مِنْهُ مِمَّنْ عَرَفَ الْمَصَادِرَ وَالْمَعَانِيَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ ، وَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَقُومَ بِوَاجِبِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا نَقَلَهَا مَنْ نَقَلَهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ لِفَوَائِدَ ، منها ما يتعلَّق بعلم العربيَّة لا القراءة بِهَا هَذَا طَرِيقُ مَنِ

اسْتَقَامَ سَبِيلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ مَا نُقِلَ قُرْآنًا مِنْ غَيْرِ تَوَاتُرٍ وَاسْتِفَاضَةٍ مُتَلَقَّاةٍ بِالْقَبُولِ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، كَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْمُحْتَسِبُ لِابْنِ جِنِّي وَغَيْرِهِ ، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالْمَعْنَى عَلَى تَجْوِيزِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُلَ قُرْآنًا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ أَصْلًا - وَالْمُتَجَرِّئُ عَلَى ذَلِكَ مُتَجَرِّئٌ عَلَى عَظِيمٍ وَضَالٌّ ضَلَالًا بَعِيدًا ، فَيُعَزَّرُ وَيُمْنَعُ بِالْحَبْسِ وَنَحْوِهِ ، وَيَجِبُ مَنْعُ الْقَارِئِ بِالشَّوَاذِّ وَتَأْثِيمُهُ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ فَعَلَيْهِ التَّعْزِيرُ بِشَرْطِهِ ، وَأَمَّا إِذَا شَرَعَ الْقَارِئُ فِي قِرَاءَةٍ فَيَنْبَغِي أَلَّا يَزَالُ يَقْرَأُ بِهَا مَا بَقِيَ لِلْكَلَامِ مُتَعَلِّقٌ بِمَا ابْتَدَأَ بِهِ ، وَمَا خَالَفَ هَذَا فَمِنْهُ جَائِزٌ وَمُمْتَنِعٌ ، وَعُذْرُهُ مَانِعٌ مِنْ قِيَامِهِ بِحَقِّهِ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى .

وَقَالَ شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ : لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِالْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ فِي صَلَاةٍ وَلَا غَيْرِهَا " .

وجاء في "تيسير أصول الفقه للمبتدئين"(٧/ ٤) :"جمهور أهل العلم يرون أنَّ القراءة الشَّاذَّة ليست بحجَّة "... فكيف إذا كانت القراءة الشَّاذَّة متعلِّقة بالعقائد التي يترتَّب عليه كفرٌ وإيمان ؟!!

وقال ابن منده في " الرَّد على الجهميَّة"(ص١٦) :"أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَ ابْنُ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُكْشَفُ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ» ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ» .

وقال ابن منده في " الرَّد على الجهميَّة"(ص١٦) :"ثَنَا عُمَرُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، بِمِصْرَ، ثَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ، ثَنَا عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ، ثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : **﴿يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ : «شِدَّةُ الْآخِرَةِ» .

وقال ابن منده في " الرَّد على الجهميَّة"(ص١٦) :"أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ حَبِيبٍ الرَّقِّيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ، ثَنَا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ

مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَشَدُّ سَاعَةٍ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وقال ابن منده في " الرَّد على الجهميَّة" (ص١٧) :"أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ، أَنْبَأَ عَبْدُ الرَّازِقِ، أَنْبَأَ مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ...

🕮 المَبْحَثُ الثَّانِي 🕮

أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي السَّاقِ الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَأْوِيلَات بَعْض السَّلفِ لَه

من المعلوم ضرورة أنَّ الله تعالى منزَّه عن الجسميَّة وعن كلِّ صفــات الحوادث ... فليس المراد بالسَّاق الجارحة المعروفة ، وإنَّما ذلك مؤوَّل بما يتناسب مع القواطع العقديَّة والقواعد اللغويَّة ... وبناء على ذلك فقد ذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً إلى أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ ﴿القلم:٤٢﴾ هو : أذكر يا محمَّد وذكِّر قومك بذلك اليوم العصيب الرَّهيب الذي يُكْشَفُ فيه عن أمر فظيع شديد في غاية الهول والشِّدَّة ... وليأتي الكفرة والمشركون والمنافقون بهؤلاء الشُّركاء ليعاونوهم إذا اشتدَّ الهول وعظم الأمر يوم القيامة ... فهو استعارة عن شدَّة الأمر وفضاعته ومرارته وعِظَمه وغصَّته وبشاعته ، وأنَّ الأمر يستدعي الجدّ والتَّشمير عن السُّوق ، لأنَّ العرب كانوا إذا وقعوا في أمر عظيم شمَّر الواحد منهم عن ساقه، فاستُعيرت السَّاق في موضع الشدَّة ، كما أنَّ النِّساء كنَّ إذا فوجئن بالغارة شَمَّرن عن سوقهنَّ بسبب وقوع أمر هائل بالغ إلى نهاية الشدَّة مع أنَّهن لا يخرجن من بيوتهنَّ ولا يبدين زينتهنَّ لغير محارمهنَّ لغاية خوفهنَّ وزوال عقلهنَّ من دهشتهنَّ وفرارهنَّ لخلاص أنفسهنَّ ... فالمفهوم من قولنا : قَامَ فلَان على سَاق إِذا عني بِالْأَمر واجْتهد واهتمَّ فِيهِ ...

وقد نُقل عن بعض الصَّحابة والتَّابعين من أهل التَّأويل في معنى الآية : أنَّ الله تعالى يَبْدُو عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ عظيم ... فعن حَبْر الأمَّة وتُرجمان القرآن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ المقصود بكشف السَّاق : هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وهِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، بِمَعْنَى : تُكْشَفُ الْقِيَامَةُ عَنْ شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ ، فهُو يوْم كَرْبٍ وشِدَّة ...

وهذا أمرٌ معروفٌ عند العرب الذين طالب ابن عبَّاس إذا خفي علينا شيء من القرآن أن نطلبه في أشعارهم ، لأنَّ الشِّعر ديوان العرب ...

ومن أشعار العرب في ذلك :

اصْبِرْ عَنَاقُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقٍ   قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

وقال آخر :

كَشَفَت لَهُم عَنْ سَاقِهَا   وَبَدا مِنَ الشَّرِّ الصُرَاحُ

وقال آخر :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وقال آخر :

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُم فَجِدُّوا

وقال آخر :

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عن سَاقِها   حَمْراءَ تَبْرِي اللَحْمَ عن عِراقِها

وروي عن مُجَاهد أَنَّه قال: كُلُّ كَرْب أَوْ شدَّة فَهُوَ ساقٌ ... وقال بعضهم : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** جَهَنَّمَ، أَوْ عَنْ سَاقِ الْعَرْشِ، أَوْ عَنْ سَاقِ مَلَكٍ مَهِيبٍ عَظِيمٍ ...

أَمَّا عَن إِضَافة السَّاق لله تَعَالى الذي ورد في الحديث ... فقد ذهب بعض أهل العلم إلى التَّفويض ... فأجروا الكلام على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التَّوقُّف عن تفسير كلّ ما لا يحيط العلم بكُنهه من هذا الباب ... قال الإمام الذَّهبي في" سير أعلام النُّبلاء"(٨/ ١٠٥) : " إِنَّ اللهَ يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ" : " فَقَولُنَا فِي ذَلِكَ وَبَابِهِ: الإِقرَارُ، وَالإِمْرَارُ، وَتَفْويضُ مَعْنَاهُ إِلَى قَائِلِه الصَّادِقِ المَعْصُومِ" .

ومن المعلوم أنَّ جمهور السَّلف وبعض الخلف ذهبوا إلى وجوب إمرار ألفاظ المتشابه على ظاهر لفظها لا ظاهر معناها ، مع الإيمان بأنَّها حقٌّ على ما يليق به سبحانه ، مع التَّأكيد على وجوب تنزيهه تعالى عن سائر صفات ولوازم المحدثات ، بينما ذهب جمهور الخلف وبعض السَّلف إلى تأويلها بما يتوافق مع قواعد اللغة العربيَّة والقواطع العقديَّة التي نصَّت على وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة

الحوادث ... وذلك لأمور استجدَّت لم تكن في زمان السَّلف ، ومن تلك الألفاظ : السَّاق ... فلا يجوز أن تُحمل على ظاهر معناها ...

قَالَ الإمام أحمد بن محمَّد بن هارون بن يزيد الخَلَّال أبو بكر(٣١١هـ) : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، أَنَّ حَنْبَلاً حَدَّثَهُمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ (يقصد أحمد بن حنبل) عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُرْوَى : " أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " ، ... وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ : نُؤْمِنُ بِهَا ، وَنُصَدِّقُ بِهَا ، وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى ، وَلَا نَرُدُّ مِنْهَا شَيْئاً ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسول حَقٌّ إِذَا كَانَتْ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى اللهَّ قَوْلَهُ ، وَلَا نَصِفُ اللهَّ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ ، **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**﴿الشورى : ١١﴾ . انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٦٩) ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٧/ ١٤) .

قُلْتُ : وقد خالف ابن القيِّم هذه القواعد ، ولم يلتزمها في كتبه ، كـ " الصَّواعق " ، و " اجتماع الجيوش " ، و " البدائع " ، وغيرها ... وكلام أحمد هذا يصوِّر بحقٍّ عقيدة جمهور السَّلف الصَّالح في مسألة المتشابه ، وقد نقلها ابن تيمية في غير ما كتاب من كتبه من غير نكير . انظر مثلاً : الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٨٧) ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٦٢٣) ، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣١) .

وما ذكره الإمام الخَلَّال عن الإمام أحمد بن حنبل من تفويض الكيْف والمعنى لم يَرُق للقائمين والُمشرفين على المكتبة الشَّاملة ، لذا قاموا بشطبها من كتاب "السُّنَّة" للخَلَّال ، الموجود ضمن المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ، كما وضعوا مكان قوله : (وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى) مجموعة من النِّقاط (...) في كتاب " اجتماع الجيوش الإسلاميَّة " لابن القيِّم ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، نشر : مطابع الفرزدق التِّجاريَّة ، الرِّياض ، (الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) ، المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ، وهذه إحدى صور عبثهم بكتب أهل العلم ، وهو مندرجٌ تحت : عدم الأمانة العلميَّة ، وقد ناقشنا عبثهم بكتب أهل العلم وأثبتناه عليهم في كتابنا : "كَشْفُ الخَفَا عَنْ عَبَثِ الوَهَّابِيَّة بِكُتُبِ العُلَما" ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ....

وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال في معنى السَّاق : عن شدَّة وكرب. قال: فيحتمل أن يكون معنى قوله:" يكْشفُ ربُّنا عن ساقه"، أي: عن قدرته التي تنكشف عند الشِّدَّة ...

والآن إلى طائفة من أقوال العلماء في بيان معنى لفظة السَّاق الواردة في الكتاب والسُّنَّة ، لنعلم من خلالها أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة خالفوا جمهور علماء الأمَّة من محدِّثين ومفسِّرين وفقهاء ومتكلِّمين ومفكِّرين ... وأنَّهم أشاحوا بوجوههم عن نور الحقِّ بعدما تبيَّن ... وأنَّ هذا هو منهجهم مذ وُجدوا ... وتالياً أقوالُ العلماء الذين ناقشوا وتكلَّموا في السَّاق الواردة في الكتاب والسُّنَّة :

قال الإمام أبو زكريَّا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدَّيلمي الفرَّاء (٢٠٧هـ) في "معاني القرآن" (٣/ ١٧٧) : " قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** . القرَّاءُ مُجتمعون على رفع الياء . حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَرَّاءُ قَالَ: حَدَّثَنِي سفيان ، عن عمرو ابن دِينَارٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ: «يَوْمَ تَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ» يُرِيدُ: الْقِيَامَةَ وَالسَّاعَةَ لِشِدَّتِهَا ، قَالَ : وأنشدني بعض العرب لجد أَبِي طرفة :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَن ساقِها وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصَّرَاحُ

وقال الإمام أبو عبيدة معمر بن المثنَّى (٢٠٩هـ) في " مجاز القرآن "(٢/ ٢٦٦) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** إذا اشتدَّ الحرب والأمر قيل: قد كشف الأمر عن ساقه. قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ:

فَإنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقِهَا فَوَيْهًا رَبِيعَ ولا تَسْأَمِ

وقال الإمام الصَّنعاني (٢١١هـ) في " تفسير عبد الرزاق "(٣/ ٣٣٤-٣٣٥) :" عَنِ ابْنِ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، يُقَالُ: قَدْ قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَيَسْجُدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَقْسُو ظَهْرُ الْكَافِرِ ، فَيَكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا» .

عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: «يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ» .

عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: «عَنْ سَاقِهِ ، يَعْنِي سَاقَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» .

وقال الإمام ابن قتيبة الدَّينوري(٢٧٦هـ) في"تأويل مشكل القرآن"(ص٨٩-٩٠) : "من الاستعارة في كتاب الله قوله عزَّ وجلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي : عن شدَّة من الأمر، كذلك قال قتادة . وقال ابراهيم : عن أمر عظيم.

وأصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه شمَّر عن ساقه، فاستُعيرت السَّاق في موضع الشدَّة .

وقال دريد بن الصّمَّة :

كمِيشُ الإزارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ   صَبُورٌ عَلَى الجَلاَّءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

وقال الهذليّ :

وَكُنتُ إِذَا جَارِي دَعا لِمَضوفَة   أُشَمِّرِ حَتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

وقال أيضاً في "غريب القرآن"(ص٤١٠) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ، أي : عن شدَّة من الأمر، قال الشَّاعر:

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عن ساقِها   حَمْراءَ تَبْرِي اللَحْمَ عن عِراقِهَا

«عراقها» : جمع «عرق» . والعراق: العظام ، ويقال: «قَامَت الحَرْبُ عَلَى سَاق»" .

وقال الإمام علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقَّب بـ «كراع النّمل» (المتوفَّى: بعد ٣٠٩هـ) في "المنتخب من غريب كلام العرب"(ص٦٤٥-٦٤٦) : " وقال عزَّ وجلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، يقولون ذلك عند اشتداد الأمر ، وليس هناك ساقٌ، وأصل ذلك أنَّ العرب إذا فَجِئَتْهُم الغارة شَمَّر النِّسَاءُ عن أَسْؤُقِهِنَّ وهربن؛ قال طَرَفَةُ:

يَوْمَ تُبْدِي البِيضُ عَنْ أَسْؤُقِهَا وَتَلُفُّ الخَيْلُ أَحْرَاجَ النَّعَمْ

وقال الإمام الطَّبري(٣١٠هـ) في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٢٣/١٨٦- ١٩٥ باختصار) :

"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾**﴿القلم: ٤٢-٤٣﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: يَبْدُو عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ. ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: هُوَ يَوْمُ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ وَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا سَجَدَ، وَيَقْسُو ظَهْرُ الْكَافِرِ فَيَكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: يُكْشَفُ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَلَا تَسْمَعُ الْعَرَبَ تَقُولُ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ يَقُولُ: حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ، وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ، وَكَشْفُهُ: دُخُولُ الْآخِرَةِ وَكَشْفُ الْأَمْرِ عَنْهُ .

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثنا مُعَاوِيَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ وَابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ وَجِدِّهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: عَنْ أَمْرٍ فَظِيعٍ جَلِيلٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ.

حُدِّثْتُ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ، يَقُولُ: ثنا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: شَمَّرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ، يَعْنِي إِقْبَالَ الْآخِرَةِ وَذَهَابَ الدُّنْيَا ...

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾، قَالَ: هُوَ يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ بِمَعْنَى تُكْشَفُ الْقِيَامَةُ عَنْ شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: كُشِفَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْ سَاقٍ: إِذَا صَارَ إِلَى شِدَّةٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا ... وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال الإمام الزَّجَّاج (٣١١هـ) في "معاني القرآن وإعرابه" (٥/ ٢١٠) : " ومعنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ في اللغة : يُكْشَفُ عن الأمر الشَّديد، قال الشَّاعر:

قَدْ شَمَّرَتْ عن سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بكمْ فَجِدُّوا

والقوس فيها وترٌ عُرُدُّ.

وجاء في التَّفسير عن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حَنْبَل قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمَّد بن جَعْفَرٍ يعني غندر، عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال : قال ابن عبَّاس في قوله: ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ عن الأمر الشَّديد ..." .

وقال الإمام ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) في "تفسير القرآن العظيم" (١٠/ ٣٣٦٦) : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ .

مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قَالَ: إِذَا خَفَى عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

اصْبِرْ عَنَاقُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قَالَ: هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن عزيز السّجستاني (٣٣٠هـ) في "كتاب غريب القرآن" (ص٥٣٨) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ : إذا اشتدَّ الأمر والحَرْب ، قيل : كشف الأمر عن ساقه ".

وقال الإمام أبو جعفر النَّحَّاس (٣٣٨هـ) في "إعراب القرآن" (٥/ ١٥): "الذي عليه أهل التَّفسير أنَّ المعنى : يوم يُكْشَفُ عن شدَّة ، وذلك معروف في كلام العرب ، ويجوز أن يكون المعنى : يوم يكْشفُ النَّاس عن سوقهم لشدَّة ما هم فيه ، ذلك مستعمل في كلام العرب".

وقال الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي(٣٥٠هـ) في"معجم ديوان الأدب"(٣/ ٣٣٦) : " وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي: عَنْ شِدَّةٍ" .

وجاء في "التَّفسير الكبير" (تفسير القرآن العظيم) (٦/ ٣٣٠) المنسوب للإمام الطَّبراني (٣٦٠هـ) : "قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ معناه : يوم يُكشف عن الأمور الشَّدائد وهو يوم القيامة ، وهذا ممَّا كثُر استعماله في كلام العرب على معنى : يوم يشتدُّ ما يحتاج إلى أن يكشف فيه عَنْ سَاقٍ ، ومن ذلك قولهم : قامت الحرب على ساق ، وكَشَفَت عَنْ سَاقٍ ، وإن لم يكن للحرب ساق .

وانتصب قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ على الظَّرف لقوله : ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ﴾ في ذلك اليوم لتنفعهم أو تشفع لهم ، وعن عكرمة قال : عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ : سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ فَقَالَ: «إِذَا خَفِي عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَالخَيْلُ تَعْدُو عِنْدَ وَقْتِ الإِشْرَاقِ   وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقْ

أي يوم القيامة يوم كرب وشدَّة ، وقال ابن قتيبة : (أصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه يشمِّر عن ساقيه) ، فاستُعير الكشف عن السَّاق في موضع الشدَّة. وقال دريد بن الصّمَّة يرثي أخاه :

كَمِيشُ الإِزَارِ خارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ   صَبُورٌ علَى العَزَّاءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

يقال للأمر إذا اشتدَّ وتفاقم وتراكب غمُّه وكشفَ عن ساقه يوم يشتدُّ الأمرُ ، كما يشتدُّ ما يحتاج إلى أن يكشفَ عن ساقٍ" .

وقال الإمام الأزهري(٣٧٠هـ) في " تهذيب اللغة"(٩/ ١٨٤-١٨٥) : " وَقَالَ الله جلّ وَعزَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾﴿القَلَم: ٤٢﴾.

قَالَ الفرَّاء: ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ : عَن شدَّة.

قَالَ: وأنشدني بعضُ الْعَرَب لجدّ أبي طرفَة:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وَقَالَ الزّجاج فِي قَوْله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** : عَن الْأَمر الشَّديد.

قَالَ: وَأَخْبرنِي عبد الله بن أَحْمد عَن أَبِيه عَن غُندر عَن شُعبة عَن مُغيرَة عَن إِبْرَاهِيم قَالَ: قَالَ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** : إِنَّه الأمْر الشَّديد.

قَالَ: وَقَالَ ابْن مَسْعُود: يَوْم يكْشفُ الرَّحْمَن عَن ساقِه.

وَقَالَ أهلُ اللُّغَة: قيل لِلْأَمْرِ الشَّديد ساقٌ ـ لِأَن الْإِنْسَان إِذا دهمْته شدَّةٌ شمَّرَ لَهَا عَن سَاقيه ، ثمَّ قيل لكلِّ أمرٍ شديدٍ يُتَشَمَّر لَهُ : ساقٌ ، وَمِنْه قولُ درَيْد:

كَمِيشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِه

أرادَ أَنَّه مشمِّر جادّ، وَلم يُرد خروجَ السَّاق بِعَينهَا.

وَيُقَال: قَامَ فلانٌ على ساقٍ: إِذا عُنِيَ بِالْأَمر وتحزَّم لَهُ" .

وقال الإمام الجصَّاص الحنفي(٣٧٠هـ) في" الفصول في الأصول"(١/ ٣٦٣) : "قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ يَعْنِي : عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ ، لِأَنَّ مَنْ عَنِيَ أَمْرًا عَظِيمًا شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ" .

وقال الإمام أبو الليث السَّمرقندي(٣٧٣هـ) في "بحر العلوم"(٣/ ٤٨٥) : " قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** يعني: اذكر ذلك اليوم. ويقال: معناه إنَّ الثَّواب والعقاب الذي ذكر في **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال ابن عبَّاس: يعني: يظهر قيام السَّاعة.

وروى سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن ابن عبَّاس قال: **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، يعني: عن أمر عظيم، وقال مجاهد: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** عن بلاء عظيم، وقال قتادة: يُكْشَفُ الأمر عن شدَّة الأمر" .

وقال الإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) في " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"(٣/ ١٩٣٠-١٩٣٣) في شرحه لقول الرَّسول ﷺ : "يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ" : "هذا الحديث ممَّا قد تهيَّب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التَّوقُّف عن تفسير كلّ ما

لا يحيط العلم بكُنهه من هذا الباب، فروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال : عن شدَّة وكرب. قال: فيحتمل أن يكون معنى قوله: يكْشفُ ربُّنا عن ساقه، أي: عن قدرته التي تنكشف عند الشِّدَّة والمعزة.

قال: حدَّثنا الحسن بن عبد الرَّحيم ، قال: حدَّثنا عبد الله بن زيدان أنَّ البجلي قال: حدَّثنا أبو كريب ، قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: سُئل عن قوله عزَّ وجلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن، فاتبعوه في الشِّعر، فإنَّه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشَّاعر:

اصْبِرْ عَنَاقُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ   وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وهو يوم كرب وشدَّة ، وقال غيره من أهل التَّفسير والتَّأويل في قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي: عن الأمر الشَّديد، وأنشدوا:

قَدْ شَمَّرَتْ عن سَاقِهَا فَشَدُّوا   وَجَدَّتِ الحَرْبُ بكمْ فَجِدُّوا

وقال بعض الأعراب:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا   ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا

فِي سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

وإنَّما جاء ذكر الكشف عن السَّاق على معنى الشِّدَّة، فيحتمل والله أعلم أن يكون معنى الحديث أنَّه يبرز من أمر القيامة وشدَّتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان، فيتميَّز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص، فيؤذن لهم في السُّجود وينكشف الغطاء عن أهل النِّفاق، فتعود ظهورهم طبقاً لا يستطيعون السُّجود.

وقد تأوَّله بعض النَّاس فقال: لا ينكر أن يكون الله سبحانه وتعالى قد يكْشفُ لهم عَنْ سَاقٍ لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم، فيجعل ذلك سبباً لبيان ما شاء من حكمه في أهل الإيمان وأهل النِّفاق.

قلت: وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة، وقد يحتمله معنى اللغة، سمعت أبا عمر يذكر عن أبي العَّباس أحمد بن يحيى النَّحوي فيما عدَّ من المعاني المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم. قال: والسَّاق: النَّفس ، قال: ومنه قول علي بن أبي طالب ﷺ حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج فقال: والله لأقاتلنَّهم ولو تلفت ساقي، يريد نفسه ، فقد يحتمل على هذا أن يكون المراد به التَّجلِّي لهم وكشف الحجب حتى إذا رأوه سجدوا له، ولست أقطع به القول ، ولا أراه واجباً فيما أذهب إليه من ذلك، وأسأل الله أن يعصمنا من القول بما لا علم لنا به".

وقال الإمام ابن جنِّي الموصلي(٣٩٢هـ) في " الخصائص"(٣/٢٤٩) :" ... ذهب بعض هؤلاء الجهَّال في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** أنَّها ساق ربِّهم -ونعوذ بالله من ضعفة النَّظر، وفساد المعتبر- ولم يشكُّوا أنَّ هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسمًا معضىً - ذُو أَعْضَاء - ؛ على ما يشاهدون من خلقه، عزَّ وجهه، وعلا قدره، وانحطَّت سوامى الأقدار والأفكار دونه. ولو كان لهم أُنس بهذه اللغة الشَّريفة أو تصرُّف فيها، أو مزاولة لها لحمتهم السَّعادة بها، ما أصارتهم الشِّقوة إليه، بالبعد عنها ".

وقال أيضاً في "الخصائص" (٣/ ٢٥٤-٢٥٥):"فأمَّا قول من طغى به جهله، وغلبت عليه شِقوته، حتَّى قال في قول الله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** : إنَّه أراد به عضو القديم، وإنَّها جوهر كهذه الجواهر الشَّاغلة للأماكن ، وإنَّها ذات شعر، وكذا وكذا ممَّا تتايعوا في شناعته وركسوا في غوايته ، فأمرٌ نحمد الله على أن نزَّهنا عن الإلمام بحراه . وإنَّما السَّاق هنا يراد بها شدَّة الأمر؛ كقولهم:

قَدْ قَامَتِ الحَرْبُ عَلَى سَاق

ولسنا ندفع من ذلك أنَّ السَّاق إذا أُريدت بها الشدَّة فإنَّما هي مشبّهة بالسَّاق هذه التي تعلق القدم، وأنَّه إنَّما قيل ذلك لأنَّ السَّاق هي الحاملة للجملة، المنهضة لها. فذكرت هنا لذلك تشبيهاً وتشنيعاً. فأمَّا أن تكون للقديم -تعالى- جارحة: ساق أو غيرها فنعوذ بالله من اعتقاده أو الاجتياز بطواره. وعليه بيت الحماسة:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال الإمام أبو نصر الفارابي(٣٩٣هـ) في "الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة"(٤/١٤٩٩) : "وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي عن شدَّة، كما يقال: قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ " .

وقال الإمام أبو هلال العسكري(نحو ٣٩٥هـ) في "الصِّناعتين"(ص٢٦٨) : "والشَّاهد على أنَّ للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أنَّ قول الله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** أبلغ وأحسن وأدخل ممَّا قصد له من قوله لو قال: يوم يُكْشَفُ عن شدَّة الأمر، وإن كان المعنيان واحداً؛ ألا ترى أنَّك تقول لمن تحتاج إلى الجدّ في أمره: شمِّر عن ساقك فيه، واشدد حيازيمك له؛ فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك: جدّ في أمرك، وقول دريد بن الصمَّة :

كَميشُ الإِزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ   صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وقال الهذليّ :

وَكُنتُ إِذَا جَارِي دَعا لِمَضوفَةٍ   أُشَمِّرِ حَتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

وقال الإمام ابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) في " تفسير القرآن العزيز" (٥/٢٢-٢٣) : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ قَبْلَ هَذَا **﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** ، يَعْنِي: بِبَالِغَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قَالَ مُجَاهد: كُلُّ كَرْب أَوْ شدَّة فَهُوَ ساقٌ ، وَمِنْهُ قَوْله : **﴿وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ، أَيْ: كَرْبُ الدُّنْيَا بِكَرْبِ الْآخِرَةِ" .

وقال الإمام أبو عبيد أحمد بن محمَّد الهروي(٤٠١ هـ) في "الغريبين في القرآن والحديث"(٣/٩٥٣) : "قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** يقول أهل اللغة: يُكْشَفُ عن الأمر الشَّديد، وهو قول ابن عبَّاس ومجاهد.

وقوله تعالى: **﴿وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ، قيل: التفَّت آخر شدَّة الدُّنيا بأوَّل شدَّة الآخرة، وقيل: التفَّت ساقه بالأخرى إذا لفَّتا في الكفن، وقال ابن الأنباري: العرب تذكر السَّاق إذا أرادت شدَّة الأمر وخبرت عن هوله.

وأخبرنا ابن عمّار قال: أخبرنا أبو عمر عن أبي العبَّاس عن ابن الأعرابي ، قال: السَّاقان شدَّة الدُّنيا والآخرة.

وفي حديث معاوية- رحمه الله-: (قال رجل: خاصمت إليه ابن أخي فجعلت أحُجُّه ، فقال: أنت كما قال:

أَنّى أُتيحَ لَهَا حِرباءُ تَنضُبَةٍ   لا يُرسِلُ السَّاقَ إلَّا مُمسِكاً سَاقا

أراد لا تنقضي له حجَّة حتى يتعلَّق بأخرى تشبيهًا بالحرباء، والأصل فيه أنَّ الحرباء تستقبل الشَّمس فتعلَّق بصف الشَّجرة ثمَّ ترتقي إلى الأغصان إذا حميت الشَّمس ثمَّ ترتقي إلى غصن أعلى منه فلا ترسل الأوَّل حتى تقبض على الآخر.

وقال عليٌّ ﷺ في حرب الشَّراة: (لا بدَّ من قتالهم ولو تلفت ساقي) ، قال أبو العبَّاس: السَّاق النَّفس، رواه عنه أبو عمر الزَّاهد .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (٤٠٦هـ) في "مشكل الحديث وبيانه" (ص٣٤٧) : "": " فَأَمَّا قَوْله : فَيكْشف عَنْ سَاقٍ ، فَلم يضف ذَلِك إِلَى أحد ، وَمَعْنَاهُ عَن شدَّة ، لِأَنَّ ثمل هَذَا الْكَلَام مُسْتَعْمل فِي اللُّغَة على معنى شدَّة الْأَمر ، كَمَا قَالَ الشَّاعِر :

وَقَامَت الْحَرْب بِنَا على سَاق ...

قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله عزَّ وَجلَّ : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أَي : شدَّة الْأَمر" .

وقال أيضاً في "مشكل الحديث وبيانه" لَا يجوز أَن يُقَال لله سَاق أَو يكْشفُ عَن سَاقه من قبل أَنَّ الْأَلْفَاظ المروية فِي الْأَخْبَار وَمَا ورد فِي الْقُرْآن الْكَرِيم من ذَلِك قَوْله : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿الحاقة : ٤٢﴾ ، فَإِنَّمَا ورد مُطلقًا غير مُضَاف وَلَا مُقَيّد . وَقد رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس تَأْوِيل ذَلِك وَأَنَّ مَعْنَاهُ يَوْم يُكْشَفُ عَن شدَّة ، وَإِن ذَلِك كَلَام الْعَرَب لأَنَّهم يَقُولُونَ : قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاق ، أَي : على شدَّة. وروى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ عَن النَّبِي ﷺ فِي قَوْله: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ : عَن نور عَظِيم" .

وقال الإمام الشَّريف الرّضي (٤٠٦هـ) في "تلخيص البيان في مجازات القرآن" (٢/ ٣٣) : " ففي قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ لم يقصد ظاهر الكلام من الكشف عن السُّوق حقيقة ، وإنَّما المقصود أنَّه يُكْشَفُ عن شدَّة من الأمر- كما قال قتادة - أو عن أمر عظيم كما قال إبراهيم النَّخعي. وأصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه شمَّر عن ساقه. فاستُعيرت السَّاق في موضع الشِّدَّة" .

وقال أيضاً في "تلخيص البيان في مجازات القرآن" (٢/ ٣٤١-٣٤٢) : "قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ، وهذه استعارة. والمراد بها الكناية عن هول الأمر وشدَّته، وعظم الخطب وفظاعته. لأنَّ من عادة النَّاس أن يشمِّروا عن سُوقهم عند الأمور الصَّعبة، التي يحتاج فيها إلى المعاركة، ويفزع عندها إلى الدِّفاع والممانعة. فيكون تشمير الذُّيول عند ذلك أمكن للقراع، وأصدق للمصاع.

وقد جاء في أشعارهم ذكر ذلك في غير موضع. قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي:

فَإِنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقِها فَوَيْهًا رَبِيعَ ولا تَسْأَمِ

وقال الآخر :

قَدْ شَمَّرَتْ عن سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بكمْ فَجِدُّوا

وقال الإمام أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) في "تفسير السّلمي وهو حقائق التَّفسير" (٢/ ٣٤٥) :" قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال جعفر : عن الأهوال والشَّدائد والصِّراط والحساب ، وعبدي المؤمن الذي سبقت له عنايتي ورحمتي سالمٌ من تلك الأهوال والشَّدائد ، ولا يكون له علم بشدائدها وأهوالها ، وكلّ ما سبقت له من الله تعالى العناية يسجد بين يديه مفتقراً ، ومن سبق له من الله العدل لا يقدر أن يسجد وظهره كالحجر لا يلين بسجود ربِّ العالمين . وقال أيضاً : إذا التقى الوليُّ مع الوليِّ انكشف عنه الشَّدائد".

وقال الإمام أبو علي الأصفهاني (٤٢١ هـ) في "شرح ديوان الحماسة" (ص٣٥٨) : " وقوله : " كشفت لهم عن ساقها " ، مثلٌ يضرب لشدَّة الحرب، وإنَّما أهلها في ذلك الوقت يكشفون عن السَّاق، فجعل الفعل لها، والمراد انكشفت الحرب لهم عن تشمر أهلها واشتدادها. وقد قيل: السَّاق اسمٌ للشدَّة، وفسّر عليه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، فقيل: المعنى يوم يُكْشَفُ عن شدَّة. وكذلك كشفت الحرب عن ساقها، معناه أبرزت عن شدَّتها" .

وقال الإمام الثَّعلبي (٤٢٧هـ) في " الكشف والبيان عن تفسير القرآن" (١٠/١٨-٢٠) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، أي : عن أمر شديد فظيع، وهو إقبال الآخرة. قرأه العامَّة بياء مضمومة، وقرأ ابن عبَّاس بتاء مفتوحة، أي : يكْشف القيامة عن ساقها. وقرأ الحسن بتاء مضمومة ﴿**عَنْ سَاقٍ**﴾ ، أي : عن أمر شديد فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهاب الدُّنيا ، وهذا من باب الاستعارة، يقول العرب للرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى جدّ وجهد ومعاناة ومقاساة للشدَّة: شمَّر عن ساقه، فاستُعير السَّاق في موضع الشدَّة.

قال دريد بن الصّمَّة يرثي رجلاً:

كَمِيشُ الإِزَارِ خَارِجُ نِصْفِ سَاقِهِ   صَبُورٌ عَلَى الجـَّلاَءِ طَلاَعُ أَنْجَدَ

ويقال للأمر إذا اشتدَّ وتفاقم وظهر وزالت عماه: كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة، وإن لم يكن للأمر ساق وهو كما يقال: أسفر وجه الأمر، واستقام صدر الرَّأي. قال الشَّاعر يصف حرباً:

كَشَفَتْ لَهُم عَـنْ سَاقِهَـا   وَبَـدَا مِنَ الشَرِّ الصُّراحُ

وأنشد ابن عبَّاس:

اصْبِرْ عَنَاقُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ   قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

وقال آخر:

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وَجَدَّتْ الْحَرْب بِكُمْ فَجِدُّوا

والعرب تقول له: الحرب كشفت عن ساقها، قال الشَّاعر:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا

في سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَـــاقِهَا حمراء تَبْرِي اللحم عن عِرَاقِهـا

ونحو ذلك قال أهل التَّأويل.

أخبرنا أبو بكر بن عبد أوس، أخبرنا أبو الحسن محفوظ، حدَّثنا عبد الله بن هاشم، حدَّثنا عبد الرَّحمن بن مهدي، عن سفير عن عاصم، عن سعيد بن جبير: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ**﴾ ، قال: عن شدَّة الأمر. وقال ابن عبَّاس: هي أشدُّ ساعة في يوم القيامة.

وقال الرَّبيع عن العطا: أخبرنا ابن فنجويه، حدَّثنا أحمد بن جعفر بن سلم الجتلي، حدَّثنا محمَّد بن عمر وابن مسعدة البيروتي، حدَّثنا محمَّد بن الوزير السّلمي، حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري، عن النَّبيّ ﷺ : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ**﴾ ، قال: «نور عظيم يخرُّون له سجَّدا». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٨ برقم ١١٤٣٦) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ رَوْحُ بْنُ جَنَاحٍ، وَثَّقَهُ دُحَيْمٌ وَقَالَ فِيهِ: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

وقال الإمام مكّي بن أبي طالب(٤٣٧هـ) في "الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه " (٢/ ١٥٢٠-١٥٢١) : " ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي: شدَّة الأمر، وذلك أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر يحتاج إلى معاناة، شمَّر عن ساقه، فاستُعير السَّاق في موضع الشدَّة، وهو كثير في القرآن، وإنَّما هذا في أصل كلام العرب ثمَّ خاطبهم الله على ما يعقلون في كلامهم وما اعتادوا منه" .

وقال أيضاً في " الهداية إلى بلوغ النِّهاية" (١٢/ ٧٦٤٤-٧٦٤٨) : "قال ابن عبَّاس: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، هو يوم كرب وشدَّة وأمر عظيم.

وقرأ ابن عبَّاس: " يوم نَكشِف " بالنُّون.

وقرأ ابن مسعود: " يوم يكْشفُ " بفتح الياء وكسر الشِّين.

وعن ابن عبَّاس أيضاً أنَّه قرأ " يوم تَكشِف " بالتَّاء، يريد القيامة تكشف عن أهوالها.

وروى مجاهد عن ابن عبَّاس: ﴿عَنْ سَاق﴾ ، قال: هي أوَّل ساعة من القيامة، وهي أفظعها وأشدّها.

وقال ابن جبير: ﴿عَنْ سَاق﴾ : عن شدَّة الأمر .

وقال قتادة : ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ : عن أمر فظيع لهم جليل...

قال أبو محمَّد: فمعنى "يكشف لهم عن ساق" ، أي: عن أمر عظيم وقدرة لا يقدر عليها إلَّا الله ، فيعرفونه تعالى بها أظهر من قدرته إليهم. ولا يحلُّ لأحد أن يتأوَّل في هذا وما شابهه جارحة، إذ ليست صفات الله كصفات الخلق، كما أنَّه ليس كمثله شيء، فاحْذَرْ أن يتمثَّل في قلبك شيء من تشبيه الله بخلقه، فغير جائز في الحكمة والقدرة أن يكون المخلوق يشبه الخالق في شيء من الصِّفات، ومن شبَّه الخالق بالمخلوق فقد أوجب على الخلق الحدث، وكفر وأبطل التَّوحيد، إذ في ذلك نفي القِدَم عن الخالق، تعالى الله عمَّا يقول الظَّالمون علوَّاً كبيراً.

وقال ابن مسعود: يُنَادِي مُنَادٍ: أَلَيْسَ عَدْلًا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ثُمَّ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ، أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ قَوْمٍ مَا تَوَلَّوْا، فَيَقُولُونَ: بَلَى فَيُنَادِي بِذَلِكَ مَلَكٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَمْثُلُ لِكُلِّ قَوْمٍ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، فَيَتَّبِعُونَهَا، حَتَّى تُورِدَهُمُ النَّارَ، فَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَخِرُّ الْمُؤْمِنُونَ سُجَّدًا، وَتُدْمَجُ أَصْلَابُ الْمُنَافِقِينَ، فتكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا، كَأَنَّهَا صَيَاصِي الْبَقَرِ، وَيَخِرُّونَ عَلَى أَقْفِيَتِهِمْ، فيقول الله تعالى لَهُمُ: ارْفَعُوا رؤوسكم إِلَى نُورِكُمْ بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ ... ثمَّ ذكر قصَّة طويلة.

ذكره ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثَّمانية " (١٨/ ٤٩٢ برقم ٤٥٣٩) ، وقال : "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مُتَّصِلٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ " .

وذكر أبو سعيد الخدري: عن النَّبيِّ ﷺ نحو ذلك وأطول.

والعرب تقول: انكشف الأمر عن ساق، أي: عن هول وأمر غليظ شديد. وأصل هذا أنَّ الرَّجل إذا جدَّ في أمر فيه صعوبة وشدَّة تشمَّر وكشف عن ساقه، فجعل السَّاق في موضع الشدَّة" .

وقال الإمام سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري (توفِّيَ في النِّصف الأوَّل من القرن السَّادس الهجري) في "الإبانة في اللغة العربيَّة " (١/ ١٧٩-١٨٠) : "والاتساع معروف في كلامهم، وهو: إقامة الكلمة موضع الأخرى اتِّساعاً، وهو كالاستعارة؛ وذلك لسعة لغتهم، وحسن فصاحتهم، وفهم كلّ منهم ما يريده الآخر.

كقول الله، عزَّ وجلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي: عن شدَّة من الأمر.

وأصله: أنَّ الإنسان إذا وقع في أمر عظيم، شمَّر عن ساقه، فاستُعيرت السَّاق في موضع الشدَّة اتِّساعاً.

قال دريد بن الصمة:

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجُ نِصْفِ سَــاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الجَــلاَءِ طَلاَعُ أَنْجَدَ

وقال الهُذلي:

وَكُنتُ إِذَا جَارِي دَعا لَِمضوفَة أُشَمِّرِ حَتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

قول دريد: "كميش الإزار، أي: هو مشمّر من أمره، وهذا مثل. ويقال: رجل كميش، أي: عزوم ماض.

وقول الهُذلي: "لمضوفة"، أراد به: مفعلة من التضيف. نقول: نزلت به مضوفة من الأمر، أي: شدَّة " .

وقال الإمام ابن بطَّال (٤٤٩هـ) في "شرح صحيح البخاري" (١٠/ ٤٦٣-٤٦٤) : "قال ابن عبَّاس في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ﴿القلم: ٤٢﴾ عن شدَّة الأمر، وروي عن عمر بن الخطَّاب في قوله تعالى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ﴿القيامة: ٢٩﴾ ، أي: أعمال الدُّنيا بمحاسبة الآخرة. وذلك أمر عظيم، والعرب تقول:

قَامَتِ الحَرْبُ عَلَى سَاق

إذا كانت شديدة ، فيظهر الله على الخلائق هذه الشدَّة التي لا يكون مثلها من مخلوق ليبكِّت بها الكافرين، وينزع عنهم قدرتهم التي كانوا يدَّعونها، فيعلمون حينئذ أنَّه الحقّ، فيذهبون إلى السُّجود مع المؤمنين لما يرون من العظمة والشِّدَّة فلا يستطيعون؛ فيثبت الله المؤمنين فيسجدون له .

وذكر ابن فورك ، قال: روى أبو موسى الأشعري عن النَّبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** ، قال: عن نور عظيم ، قال: ومعنى ذلك ما يتجدَّد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف، ويظهر لهم من فضل سرائرهم التي لم يطَّلع عليها غيره تعالى. قال المهلَّب: هذا يدلُّ على أنَّ كشف السَّاق للكافرين نقمة وعذاب، وللمؤمنين نور ورحمة ونعمة" .

وقال الإمام الماوردي (٤٥٠هـ) في "النُّكت والعيون"(٦/ ٧٠-٧١) : **﴿يوم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** فيه أربعة أوجه:

أَحَدُهَا: عَنْ سَاقِ الآخرة ، قاله الحسن.

الثَّانِي: السَّاق الغطاء ، قاله الرَّبيع بن أنس ، ومنه قول الرَّاجز:

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عن ساقِها حَمْراءَ تَبْرِي اللَحْمَ عن عِراقِها

الثَّالِثُ: أنَّه الكرب والشدَّة ، قاله ابن عبَّاس ، ومنه قول الشَّاعر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

الرَّابِعُ: هو إقبال الآخرة وذهاب الدُّنيا ، قال الضحَّاك: لأنَّه أوَّل الشَّدائد ، كما قال الرَّاجز:

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتْ الْحَرْب بِكُمْ فَجِدُّوا

فأمَّا ما روي أنَّ اللهَّ تعالى يكْشفُ عن ساقه ، فإنَّ اللهَّ تعالى منزَّه عن التَّبعيض والأعضاء ، وأن ينكشف أو يتغطَّى ، ومعناه : أنَّه يكْشفُ عن العظيم من أمره ، وقيل : يكْشفُ عن نوره" .

وقال الإمام ابن حزم (٤٥٦) في "الفصل في الملل والأهواء والنِّحل"(٢/ ١٢٩) : " قَالَ الله عزَّ وَجلَّ فِي الْقُرْآن: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُود﴾** ، وَإِنَّمَا هُوَ إِخْبَار عَن شدَّة الْأَمر وهول الْمَوْقف ، كَمَا تَقول الْعَرَب :

قد شمَّرت الحَرْب عَن سَاقهَا

قَالَ جرير :

أَلَا رُبَّ سَــامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وقال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(٤٥٨هـ) في "المحكم والمحيط الأعظم"(٦/ ٥٢٥) : " وَقَوله عزَّ وَجلَّ: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** إِنَّمَا يُرَاد بِهِ: شدَّة الْأَمر، كَقَوْلِهِم: قَامَت الْحَرْبُ عَلَى سَاق، ولسنا ندفع مَعَ ذَلِك أَنَّ السَّاق إِذا أُريدت بهَا الشِّدَّة فَإِنَّمَا هِيَ مشبّهة بالسَّاق هَذِه الَّتِي تعلو الْقدَم، وَإِنَّهُ إِنَّمَا قيل ذَلِك، لِأَنَّ السَّاق هِيَ الحاملة للجملة والمنهضة لَهَا، فَذكرت هُنَا لذَلِك تَشْبِيهاً وتشنيعاً، وعَلى هَذَا بَيت الحماسة:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وَقد يكون: **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** لِأَن النَّاس يكشفون عَن سوقهم، ويشمِّرون للهرب عِنْد شدَّة الْأَمر.

وَقَالَ ابْن مَسْعُود: يكْشفُ الرَّحْمَن جلّ ثَنَاؤُهُ عَن سَاقه فيخرُّ الْمُؤْمِنُونَ سجَّداً، وَتَكون ظُهُور الْمُنَافِقين طبقًا طبقًا كَأَن فِيهَا السَّفَافِيد" .

وقال الإمام عبد الكريم القشيري(٤٦٥هـ) في"لطائف الإشارات"(٣/ ٦٢١) : **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** : أي : عن شدَّة يوم القيامة" .

وقال الإمام الواحدي النَّيسابوري (٤٦٨هـ) في"الوسيط في تفسير القرآن المجيد"(٤/ ٣٣٩-٣٤٠) : " قال المفسِّرون: في قوله: **﴿عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي: عن شدَّة من الأمر.

قال مجاهد، عن ابن عبَّاس، قال: هو أشدُّ ساعة في يوم القيامة.

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الْأَصْفَهَانِيُّ، أنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، نا أَبُو يَحْيَى الرَّازِيُّ، نا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، نا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ **﴿يَوْمَ**

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴿القلم: ٤٢﴾ ، فَقَالَ: إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاق

هُوَ يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا أبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب، نا يحيى بن أبي طالب، أنا حمَّاد بن مسعدة، أنا عمر بن أبي زائدة، قال: سمعت عكرمة سئل عن قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قال: إذا اشتدَّ الأمر في الحرب، قيل: كشفت الحرب عن ساق.

أخبرهم الله تعالى عن شدَّة ذلك اليوم، وقال ابن قتيبة: أصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه، شمَّر عن ساقة، فاستُعِيرَ الكشف عن السَّاق في موضع الشِّدَّة، وأنشد لدريد بن الصمَّة قوله:

كَميشُ الإِزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ　　صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وتأويل الآية: يوم يشتدُّ الأمر، كما يشتدُّ ما يحتاج فيه إلى أن يُكْشَفُ عن السَّاق" .

وقال أيضاً في "التَّفسير البسيط"(٢٢/ ١١١-١١٥) : "وأمَّا معنى قوله: **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، فروى عكرمة عن ابن عبَّاس قال: عن شدَّة. ألم تسمع إلى قول الشَّاعر :

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاق

قال: وسئل ابن عبَّاس عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشِّعر ـ فإنَّه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشَّاعر:

قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْبَ الأعْناقَ　　وقامَتِ الحَرْبُ بِنا عَلى ساقْ

ثمَّ قال : هو يوم كرب وشدَّة .

وروى عطاء عنه قال: يريد شدَّة في الآخرة.

وروى إبراهيم عنه أيضًا: عن شدَّة الأمر .

قال : وقال ابن عبَّاس يُكْشَفُ عن أمر عظيم .

وروى مجاهد عنه قال: هو أشدُّ ساعة في القيامة. فهذا ما روي عن ابن عبَّاس في هذه الآية . ونحو هذا قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. قالوا: عن شدَّة الأمر وبلاء عظيم . وهذا قول جميع أصحاب اللغة !!!

قال أبو عبيدة: إذا اشتدَّ الأمر والحرب ، قيل: قد كشف الأمر عن ساقه، وأنشد لقيس بن زهير فقال:

فَإنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقِها فَوَيْهًا رَبِيعَ ولا تَسْأمِ

وروى الفرَّاء بإسناده عن ابن عبَّاس أنَّه قال: يريد يوم القيامة والسَّاعة لشدَّتها. قال الفرَّاء: أنشدني بعض العرب لجدّ طرفة :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال أبو إسحاق: معنى ﴿**يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ كشف عن الأمر الشَّديد ، وأنشد:

قَد شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فشُدّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

والقوس فيها وتر عُرُدُّ .

وقال ابن قتيبة: أصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ شمَّر عن ساقه. فاستُعيرت السَّاق والكشف عنها في موضع الشِّدَّة ، قال دريد يرثي رجلاً:

كَميشُ الإِزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وقال الهذلي:

وَكُنتُ إِذَا جَارِي دَعا لَِضوفَة أُشَمِّرِ حَتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

وأنشد أيضًا فقال :

في سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءِ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِهَا

وزاد غيره بيانًا ، فقال: تأويل الآية: يوم يشتدُّ الأمر كما يشتدُّ ما يحتاج فيه إلى أن يُكْشَفُ عن ساق. وقد كثر هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل في شدَّة الأمر" .

وقال أيضاً في "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (ص١١٢٤) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ عن شدَّةٍ من الأمر وهو يوم القيامة ، قال ابن عبَّاس ﷺ : أشدُّ ساعةٍ في القيامة ، فصار كشف السَّاق عبارةً عن شدَّة الأمر" .

وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في "دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر" (٢/٦٥٧) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ**﴾ عبارة عن شدَّة الأمر" .

وقال الإمام أبو إسحاق الشِّيرازي (٤٧٦هـ) في "التَّبصرة في أصول الفقه" (ص١٧٨) :"...والاستعارة كَقَوْلِه تَعَالَى : ﴿**يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق**﴾ فَعبَّر عَن شدَّة الْحَال بكشف السَّاق ، لِأَنَّ عِنْد الشَّدائد يُكْشَفُ عَن السَّاق" .

وقال الإمام أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولِّي الشَّافعي (٤٧٨ هـ) في "الغنية في أصول الدِّين" (ص١١٥) : " ومنها قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، والمراد به التَّنبيه على أهوال يوم القيامة ، كما يقال : قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِهَا ، أي : على شدَّتها " .

وقال الإمام علي بن فَضَّال بن علي بن غالب الْمُجَاشِعِي القيرواني (٤٧٩هـ) في " النُّكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)" (ص١٧٥) : "قوله تعالى:﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، يحتمل في اللغة أن يكون ساق الإنسان وساق الشَّجرة، والشَّدة من قولهم:

قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

والوجهان الأوَّلان لا يجوزان على الله في أشباه لذلك" .

وقال أيضاً في "النُّكت في القرآن الكريم" (ص٥٢٨-٥٢٩) : " السَّاقُ : الشدَّة، يقال، قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِها، أي: على شدَّة، وأصله: أنَّ الإنسان إذا عانى أمراً شديداً كشف عن ساقه، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، عن شدَّة، قال الرَّاجز:

قد كشفت عَنْ سَاقِ فشدُّوا" .

وقال الإمام محمَّد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي(٤٨٨هـ) في "تفسير غريب ما في الصَّحيحين البخاري ومسلم" (ص٤٣٤) : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، قَالَ أهل اللُّغَة : يُكْشَفُ عَن الْأَمر الشَّديد ، وَرُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس وَمُجاهد ، وَيُقَال : كشف الرَّجل عَنْ سَاقِ إِذا جدَّ وشمَّر فِي أَمر مُهِمّ قد طرقه لتداركه" .

وقال الإمام أبو المظفَّر السَّمعاني(٤٨٩هـ) في "قواطع الأدلَّة في الأصول" (١/٢٦٨) : "وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي : شدَّة" .

وقال أيضاً في " تفسير القرآن" (٦/٢٨) : " قَوْله تَعَالَى: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾** ، قَالَ عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس: عَن الْأَمر الشَّديد، وَفِي هَذِه الرِّوَايَة عَن ابْن عَبَّاس أَنه قَالَ: إِذا أشكل عَلَيْكُم الْقُرْآن فالتمسوه فِي الشّعْر، فَإِنَّهُ ديوَان الْعَرَب، وَأنْشد:

وَقَامَت الحَرْب بِنَا على سَاق ...

وَهَذَا قَول مَعْرُوف، وَقَالَ ابْن قُتَيْبَة: كَانَت الْعَرَب إِذا اشْتَدَّ بهم الْأَمر عبَّروا بِهَذَا اللَّفْظ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَان إِذا وَقع لَهُ الْأَمر وَأَخذه بجدّ وَجهد يَقُول: شمر عَن سَاقه، فَوضعت السَّاق مَوضِع الشدَّة. قَالَ الشَّاعِر:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وإنْ شمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وَقَالَ دُرَيْد بن الصمَّة:

كَميشُ الإزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وَفِي رِوَايَة أُخْرَى عَن ابْن عَبَّاس: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، أَي: عَن هول وكربة وَشدَّة، وَهُوَ بِمَعْنى الأوَّل.

وَقَالَ مُجَاهِد: هُوَ أول سَاعَة من سَاعَات الْقِيَامَة، وَهِي أفظعها وأشدّها على النَّاس.

هَذَا كُله قَول وَاحِد.

وروى أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ عَن النَّبِي أَنه قَالَ: " إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة يكْشفُ رَبُّنَا عَن سَاقه، فَيسْجد كلّ مُؤمن ومؤمنة، وَيذْهب الْمُنَافِقُونَ ليسجدوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ".

وَعَن ابْن مَسْعُود أَنَّه قَالَ نَحواً من هَذَا.

وَقَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، أَي: السّتْر بَين الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

وَيُقَال: الغطاء بَين الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، ومعناهما قريب " .

وقال الإمام الرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) في "المفردات في غريب القرآن" (ص٧١٢) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ﴿القلم: ٤٢﴾ ، قيل: أصله من: قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ، أي: ظهرت الشّدَّة، وقال بعضهم: أصله من تذمير النَّاقة، وهو أنَّه إذا أخرج رجل الفصيل من بطن أمِّه، فيقال: كُشِفَ عن السَّاق" .

وقال الإمام الكرماني (المتوفَّى: نحو ٥٠٥هـ) في "غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل" (٢/١٢٤١) : "قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** . هذه عبارة عن شدَّة الأمر وصعوبته، ومثله قولهم: شمَّر عن ساقه.

الحسن: عَنْ سَاقِ الآخرة، وهو السِّتر الذي بين الدُّنيا والآخرة.

ابن عبَّاس: هي أشدُّ ساعة في القيامة.

الغريب: أبو موسى الأشعري، عن النَّبيِّ ﷺ : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال: عن نور عظيم يخرُّون له سجَّداً ". وقيل: عَنْ سَاقِ العرش.

العجيب: ابن مسعود: يوم يكْشفُ الرَّبُّ عن ساقه.

وهذا يؤوَّل كما يؤوَّل غيرها من الآيات، ولا يوصف الله سبحانه بالأعضاء والأجزاء والأبعاض".

وقال الإمام البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن" (٥/١٣٩) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ، قِيلَ: يَوْمَ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ : **﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾** ، أَيْ : فَلْيَأْتُوا بِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

لِتَنْفَعَهُمْ وَتَشْفَعَ لَهُمْ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ، قِيلَ: عَنْ أَمْرٍ فَظِيعٍ شَدِيدٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي الْقِيَامَةِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ . وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: تَقُولُ الْعَرَبُ لِلرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْجِدِّ وَمُقَاسَاةِ الشِّدَّةِ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، وَيُقَالُ: إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ فِي الْحَرْبِ كشفت الحرب عَنْ سَاقٍ ".

وقال الإمام أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي(٥٢٠هـ) في "البيان والتَّحصيل والشَّرح والتَّوجيه والتَّعليل لمسائل المستخرجة"(٥٠٧/١٨) : " قال ابن عبَّاس في قَوْله تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي : عن شدَّة من الأمر" .

وقال الإمام إسماعيل الأصبهاني الملقَّب بقوام السُّنَّة (٥٣٥هـ) في "إعراب القرآن"(ص٧٣) : " قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، يحتمل في اللغة أن يكون ساق الإنسان، وساق الشَّجرة، والشدَّة من قولهم: قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ، والوجهان الأوَّلان لا يجوزان على الله، وأشباه لذلك ".

وقال الإمام الزَّمخشري (٥٣٨هـ) في "الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل"(٥٩٣/٤-٥٩٥) :"الكشف عن السَّاق والإبداء عن الحزام : مثل في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الرَّوع والهزيمة وتشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ في الهرب، وإبداء خدَّامهن عند ذلك.

قال حاتم:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّها   وإنْ شمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وقال ابْنُ الرُّقَيَّات :

تُذهِلُ الشَّيخَ عَن بَنِيه وتُبْدِي   عَنْ خِدامِ العَقِيلَةُ العَذراءُ

فمعنى **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** في معنى: يوم يشتدّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشَّحيح: يده مغلولة، ولا يد ثَمَّ ولا غل، وإنَّما هو مثل في البخل.

وأمَّا من شبَّه فلضيق عطنه وقلَّة نظره في علم البيان، والذي غرَّه منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «يكشف الرَّحمن عن ساقه، فأمَّا المؤمنون فيخرُّون سجَّدا» ، وأمَّا المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً

طبقاً كأنّ فيها سفافيد» ، ومعناه: يشتدُّ أمر الرَّحمن ويتفاقم هوله، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة، ثمَّ كان من حقِّ السَّاق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبّه، لأنَّها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرَّحمن. فإن قلت: فلم جاءت منكرة في التَّمثيل؟ قلت: للدَّلالة على أنَّه أمر مبهم في الشدَّة منكر خارج عن المألوف، كقوله يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ، كأنَّه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل، ويحكى هذا التَّشبيه عن مقاتل: وعن أبي عبيدة: خرج من خراسان رجلان، أحدهما: شبَّه حتَّى مثل، وهو مقاتل بن سليمان، والآخر نفى حتَّى عطَّل ، وهو جهم بن صفوان، ومن أحسَّ بعظم مضارّ ففد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه. وقرئ: يوم نكشف بالنُّون. وتكشف بالتَّاء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، والفعل للسَّاعة أو للحال، أي: يوم تشتدّ الحال أو السَّاعة، كما تقول: كشفت الحرب عن ساقها على المجاز.

وقرئ: تكشف بالتَّاء المضمومة وكسر الشِّين، من أكشف: إذا دخل في الكشف. ومنه. أكشف الرَّجل فهو مكشف، إذا انقلبت شفته العليا. وناصب الظَّرف: فليأتوا. أو إضمار «اذكر» أو **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** كان كيت وكيت، فحذف للتَّهويل البليغ، وإن ثمَّ من الكوائن ما لا يوصف لعظمه" .

وقال الإمام ضياء الدِّين أبو السَّعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشَّجري (٥٤٢هـ) في "أمالي ابن الشَّجري"(١/ ٣٤٢) : "... ومنه استعارة السَّاق لشدَّة الأمر، في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ألا ترى أنَّك تقول لمن يحتاج إلى الجدّ في أمر: شمّر عن ساقك فيه واشدد حيازيمك له، فيكون هذا القول أوكد في نفسه من قولك: جدّ في أمرك" .

وقال الإمام ابن عطيَّة الأندلسي (٥٤٢هـ) في "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"(٥/ ٣٥٢-٣٥٣) : " وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال مجاهد: هي أوَّل ساعة من يوم القيامة، وهي أفظعها، وتظاهر حديث من النَّبي ﷺ : «أنَّه ينادي مناد يوم القيامة ليتبع كلُّ أحد ما كان يعبد» ، قال: «فيتبع من كان يعبد الشَّمس الشَّمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، وكذلك كلُّ عابد لكلِّ

معبود ثمَّ تبقى هذه الأمَّة وغبرات أهل الكتاب، معهم منافقوهم وكثير من الكفرة، فيقال لهم: ما شأنكم لم تقفون، وقد ذهب النَّاس ؟!! فيقولون : ننتظر ربّنا ، فيجيئهم الله تعالى في غير الصُّورة التي عرفوه بها، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربُّنا، ويخرُّون للسُّجود فيسجد كلُّ مؤمن وتصير أصلاب المنافقين والكفَّار كصياصي البقر عظماً واحداً، فلا يستطيعون سجوداً» .

قال القاضي أبو محمَّد: هكذا هو الحديث وإن اختلفت منه ألفاظ بزيادة ونقصان !!! وعلى كلِّ وجه فما ذكر فيه من كشف السَّاق ، وما في الآية أيضاً من ذلك، فإنَّما هو عبارة عن شدَّة الهول وعظم القدرة التي يرى الله تعالى ذلك اليوم حتَّى يقع العلم أنَّ تلك القدرة إنَّما هي لله تعالى وحده، ومن هذا المعنى قول الشَّاعر في صفة الحرب :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

ومنه قول الرَّاجز:

وَشمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا

وقول الآخر:

في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عن ساقِها   حَمْراءَ تَبْرِي اللَحْمَ عن عِراقِها

وأصل ذلك أنَّه من أراد الجدّ في أمر يحاوله فإنَّه يكْشفُ عن ساقه تشميراً وجداً، وقد مدح الشُّعراء بهذا المعنى ، فمنه قول دريد:

كَميشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ   صَبُورٌ عَلَى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ

وعلى هذا من إرادة الجدّ والتَّشمير في طاعة الله تعالى، قال ﷺ : «أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه» .

أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٥٢ برقم ١١٠١٠) ، قال الارنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم. محمد بن أبي عدي: هو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، وشعبة: هو ابن الحجاج، والعلاء بن عبد الرحمن: هو ابن يعقوب الحُرقي المدني. وأخرجه ابن طهمان في "مشيخته" (١٢٠) مختصراً، والطيالسي (٢٢٢٨) ، وأبو داود (٤٠٩٣) ، وأبو عوانة ٥/ ٤٨٣، من طرق عن شعبة، بهذا الإسناد. وأخرجه مالك في "الموطأ" ٢/ ٩١٤-٩١٥، وأبو عوانة ٥/ ٤٨٣، والنسائي في "الكبرى" (٩٧١٤) و

(٩٧١٦) و (٩٧١٧) ، وابن حبان (٥٤٤٧) و (٥٤٥٠) ، والبيهقي في "السنن" ٢/ ٢٤٤، وفي "الشعب" (٦١٣٣) ، والبغوي (٣٠٨٠) من طرق عن العلاء، به. وقد سلفت أحاديث الباب في مسند ابن عمر برقم (٤٤٨٩) . قال السندي: قوله: "إزرة المؤمن" بكسر الهمزة: أي: كيفية لبسة الإزار أن يكون الإزار إلى نصف الساق" .

وقرأ جمهور النَّاس: **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** بضمِّ الياء على بناء الفعل للمفعول، وقرأ ابن مسعود: «يكشف» بفتح الياء وكسر الشِّين على معنى يكْشفُ الله، وقرأ ابن عبَّاس: «تكشف» بضم التَّاء على معنى تكشف القيامة والشدَّة والحال الحاضرة، وقرأ ابن عبَّاس أيضاً: «تكشف» بفتح التَّاء على أنَّ القيامة هي الكاشفة، وحكى الأخفش عنه أنَّه قرأ: «نكشف» بالنُّون مفتوحة وكسر الشِّين، ورويت عن ابن مسعود" .

وقال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (٥٤٤هـ) في "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" (٢/ ٢٣١) : " قَالَ ابْن عَبَّاس وَغَيره فِي قَوْله : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾** ، وَهُوَ الْأَمر الشَّديد ، وقاله أهل اللغة" .

وقال أيضاً في " إِكمَالُ الْمُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم"(١/ ٥٤٩) :"فيكشفُ عَنْ سَاقِ " ، قيل: معناه: الشِدَّةُ التي يُظهِرُها تعالى حينئذ على الخلائق، ونحوه عن ابن عبَّاس في قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق﴾** ، وقالوا: قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وقيل نحوه في قوله: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق﴾** ، قيل: هو نورٌ عظيم، ورد ذلك في حديث عن النَّبي ﷺ ، قال ابن فورَك: ومعنى ذلك: ما يتجدَّد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف، وقيل: قد تكون السَّاق علامةً بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمةٍ شنيعةٍ؛ لأنَّه يقال: ساقَ من النَّاس وقدم كما قيل: رجْلٌ من جراد، وقيل: قد يكون ساقاً مخلوقةً جعلها الله علامةً للمؤمنين خارجةً عن السُّوق المعتادة، وقيل: هو مثلٌ يُضربُ للعزم على المراد ،كما يقال: شمَّر فلانٌ في كذا عن ساقِهِ، وقيل: معناه: كشفُ الخوف وإزالةُ الرُّعب عنهم وما كان غلبت على عقولهم من هول الحال، فتطمئن حينئذ نفوسُهم عند ذلك ويتجلَّى لهم فيخرُّون

سُجَّداً، وقيل: هي عبارة عن التَّجلِّي. وقال الخطابي: وهذه الرُّؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرُّؤية التي في الجنة لكرامة أوليائه ، وإنَّما هذه للامتحان" .

وقال أيضاً في " إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم"(٨/ ٤٩٦) : "وقوله: "فذلك **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** معناه: ومعنى ما في كتاب الله عزَّ وجلَّ من ذلك – والله أعلم مراد نبيّه من هذا الحديث – وأنَّ المراد به: شدَّة الأمر وصعوبة الحال، كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها. قال الشَّاعر:

قَدْ جَدَّدَتِ بِكمُ الحَرْبُ فَجِدُّوا وَشَمَّرَت عَنْ سَاقها فشُدُّوا

وأصله أنَّ المُجِدّ في الأمر شمَّر إزاره، ويرفعه عن ساقه. وهو هنا بيِّن ، لأَنَّه ذكر قبله أن " يخرج بعث النَّار من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون". قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** ".

وقال الإمام محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النَّيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشَّهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ) في "باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن"(٣/ ١٥٣٥-١٥٣٦) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** ، عن غطاء. قال رؤبة:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِ الطَّيْرِ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَـــا حَمْرَاءَ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

وقيل: عن شدَّة وعناء، كما قال تأبَّط شراً:

... نَفسي فِداؤُكَ مِنْ سَارٍ عَلَى سَاقِ

وقال آخر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي(٥٥٨هـ) في "الانتصار في الرَّد على المعتزلة القدريَّة الأشرار" (٢/ ٤٧١) : " قال سبحانه : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ**

﴿إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ، فقوله: **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، يعني : عن يوم القيامة لهولها وشدَّتها، فيُستعار السَّاق عن الشدَّة ، ولهذا يقال: كشفت الحربُ عَنْ سَاقِ ، أي : عن شدَّة .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن علي البغدادي (٥٦٢هـ) في "التَّذكرة الحمدونيَّة" (٧/ ١١) :"وقال تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ .

وإنّما يراد بذلك الشّدّة- العرب تفرّق فتقول: كشف عن ساقه، وحسر عن ذراعه، وأسفر عن وجهه. هذا هو الفصيح، وربّما وضعت هذه الأفعال بعضها موضع بعض ولا يفسد الكلام" .

وقال الإمام إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ابن قرقول (٥٦٩هـ) في "مطالع الأنوار على صحاح الآثار" (٥/ ٥٥٠) : "قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي: شدَّة أمر وهول، قاله ابن عبَّاس ، وهو قول أهل اللغة" .

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في "زاد المسير في علم التَّفسير" (٤/ ٥٢٣-٥٢٤) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾** المعنى: فليأتوا بها **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** . قرأ الجمهور: **﴿يُكْشَفُ﴾** بضم الياء، وفتح الشِّين. وقرأ ابن أبي عبلة، وعاصم الجحدريّ، وأبو الجوزاء، بفتح الياء، وكسر الشِّين. وقرأ أبي بن كعب، وابن عبَّاس: «تكشف» بتاء مفتوحة، وبكسر الشِّين. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وابن يعمر، والضحَّاك: «نَكشف» بنون مفتوحة مع كسر الشِّين. وهذا اليوم هو يوم القيامة. وقد روى عكرمة عن ابن عبَّاس: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال: يُكْشَفُ عن شدَّة، وأنشدوا:

وَقَامَتْ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقْ

وهذا قول مجاهد، وقتادة.

قال ابن قتيبة: وأصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إِلى معاناته والجدّ فيه، شمَّر عن ساقه، فاستُعيرت السَّاق في موضع الشدَّة، هذا قول الفرَّاء وأبي عبيدة، واللغويين. وقد أضيف هذا الأمر إِلى الله تعالى.

فروي في «الصَّحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري عن النَّبي ﷺ أنَّه «يكشف عن ساقه» ، وهذا إضافة إليه، لأنَّ الكلَّ له وفعله. وقال أبو عمر الزَّاهد: السَّاق: يراد بها النَّفس ، ومنه قول عليّ رضي الله عنه: أقاتلهم ولو تلفت ساقي، أي: نفسي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلَّى لهم" .

وقال أيضاً في "نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر" (ص٣٤٠) : "ذكر أهل التَّفْسِير أَنَّ السَّاق فِي الْقُرْآن على وَجْهَيْن: ...

وَالثَّانِي: الشدَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي نون: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ .

وقال أيضاً في " دفع شُبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه" (ص١١٨-١٢١) : "ومنها : قوله تعالى : ﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾ ﴿القلم ٤٢﴾ ، قال ابن عبَّاس ومجاهد وإبراهيم النَّخعي وقتادة وجمهور العلماء : يُكْشَفُ عن شدَّة ، وأنشدوا :

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاق

وقال آخرون :

إذا شمَّرت عن ساقها الحرب شمَّرا

قال ابن قتيبة : وأصل هذا أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجدّ فيه شمَّر عن ساقه ، فاستعيرت السَّاق في موضع الشدَّة ، وبهذا قال الفرَّاء وأبو عبيد وثعلب واللغويُّون .

وروى البخاري ومسلم في الصَّحيحين عن النَّبي ﷺ : "إنَّ الله عزَّ وجلَّ يكْشفُ عن ساقه" ، هذه إضافة إليه معناها : يكْشفُ عن شدَّته وأفعاله المضافة إليه ، ومعنى يكْشفُ عنها : يزيلها ، وقال عاصم بن كليب : رأيت سعيد بن جبير غضب ، وقال : يقولون يكشفُ عن ساقه ، وإنَّما ذلك عن أمر شديد ، وقد ذكر أبو عمر الزَّاهد: إنَّ السَّاق بمعنى النَّفس ، وقال : ومنه قول علي رضي الله عنه لَمَّا قالت البغاة : لا حكم إلَّا لله ، فقال : لا بدَّ من محاربتهم ولو تلفت ساقي ، فعلى هذا يكون المعنى : يتجلَّى لهم .

وفي حديث أبي موسى عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : يُكْشَفُ لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرُّون لله سجَّداً ، ويبقى أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السُّجود فلا يستطيعون ، فذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾﴿القلم:٤٢﴾ ، وقد ذهب القاضي أبو يعلى إلى أنَّ السَّاق صفة ذاتيَّة ، وقال : مثله في يضع قدمه في النَّار ، وحكى عن ابن مسعود : ويكشف عن ساقه اليُمنى فتضيء من نور ساقه الأرض .

قلت : وذكر السَّاق مع القدم تشبيه محض ، وما ذكر عن ابن مسعود مُحال !!! ولا تثبت لله صفة بمثل هذه الخرافات !!! ولا تُوصف ذاته سبحانه بنور شعاع تضيء به الأرض ، واحتجاجه بالإضافة ليس بشيء ، لأنَّه إذا كشف عن شدَّته فقد كشف عن ساقه ، وهؤلاء وقع لهم أنَّ معنى : يكْشفُ يظهر ، وإنَّما المعنى: يزيل ويرفع .

قال ابن حامد : يجب الإيمان بأنَّ لله تعالى ساقاً صفة لذاته ، فمن جحد ذلك كفر !!!

قلت : ولو تكلَّم بهذا عامِّيٌّ جلفٌ كان قبيحاً ، فكيف بمن يُنسب إلى العلم !! فإنَّ المتأوِّلين أعذر منهم لأنَّهم ردُّوا الأمر إلى اللغة ، وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذَّات وقدماً حتى يتحقَّق التَّجسيم والصُّورة" .

وقال أيضاً في " تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)"(ص٤١١) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال بعض العلماء : هذه صفة يجب التَّسليم لها ، كما تقول في الوجه ، وبعضهم يقول : السَّاق الشدَّة".

وقال الإمام ابن الأثير(٦٠٦هـ) في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر "(٢/ ٤٢٣-٤٢٢) :"فِي حَدِيثِ الْقِيَامَةِ «يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ» السَّاقُ فِي اللُّغَةِ الأمرُ الشديدُ. وكشْفُ السَّاقِ مثَلٌ فِي شدَّة الأمْر، كَمَا يُقَالُ للأقْطَع الشَّحيح: يَدُه مغْلولة، ولا يَدَثَمَّ وَلَا غُلّ، وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ البُخْل. وَكَذَلِكَ هَذَا لاَ سَاقَ هُناكَ، وَلَا كَشْف. وأصلُه أنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وقَع فِي أمْرٍ شَدِيدٍ يُقَالُ شمَّر عَنْ ساعِده، وكشَف عَنْ ساَقِه؛ للاهْتمام بِذَلِكَ الأمْر الْعَظِيمِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْحَدِيثِ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ ﷺ : «قَالَ فِي حَرْب الشُّراة: لَا بُدَّ لِي مِنْ قِتالهم وَلَوْ تَلِفَتْ سَاقِي» ، قَالَ ثَعْلَبٌ: السَّاقُ هَاهُنَا النَّفْس" .

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) في "التَّفسير الكبير"(٣٠/ ٦١٣-٦١٤) : "فِي تَفْسِيرِ السَّاقِ وُجُوهٌ: **الْأَوَّلُ:** أَنَّهُ الشِّدَّةُ، وَرُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: إِذَا خُفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

سَنَّ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

ثُمَّ قَالَ: وَهُوَ كَرْبٌ وَشِدَّةٌ وَرَوَى مُجَاهِدٌ عَنْهُ ، قَالَ: هُوَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي الْقِيَامَةِ، وَأَنْشَدَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَبْيَاتًا كَثِيرَةً ، مِنْهَا :

فَإِنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَدنهَا رَبِيعَ وَلَا تَسْأَمِ

وَمِنْهَا:

كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحْ

وَقَالَ جَرِيرٌ:

أَلَا رُبَّ سَامِ الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وَقَالَ آخَرُ:

فِي سَنَةٍ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءُ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

وَقَالَ آخَرُ:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

ثُمَّ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : أَصْلُ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ عظيم يحتاج إلى الجد فيه، يشعر عَنْ سَاقِهِ، فَلَا جَرَمَ يُقَالُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ: كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا اعْتِرَافٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ بِأَنَّ اسْتِعْمَالَ السَّاقِ فِي الشِّدَّةِ مَجَازٌ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ صَرْفُ الْكَلَامِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا بَعْدَ تَعَذُّرِ حَمْلِهِ عَلَى

الْحَقِيقَةِ، فَإِذَا أَقَمْنَا الدَّلَائِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، فَحِينَئِذٍ يَجِبُ صَرْفُ اللَّفْظِ إِلَى الْمَجَازِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ «الْكَشَّافِ» أَوْرَدَ هَذَا التَّأْوِيلَ فِي مَعْرِضٍ آخَرَ، فَقَالَ: الْكَشْفُ عَنِ السَّاقِ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ الْأَمْرِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** يَوْمَ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَتَفَاقَمُ، وَلَا كَشْفَ ثَمَّ، وَلَا سَاقَ، كَمَا تَقُولُ لِلْأَقْطَعِ الشَّحِيحِ : يَدُهُ مَغْلُولَةٌ، وَلَا يَدَ ثَمَّ وَلَا غُلَّ وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ فِي الْبُخْلِ، ثُمَّ أَخَذَ يُعَظِّمُ عِلْمَ الْبَيَانِ وَيَقُولُ لَوْلَاهُ: لَمَا وَقَفْنَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَأَقُولُ: إِمَّا أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ صَرَفَ اللَّفْظَ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ امْتِنَاعِ حَمْلِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِأَنَّا إِنْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ تَأْوِيلَاتِ الْفَلَاسِفَةِ فِي أَمْرِ الْمَعَادِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: **﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾**﴿البقرة: ٢٥﴾ لَيْسَ هُنَاكَ لَا أَنْهَارٌ وَلَا أَشْجَارٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ لِلَّذَّةِ وَالسَّعَادَةِ، وَيَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: **﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾**﴿الحَجّ: ٧٧﴾ لَيْسَ هُنَاكَ لَا سُجُودٌ وَلَا رُكُوعٌ وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ لِلتَّعْظِيمِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى رَفْعِ الشَّرَائِعِ وَفَسَادِ الدِّينِ، وَأَمَّا إِنْ قَالَ: بِأَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا قَالَ بِهِ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ، فَأَيْنَ هَذِهِ الدَّقَائِقُ، الَّتِي اسْتَبَدَّ هُوَ بِمَعْرِفَتِهَا والاطلاع عليها بواسطة علم البيان، فرحم الله امرأ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَمَا تَجَاوَزَ طَوْرَهُ .

الْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ أَبِي سَعِيدٍ الضَّرِيرِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ، أَيْ عَنْ أَصْلِ الْأَمْرِ، وَسَاقُ الشَّيْءِ أَصْلُهُ الَّذِي بِهِ قِوَامُهُ كَسَاقِ الشَّجَرِ، وَسَاقِ الْإِنْسَانِ، أَيْ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ وَأُصُولُهَا الْقَوْلُ الثَّالِثُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** جهَنَّمَ، أَوْ عَنْ سَاقِ الْعَرْشِ، أَوْ عَنْ سَاقِ مَلَكٍ مَهِيبٍ عَظِيمٍ، وَاللَّفْظُ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى سَاقٍ، فَإِمَّا أَنَّ ذَلِكَ السَّاقَ سَاقُ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ فَلَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: وَهُوَ اخْتِيَارُ الْمُشَبِّهَةِ، أَنَّهُ سَاقُ اللهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْهُ .

رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَّهُ تَعَالَى يَتَمَثَّلُ لِلْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَمُرُّ الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟

فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ اللهَّ فَيُشْهِدُهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَهُ إِذَا عَرَّفَنَا نَفْسَهُ عَرَفْنَاهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ ظُهُورُهُمْ كَالطَّبَقِ الْوَاحِدِ كَأَنَّمَا فِيهَا السَّفَافِيدُ» .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ بَاطِلٌ لِوُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ الدَّلَائِلَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ مُحْدَثٌ، لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ مُتَنَاهٍ، وَكُلَّ مُتَنَاهٍ مُحْدَثٌ وَلِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْدَثٌ، وَلِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ مُمْكِنٌ، وَكُلَّ مُمْكِنٍ مُحْدَثٌ .

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ ذَلِكَ لَكَانَ مِنْ حَقِّ السَّاقِ أَنْ يُعْرَفَ، لِأَنَّهَا سَاقٌ مَخْصُوصَةٌ مَعْهُودَةٌ عِنْدَهُ وَهِيَ سَاقُ الرَّحْمَنِ، أَمَّا لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الشِّدَّةِ، فَفَائِدَةُ التَّنْكِيرِ الدَّلَالَةُ عَلَى التَّعْظِيمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ، وَأَيِّ شِدَّةٍ، لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ التَّعْرِيفَ لَا يَحْصُلُ بِالْكَشْفِ عَنِ السَّاقِ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ الْوَجْهِ الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي وَصْفِ هذا اليوم: **﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾** ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِيهِ تَعَبُّدٌ وَلَا تَكْلِيفٌ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ، إِمَّا آخِرُ أَيَّامِ الرَّجُلِ فِي دُنْيَاهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرى﴾**﴿الْفُرْقَانِ: ٢٢﴾ ثُمَّ إِنَّهُ يَرَى النَّاس يُدْعَوْنَ إِلَى الصَّلَوَاتِ إِذَا حَضَرَتْ أَوْقَاتُهَا، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الصَّلَاةَ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، وَإِمَّا حَالُ الْهَرَمِ وَالْمَرَضِ وَالْعَجْزِ وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ مِمَّا بِهِمُ الْآنَ، إِمَّا مِنَ الشِّدَّةِ النَّازِلَةِ بِهِمْ مِنْ هَوْلِ مَا عَايَنُوا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ مِنَ الْعَجْزِ وَالْهَرَمِ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: **﴿فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾**﴿الْوَاقِعَةِ: ٨٣﴾ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا نِزَاعَ فِي أَنَّهُ يُمْكِنُ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى مَا قَالَهُ أَبُو مُسْلِمٍ، فَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ أَنَّ الْأَمْرَ بالسُّجود حاصل هاهنا، وَالتَّكَالِيفُ زَائِلَةٌ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجَوَابُهُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ التَّكْلِيفِ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّخْجِيلِ، فَلِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قُرِئَ: يَوْمَ نَكْشِفُ بالنُّون وتكشف بِالتَّاءِ الْمَنْقُوطَةِ مِنْ فَوْقٍ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا وَالْفِعْلُ لِلسَّاعَةِ أَوْ لِلْحَالِ، أَيْ يَوْمَ يَشْتَدُّ الْحَالُ أَوِ السَّاعَةُ، كَمَا تَقُولُ: كَشَفَ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا عَلَى الْمَجَازِ. وَقُرِئَ (تُكْشِفُ) بِالتَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَكَسْرِ الشِّينِ مِنْ أَكْشَفَ إِذَا دَخَلَ فِي الْكَشَفِ، وَمِنْهُ أَكْشَفَ الرَّجُلُ فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا " .

وقال الإمام الآمدي(٦٣١هـ) في "غاية المرام في علم الكلام"(ص١٤١) :"وأمَّا قَوْله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، فَيحْتَمل أَن يكون الْمُرَاد بِهِ : الْكَشْف عَن مَا فِي الْقِيَامَة من الْأَهْوَال وَمَا أعدَّ للْكفَّار من السَّلَاسِل والأغلال ، وَلِهَذَا يُقَال : قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ عِنْد التحامها وتصادم أبطالها واشتداد أهوالها " .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي(٦٥٦ هـ) في "الْمُفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مُسلم "(٧/ ٣٠٣-٣٠٤) :" و (قوله: وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، معناه ومعنى ما في كتاب الله تعالى من ذلك واحد، وهو عبارة عن شدَّة الحال وصعوبة الأمر. قاله ابن عبَّاس في الآية. يقال: كشفت الحرب عن ساقها. قال الشَّاعر:

قَد حَلَّت الحَرْبُ بكُم فجُدُّوا وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فشُدُّوا

وقال آخر:

كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاح

وأصله: أنَّ الْمُجِد في الأمر يشدّ إزاره، ويرفعه عن ساقه. قال قتادة: يقال للواقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجِدّ: قد كشف ساقه. قال الشَّاعر:

فِيْ سنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمرَاء تبرِيْ اللحْمْ عَن عرَاقِهَا

قلت: وهذا المعنى بيِّنٌ في هذا الحديث فتأمَّل مساقه، وعليه تُحمل الآية، ولا يلتفت إلى غير ذلك ممَّا قيل فيها".

وقال الإمام ابن أبي الحديد(٦٥٦هـ) في " شرح نهج البلاغة " (٧/ ٥٢) : "قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، فسَّروه فقالوا : السَّاق : الشدَّة ، فيكون قد أراد بقوله : " وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ " ، أي : كشفت عن شدَّة ومشقَّة" .

وقال في "شرح نهج البلاغة"(٩/ ٤١) :" السَّاق : الشِّدَّة ، ومنه قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** .

وقال في "شرح نهج البلاغة"(١٣/ ١٢٣) :" قال : (أهلها على ساق وسياق) ، يقال : قامت الحرب على ساق ، أي : على شدَّة ، ومنه قوله سبحانه : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** .

وقال الإمام فضل الله التُّورِبِشْتِي (٦٦١هـ) في " الميسَّر في شرح مصابيح السُّنَّة "(٤/ ١١٩٢-١١٩٣) : " يقول: (يَكْشِفُ ربُّنَا عَنْ سَاقِهِ ...) الحديث.

قلت : مذهب أهل السَّلامة من السَّلف التَّورُّع من التَّعرض للقول في مثل هذا الحديث، والتَّجنُّب عن تفسير ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، وهو الأحوط والأمثل. وقد أشرنا الى ذلك في غير موضع.

وقد تأوَّله جمعٌ من العلماء فاتبع الآخر الأوَّل حتى تشابه تأويلهم، وإن اختلفت أقاويلهم، وحاصل تلك الأقاويل : أنَّ الكشف عن السَّاق مثلٌ في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب.

قلت: وأصله في الفزع والهزيمة وتشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ في الهرب.

وزعم بعض أهل المعرفة بالمآخذ اللغويَّة أنَّ الأصل فيه أن يموت الولد في بطن النَّاقة فيدخل المذمر يده في رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه منها، فهذا هو الكشف عن السَّاق، فجعل لكلِّ أمر فظيع ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، أي: عن شدَّة.

قلت: وتنكير السَّاق في الآية من دلائل هذا التَّأويل، ومثله قولهم: قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ، ومنه قولهم: ساوقه، أي: فاخرته أيّنا أشدّ، وما أكثر شواهد ذلك في أشعارهم.

ومنه قول حاتم:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ بهِ الحَرْبُ عَضَّها وإنْ شمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

ومنه قول بعض الأعراب:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا

فِي سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَــاقِهَا

أراد سنة الجدب، وكان يطير عن الزَّرع، فأوَّلوا الحديث تأويل الآية.

قلت: وقد خالف الحديثُ الآيةَ في تعريف السَّاق، ووجه التَّعريف فيها أن يقال: أضفها إلى الله تعالى تنبيهاً على أنَّها الشدَّة التي لا يجلِّيها لوقتها إلَّا هو، أو على أنَّها هي التي ذكرها في كتابه" .

وقال الإمام زين الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي (٦٦٦هـ) في"مختار الصِّحاح "(ص١٥٧) : "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، أَيْ : عَنْ شِدَّةٍ ، كَمَا يُقَالُ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ" .

وقال الإمام القرطبي(٦٧١هـ) في " الجامع لأحكام القرآن "(١٨/٢٤٨-٢٥٠) : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ**﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي يَوْمَ فَلْيَأْتُوا ، أَيْ : فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ لِيَشْفَعَ الشُّرَكَاءُ لَهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، أَيِ اذْكُرْ ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، فَيُوقَفُ عَلَى صادِقِينَ وَلَا يُوقَفُ عَلَيْهِ عَلَى التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ. وقرى" يَوْمَ نَكْشِفُ" بِالنُّونِ." وَقَرَأَ" ابْنُ عَبَّاسٍ" يَوْمَ تَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ" بِتَاءِ مُسَمَّى الْفَاعِلِ، أَيْ تَكْشِفُ الشِّدَّةُ أَوِ الْقِيَامَةُ. عَنْ سَاقِهَا، كَقَوْلِهِمْ: شَمَّرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَى الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَقَالَ آخَرُ:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِ الطَّيْرِ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَــا حَمْرَاءَ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

وَقَالَ آخَرُ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحْ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَالْحَسَنُ وَأَبِي الْعَالِيَةِ" تُكْشَفُ" بِتَاءٍ غَيْرِ مُسَمَّى الْفَاعِلِ. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى مَعْنَى يكْشفُ وَكَأَنَّهُ قَالَ: يَوْمَ تكشف القيامة عن شدَّة. وقرى" يَوْمَ تُكْشِفُ" بِالتَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَكَسْرِ الشِّينِ، مِنْ أَكْشَفَ إِذَا دَخَلَ فِي الْكَشْفِ. وَمِنْهُ: أَكْشَفَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُكْشَفٌ، إِذَا انْقَلَبَتْ شَفَتُهُ الْعُلْيَا.

وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾**، قَالَ: عَنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ.

أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ وَجِدُّهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ أَشَدُّ سَاعَةً فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ وَالْأَمْرُ قِيلَ: كَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سَاقِهِ.

والأصل فيه أن من وقع في شي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْجِدِّ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، فَاسْتُعِيرَ السَّاقُ وَالْكَشْفُ عَنْهَا فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ.

وَقِيلَ: سَاقُ الشَّيْءِ أَصْلُهُ الَّذِي بِهِ قِوَامُهُ، كَسَاقِ الشَّجَرَةِ وَسَاقِ الْإِنْسَانِ. أَيْ : يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ أَصْلِ الْأَمْرِ فَتَظْهَرُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَأَصْلُهَا.

وَقِيلَ: يُكْشَفُ عَنْ سَاقِ جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: عَنْ سَاقِ الْعَرْشِ. وَقِيلَ: يُرِيدُ وَقْتَ اقْتِرَابِ الْأَجَلِ وَضَعْفِ الْبَدَنِ، أَيْ يكْشفُ الْمَرِيضُ عَنْ سَاقِهِ لِيَبْصُرَ ضَعْفَهُ، وَيَدْعُوهُ الْمُؤَذِّنُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُومَ وَيَخْرُجَ.

فَأَمَّا مَا رُوِيَ أَنَّ اللهَّ يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَعَالَى عَنِ الْأَعْضَاءِ وَالتَّبْعِيضِ وَأَنْ يكْشفُ وَيَتَغَطَّى. وَمَعْنَاهُ أَنْ يكْشفُ عَنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَمْرِهِ. وَقِيلَ: يكْشفُ عَنْ نُورِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَرَوَى أَبُو مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿عَنْ سَاقٍ﴾**، قَالَ: (يَكْشِفُ عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا).

وَقَالَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَنِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عُمَارَةَ الْقُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا فَيَذْهَبُ كُلُّ قَوْمٍ إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحد فَيُقَالُ لَهُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاس فَيَقُولُونَ إِنَّ لَنَا رَبًّا كُنَّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ نَرَهُ- قَالَ- وَتَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُقَالُ فَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ قَالُوا إِنَّهُ لَا شَبِيهَ لَهُ، فَيَكْشِفُ لَهُمُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهَّ تَعَالَى فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا وَتَبْقَى أَقْوَامٌ ظُهُورُهُمْ مِثْلُ صَيَاصِي الْبَقَرِ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهَّ تَعَالَى فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**، فيقول الله تعالى عباد ي ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَقَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي النَّارِ (قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: اللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ حَدَّثَكَ أَبُوكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَحَلَفَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيْمَانٍ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا سَمِعْتُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ حَدِيثًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا. وَقَالَ قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ: حَدَّثَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَ النَّاس لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْبَعِينَ عَامًا شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، حُفَاةً عُرَاةً يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، فَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهَّ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

عَامًا، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَيْسَ عَدْلًا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وأماتكم وأحياكم ثم عبد تم غَيْرَهُ أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ قَوْمٍ مَا تَوَلَّوْا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَيُرْفَعُ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَتْبَعُونَهَا حَتَّى تَقْذِفَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَا تَذْهَبُونَ قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ حتى يأتينا ربنا، فيقال لهم: أو تعرفونه؟ فَيَقُولُونَ: إِنِ اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ. قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخِرُّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ مُخْلِصًا سَاجِدًا، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ كَأَنَّ فِي ظُهُورِهِمُ السَّفَافِيدَ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ" .

وقال الإمام القرطبي أيضاً في" التَّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"(١/ ٧٤٥-٧٥٠) : "وقوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** كشف السَّاق عبارة عن معظم الأمر وشدَّته ، ذكر ابن المبارك ، قال: أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس في قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال: يوم كرب وشدَّة.

قال : أخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال: شدَّة الأمر وجدّه.

قال مجاهد : وقال ابن عبَّاس : هي أشدُّ ساعة في القيامة.

وقيل : غير هذا ، والله أعلم .

وقال أبو عبيدة: إذا اشتدَّ الأمر أو الحرب ، قيل: كشف الأمر عن ساقه.

والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج إلى الجدّ شمَّر عن ساقه ، فاستُعير السَّاق والكشف عنها في موضع الشدَّة ، وكذا قال القتبي ، قال: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، هذا من الاستعارة ، فسمَّى الشدَّة ساقاً، لأنَّ الرَّجل إذا وقع في الشدَّة شمَّر في ساقه فاستعيرت في موضع شدَّة ، قال:

وَكُنتُ إِذَا جَارِي دَعا لِمَضوفَةٍ أُشَمِّرِ حَتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

وقال آخر:

فَتَى الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وقال آخر يصف سنة شديدة: فِيْ سَنَةٍ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا .

وقال آخر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال آخر:

اصْبِرْ عِناق أَنّهُ شَرٌّ باق   قَد سنّ لي قو مكَ ضرب الأعناق

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

والشِّعر في هذا المعنى كثير .

وقيل: يكْشفُ عَنْ سَاقِ جهنَّم، وقيل: عَنْ سَاقِ العرش.

فأمَّا ما روي أنَّ الله تعالى يكْشفُ عن ساقه يوم القيامة، فيسجد له كلُّ مؤمن ومؤمنة كما في صحيح البخاري، فإنَّه يتعالى عن التَّبعيض والأعضاء، وأن ينكشف ويتغطَّى، ومعناه : أن يكْشفُ على العظيم من أمره.

وقال الخطَّابي: إنَّما جاء ذكر الكشف عن السَّاق على معنى الشدَّة، فيحتمل أن يكون معنى الحديث: أنَّه يبرز من أهوال القيامة وشدَّتها لما يرتفع معه سواتر الامتحان، فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص، فيؤذن لهم في السُّجود، ويكشف الغطاء عن أهل النِّفاق فتعود ظهورهم طبقاً واحداً لا يستطيعون السُّجود ، قال: وقد تأوَّله بعض النَّاس ، فقال: لا ينكر أن يكون الله سبحانه قد يكْشفُ لهم عَنْ سَاقِ لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم، فيجعل ذلك سبباً لما شاء من حكمه في أهل الإيمان وأهل النِّفاق.

قال الخطَّابي: وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة.

سمعت أبا عمر يذكر عن أبي العباس أحمد بن يحيى النَّحوي فيما عدَّه من المعاني المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم، قال: والسَّاق النَّفس، ومنه قول علي رضي الله عنه حين راجعه أصحابه في قتل الخوارج فقال: والله لأقاتلنَّهم حتَّى ولو تلفت ساقي ، يريد : نفسه.

وقال أبو سليمان: وقد يحتمل على هذا أن يكون المراد التَّجلِّي لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتَّى إذا رأوه سجدوا له ، قال: ولست أقطع به القول، ولا أراه واجباً فيما أذهب إليه من ذلك.

قال المؤلِّف: هذا القول أحسن الأقوال إن شاء، وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث السَّمرقندي في تفسير سورة ن والقلم، فقال: «حدَّثنا الخليل بن أحمد: حدَّثنا ابن منيع ، قال: حدَّثنا هدبة ، قال: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي ، عن أبي بردة بن أبي موسى قال: حدَّثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة مثل لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون في الدُّنيا ، فيذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التَّوحيد ، فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب النَّاس؟ فيقولون: إنَّ لنا ربَّاً كنَّا نعبده في الدُّنيا ولم نره، قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنَّه لا شبيه له، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرُّون له سجداً، وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السُّجود فلا يستطيعون ، فذلك قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، فيقول الله تعالى: عبادي ارفعوا رؤوسكم ، فقد جعلت بدل كلّ رجل منكم من اليهود والنَّصارى في النَّار» .

قال أبو بردة: فحدَّثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز ، فقال: الله الذي لا إله إلَّا هو فحدَّثك أبوك بهذا الحديث، فحلفت له ثلاث أيمان ، فقال عمر: ما سمعت من أهل التَّوحيد حديثاً هو أحبّ إليَّ من هذا.

قال المؤلِّف: فهذا الحديث يبيِّن لك معنى كشف السَّاق ، وأنَّه عبارة عن رؤيته سبحانه ، وهو معنى ما في صحيح مسلم، والحديث يفسِّر بعضه بعضاً ، فلا إشكال فيه، والحمد لله.

وقد ذكر البيهقي «عَنْ رَوْحُ بْنُ جُنَاحٍ، عَنْ مَوْلَى، عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ

يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا» . تَفَرَّدَ بِهِ رَوْحُ بْنُ جُنَاحٍ، وَهُوَ شَامِيٌّ يَأْتِي بِأَحَادِيثَ مُنْكَرَةٍ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهَا وَاللهُ أَعْلَمُ. وَمَوَالِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِيهِمْ كَثْرَةٌ . أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٨٧ برقم ٧٥٢) .

قال المؤلِّف: الحديث الذي قبله أبين وأصحّ إسناداً ، فليعوَّل عليه " .

وقال الإمام النَّووي(٦٧٦هـ) في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٨/ ٧٧) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَهَوْلٍ عَظِيم ، أَيْ : يَظْهَرُ ذَلِكَ ، يُقَالُ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا إِذَا اشْتَدَّتْ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِهِ كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ مُسْتَمِرًّا فِي الْخِفَّةِ والنَّشاط له" .

وقال الإمام البيضاوي (٦٨٥هـ) في " أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل"(٥/ ٢٣٧) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، يوم يشتدُّ الأمر ويصعب الخطب ، وكشف السَّاق مثلٌ في ذلك، وأصله تشمير المخدَّرات عن سُوقهنَّ في الهرب. قال حاتم.

أَخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا

أو يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً ، مُستعار من ساق الشَّجر وساق الإِنسان، وتنكيره للتَّهويل أو للتَّعظيم. وقرئ «تكشف» و «تكشف» بالتَّاء على بناء الفاعل أو المفعول والفعل للسَّاعة أو الحال " .

وقال أيضاً في "تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة "(٣/ ٣٨٩) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾**، أي: عن أمر عظيم، وهول شديد، وكان أصله: أنَّ الولد يموت في بطن النَّاقة، فيدخل المذمر يده في رحمها فيأخذ ساقه فيخرج، فجعل لكلِّ أمر فظيع وخطب شديد " .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري المعروف بالحيحي(٧٠٠هـ) في "المدخل"(٢/ ٢٠٢) :" وَأَمَّا حَدِيثُ السَّاقِ، فَلَمْ يُضَفْ السَّاقُ فِيهَا إِلَى أَحَدٍ ، وَمَعْنَاهُ عَنْ شِدَّةٍ ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ مُسْتَعْمَلٌ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَى شِدَّةِ الْأَمْرِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : وَقَامَتْ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أَيْ عَنْ شِدَّةٍ مِنْ الْأَمْرِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْله تَعَالَى : **﴿وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ، أَيْ الْتَفَّتْ سَاقُ الدُّنْيَا بِسَاقِ

الْآخِرَةِ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَعْنَاهُ أَمْرُ الدُّنْيَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : أَعْمَالُ الدُّنْيَا بِمُحَاسَبَةِ الْآخِرَةِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ".

وقال الإمام النَّسفي (٧١٠هـ) في "مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل" (٤/ ٢٢١) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم : ٤٢﴾ ناصب الظَّرف **﴿فَلْيَأْتُوا﴾** أو " اذكر " مضمراً.

والجمهور على أنَّ الكشف عن السَّاق عبارة عن شدَّة الأمر وصعوبة الخطب ، فمعنى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾**﴿القلم : ٤٢﴾ يوم يشتدُّ الأمر ويصعب ولا كشف ثمَّة ولا ساق ، ولكن كنَّى به عن الشدَّة لأنَّهم إذا ابتلوا بشدَّة كشفوا عن السَّاق ، وهذا كما نقول : للأقطع الشَّحيح: يده مغلولة ، ولا يد ثمَّة ولا غلّ ، وإنَّما هو كناية عن البُخل.

وأمَّا من شبَّه فلضيق عطنه وقلَّة نظره في علم البيان ، ولو كان الأمر كما زعم المشبِّه لكان من حقِّ السَّاق أن تعرَّف لأنَّها ساق معهودة عنده" .

وقال الإمام ابن منظور(٧١١هـ) في "لسان العرب" (١٠/ ١٦٨) : " الساقُ فِي اللُّغَةِ الأَمر الشَّدِيدُ، وكَشْفُه مَثَلٌ فِي شِدَّةِ الأَمر كَمَا يُقَالُ لِلشَّحِيحِ : يدُه مَغْلُولَةٌ وَلَا يدَ ثَمَّ وَلَا غُلَّ، وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ الْبُخْلِ، وَكَذَلِكَ هَذَا. لَا ساقَ هُنَاكَ وَلَا كَشْف؛ وأَصله أَن الإِنسان إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ يُقَالُ: شمَّر ساعِدَه وكشفَ عَنْ ساقِه للاهتمام بِذَلِكَ الأَمر الْعَظِيمِ.

ابْنُ سِيدَهْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ شِدَّةَ الأَمر ، كَقَوْلِهِمْ: قَامَتِ الحربُ عَلَى سَاقٍ، وَلَسْنَا نَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ أَنَ السَّاقَ إِذَا أُريدت بِهَا الشِّدَّةُ فَإِنَّمَا هِيَ مشبَّهة بِالسَّاقِ هَذِهِ الَّتِي تَعْلُو الْقَدَمَ، وأَنه إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لأَن الساقَ هِيَ الْحَامِلَةُ للجُمْلة والمُنْهِضَةُ لَهَا فذُكِرت هُنَا لِذَلِكَ تَشْبِيهًا وَتَشْنِيعًا؛ وَعَلَى هَذَا بَيْتُ الحَمَاسَةِ لِجَدِّ طَرَفَةَ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِها   وَبَدَا مِنَ الشرِّ الصُّراحْ

وَقَدْ يَكُونُ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، لأَن النَّاس يَكِشفون عَنْ ساقِهم ويُشَمِّرون لِلْهَرَبِ عِنْدَ شدَّة الأَمر؛ وَيُقَالُ للأَمر الشَّدِيدِ : ساقٌ ، لأَن الإِنسان إِذَا دَهَمَتْه شِدّة شَمّر لَهَا عَنْ ساقَيْه، ثُمَّ قِيلَ للأَمر الشَّدِيدِ ساقٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ دُرَيْدٍ:

كَميشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ

أَراد أَنَّه مُشَمِّرٌ جادٌّ، وَلَمْ يُرِدْ خُرُوجَ السَّاقِ بِعَيْنِهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ساوَقَه أَيْ فاخَره أَيُّهم أَشدّ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يكْشفُ الرحمنُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ ساقِه فَيَخِرّ الْمُؤْمِنُونَ سُجَّداً، وَتكُونُ ظهورُ الْمُنَافِقِينَ طَبَقاً طَبَقًا كَأَنَّ فِيهَا السَّفافيد" .

وقال الإمام الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدِّين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالْمُظْهِري(٧٢٧ هـ) في " المفاتيح في شرح المصابيح"(٥/ ٤٦٥) :" قوله: "وذاك **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : قال الخطَّابي: هذا ممَّا تهيَّب القول فيه شيوخنا، وأجْرَوه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التَّوقُّفِ عن تفسير كلِّ ما لا يحيطُ العلمُ بكنهه من هذا الباب.

أمَّا من تأوَّله فقال: ذلك اليوم يُكْشَفُ عن شدَّة عظيمة وأمر فظيع.

قال الإمام أبو الفتوح العجلي رحمه الله في "تفسيره": قيل: معناه: عن أمر شديد فظيع، وهو إقبالُ الآخرة وظهورُها، وذهابُ الدُّنيا.

ويُقال للأمر إذا اشتدَّ وتفاقم، فظهر، وزال خفاؤه: كشف عن ساقه، وهذا جائزٌ في اللغة وإن لم يكن للأمر ساقٌ، وهو كما يقال: أسفرَ وجهُ الأمر، واستقام صدرُ الرَّأي.

قال الشَّاعر يصفُ حربًا:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا   وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقيل: معناه: أن يرفع السِّتر من الدُّنيا والآخرة، وقيل: هو المراد بقوله: **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾**﴿الطارق: ٩﴾ .

وقيل: **﴿عَنْ سَاق﴾** ؛ أي: عَنْ سَاقِ العرش، وقيل: عن نور عظيم.

قال ابن قتيبة: تقول العرب للرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجدّ، ومقاساة الشدَّة: شَمَّر عن ساقه.

ويقال: إذا اشتدَّ الأمرُ في الحرب: كشفت الحربُ عن ساقٍ.

قال في "شرح السُّنَّة": وقال ابن عبَّاس: يوم كرب وشدَّة. وقال: هي أشدّ ساعة في القيامة.

فعلى هذا القول معناه: المبالغة في التَّجلِّي والظُّهور عن ذاته؛ لأنَّه في اللغة عبارةٌ عن الجدّ في الأمر، أو لأنَّ السَّاقَ يكون مستورًا غالبًا، فكشفُهُ مبالغةٌ في هذا الوجه أيضًا".

وقال الإمام ابن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي (٧٣٣هـ) في "إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التَّعطيل" (ص١٣٣-١٣٥) :" قَوْله تَعَالَى: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾**، وَقد ورد مثله فِي الحَدِيث الصَّحِيح من رِوَايَات عدَّة .

اعْلَم أَنَّ نِسْبَة السَّاق الْمَعْرُوف إِلَى الله تَعَالَى مُحَال ، تَعَالَى عَن نِسْبَة الْأَعْضَاء والتَّجزِّي إِلَيْهِ ، وَإِذا ثَبت استحالته فِي حقِّ الله تَعَالَى وَجب تَأْوِيله بِمَا يَسْتَعْمِلهُ فِيهِ أهل اللُّغَة بِمَا يَلِيق بِجلَال الرَّب تَعَالَى .

قَالَ ابْن عَبَّاس وَخلقٌ من الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَالتَّابِعِينَ وَغَيرهم : إِنَّ الْمُرَاد بالسَّاق هُنَا : الشدَّة ، أَي : شدَّة أهوال يَوْم الْقِيَامَة وَمَا يلقاه أهل الْموقف، وَسُئِلَ مرَّة عَن الْآيَة ، فَقَالَ : أما سَمِعْتُمْ قَول الشَّاعِر :

قَامَت الْحَرْب على سَاق

إِذا خَفِي عَلَيْكُم شَيْء فِي الْقُرْآن فابتغوه فِي الشّعْر ، فَإِنَّهُ ديوَان الْعَرَب .

وَقَالَ مرَّة : يكْشفُ عَنْ سَاقٍ عَن أَمر شَدِيد ، وَعَن بعض أَئِمَّة التَّفْسِير ، قَالَ : عَنْ سَاقٍ ، أَي : عَن أَمر شَدِيد ، وَأنْشد :

قَدْ جَدَّتْ الحَرْبُ بكُم فجُدُّوا وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فشُدُّوا

وَقَالَ بَعضهم : يجوز أَن يكْشفُ الله عَنْ سَاقٍ لبَعض مخلوقاته وَيجْعَل ذَلِك سَبباً لبَيَان حكمه فِي أهل الْإِيمَان وَأهل النِّفَاق .

وَقَالَ الْخطَّابِيُّ : هَذَا الحَدِيث مِمَّا تهيَّب القَوْل فِيهِ بعض شُيُوخنَا على نَحْو مَذْهَبهم فِي التَّوَقُّف ، وَهَذَا تقدَّم الْجَواب عَنهُ ، وَقَالَ سعيد ابْن جُبَير : أَي يكْشفُ عَن أَمر عَظِيم ، وَاسْتِعْمَال السَّاق فِي ذَلِك مجَاز شَائِع مُسْتَعْمل ، وَمِنْه قَوْلهم : قَامَت الْحَرْب على سَاق ، إِذا اشتدَّت على أَهلها ، وأصل التَّجَوُّز بذلك : أَنَّ من قصد من الْعَرَب معاناة أَمر عَظِيم شمَّر عَن سَاقه ليسهل عَلَيْهِ مِنْهَا قَصده ، وَلَا يثبط عَن التَّمَكُّن مِنْهُ ، وَلذَلِك جَاءَ بِصِيغَة مَا لم يسم فَاعله ، وَلم يقل : يكْشفُ عَن سَاقه .

وَمَا رُوِيَ فِي بعض طُرُق الحَدِيث " عَن سَاقه " ، فَلَو ثَبت ذَلِك كَانَت إِضَافَته إِضَافَة خلق وَملك لَا إِضَافَة جارحة ، أَي : عِنْد شدته الَّتِي أوجدها فِي تِلْكَ الْحَالة ، فأضيف مُوجدها ، وَمن قَالَ : إِنَّ السَّاق لَا يعقل مَعْنَاهَا مَرْدُود عَلَيْهِ بِمَا تقدَّم ، وَصرَّح بعض الْحَنَابِلَة فِيهِ بالتَّجسيم ، وَأنكر ذَلِك عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ من أهل مذْهبه ، وَالْإِمَام أَحْمد بَرِيء مِنْهُ ، مَعَ أَنَّ الْوُقُوف عِنْد ظَاهره كَمَا زَعمه المجسِّمة يلْزم عَلَيْهِ اتِّخَاذ السَّاق ، وَهُوَ نقص ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك وتقدَّس" .

وقال الإمام ابن الحاج (٧٣٧هـ) في "المدخل" (٢/ ١٤٩) : " وَأَمَّا حَدِيثُ السَّاقِ فَلَمْ يُضَفْ السَّاقُ فِيهَا إلَى أَحَدٍ، وَمَعْنَاهُ عَنْ شِدَّةٍ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ مُسْتَعْمَلٌ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَى شِدَّةِ الْأَمْرِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَامَتْ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أَيْ : عَنْ شِدَّةٍ مِنْ الْأَمْرِ".

وقال الإمام ابن جزي الكلبي (٧٤١هـ) في " التَّسهيل لعلوم التَّنزيل"(٢/ ٤٠٢) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قال المتأوِّلون : ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدَّته" .

وقال الإمام الخازن (٧٤١هـ) في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل"(٧/ ١٣٦) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾** ، أي: فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي : عن أمر فظيع شديد ، قال ابن عبَّاس : هو أشدُّ ساعة في القيامة ، تقول العرب للرَّجل إذا وقع في أمر عظيم فظيع يحتاج فيه إلى الجدّ ومقاساة الشدَّة : شمِّر عن ساقك إذا قام في ذلك الأمر ، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب :

كشفت الحرب عَنْ سَاقٍ ، وسئل ابن عبَّاس عن هذه الآية ، فقال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشِّعر فإنَّه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشَّاعر :

سَنَّ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ   وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

ثمَّ قال ابن عبَّاس : هو يوم كرب وشدَّة ، وأنشد أهل اللغة أبياتاً في هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير :

فَإِنْ شَمَّرَت لَكَ عَنْ سَاقهَا   فَدنهَا رَبيع وَلَا تَسْأَم

ومنها قول جرير :

أَلَا رُبَّ سَامِ الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ   إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للأمر العظيم الشَّديد ... " .

وقال الإمام الطِّيبي(٧٤٣هـ) في" شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح"(١١/ ٣٤٨٦) : "قوله: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ (خط): هذا ممَّا هاب القول فيه شيوخنا، وأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التَّوقُّف عن تفسير كلّ مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب. أمَّا من تأوَّله فقال: ذاك يوم يُكْشَفُ عن شدَّة عظيمة وأمر فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهابها وذهاب الدُّنيا، ويقال للأمر إذا اشتدَّ وتفاقم وظهر وزال خفاؤه: كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة، وإن لم يكن للأمر ساق. والله أعلم بالصَّواب" .

وقال أيضاً في" شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح"(١١/ ٣٥٠٢) :"قول الله تعالى:﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾، أي : عن شدَّة، وتنكير (السَّاق) في الآية من دلائل هذا التَّأويل، ووجه تعريف السَّاق في الحديث دون الآية أن يقال: أضافها إلى الله تعالى تنبيهاً على أنَّها الشدَّة ، لا يجليها لوقتها إلَّا هو، أو على أنَّها هي التي ذكرها في كتابه" .

وقال أيضاً في"فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب"حاشية الطِّيبي على الكشَّاف"(١٥/ ٥٩٦-٥٩٧) : " قوله: (ولا كشف ثمَّ ولا ساق)، يعني: هو من الكناية الإيمائيَّة، التي تؤخذ فيها الزُّبدة

والخلاصة من المجموع، ولا ينظر إلى مفردات التَّركيب حقيقة ومجازًا، كما مرَّ في قوله: **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾**﴿الزمر: ٦٧﴾.

وعن بعضهم: الكشف عن السَّاق بأسره عبارة عن الشدَّة، أمَّا أن يكون السَّاق اسمًا للشدَّة، فلا. وقال: ومن النَّاس من يفسِّر السَّاق بالشدَّة، ويدَّعيه لغة، وليس بشيء.

قوله: (حديث ابن مسعود: "يكشف الرَّحمن عن ساقه"، الحديث من رواية البخاري ومسلم والنَّسائي، عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "يكشف ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمن ومؤمنة، فيبقى كلُّ من كان يسجد في الدُّنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا".

وقلت: ويمكن أن يكون الحديث بيانًا للآية، فلا تحتاج إلى التَّعريف المبين، بل التَّنكير أولى والتَّأويل. روى محيي السُّنَّة في "شرح السُّنَّة"، عن ابن عبَّاس قال: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** : يوم كرب وشدَّة. وقال مجاهد: يكْشفُ عن الأمر الشَّديد. والعرب تذكِّر السَّاق إذا أخبرت عن شدَّة الأمر وهوله. وسُئل عكرمة عنه فقال: إذا اشتدَّ الأمر في الحرب، قيل: كشفت الحرب عن ساق".

وقال الإمام أبو حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ) في "البحر المحيط في التَّفسير" (١٠/٢٤٦-٢٤٨) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَّاقٍ﴾** : وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ النَّاصِبِ لِيَوْمِ فَلْيَأْتُوا. وَقِيلَ: اذْكُرْ، وَقِيلَ التَّقْدِيرُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** كَانَ كَيْتَ وَكَيْتَ، وَحُذِفَ لِلتَّهْوِيلِ الْعَظِيمِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالظَّاهِرُ وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ: أَنَّ هَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: هَذَا الْيَوْمُ هُوَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ قَالَ: وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِيهِ تَعَبُّدٌ وَلَا تَكْلِيفٌ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ إِمَّا آخِرُ أَيَّامِ الرَّجُلِ فِي دُنْيَاهُ لِقَوْلِهِ: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرى ، ثُمَّ يَرَى النَّاس يُدْعَوْنَ إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا حَضَرَتْ أَوْقَاتُهَا، فَلَا يستطيع الصلاة لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ فِيهِ نَفْسًا إِيمَانُهَا وَإِمَّا حَالُ الْمَرَضِ وَالْهَرَمِ وَالْمُعْجِزَةِ.

وَقَدْ كانُوا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ مِمَّا بِهِمُ الْآنَ. فَذَلِكَ إِمَّا لِشِدَّةِ النَّازِلَةِ بِهِمْ مِنْ هَوْلِ مَا عَايَنُوا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَإِمَّا مِنَ الْعَجْزِ وَالْهَرَمِ.

وَأُجِيبَ بِأَنَّ الدُّعَاءَ إِلَى السُّجُودِ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْلِيفِ، بَلْ عَلَى سبيل التقريع والتخجيل. وعند ما يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ، سُلِبُوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الِاسْتِطَاعَةِ حَتَّى يَزْدَادَ حُزْنُهُمْ وَنَدَامَتُهُمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ حِينَ دُعُوا إليه وهم سالمون الْأَطْرَافِ وَالْمَفَاصِلِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: ﴿**يُكْشَفُ**﴾ بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ: بِفَتْحِ الْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا وَابْنُ هُرْمُزَ: بِالنُّونِ وَابْنُ عَبَّاسٍ: يكْشفُ بفتح الياء مبنياً لِلْفَاعِلِ وَعَنْهُ أَيْضًا بِالْيَاءِ مضمومة مبنياً للمفعول. وقرىء: يكْشفُ بِالْيَاءِ الْمَضْمُومَةِ وَكَسْرِ الشِّينِ، مِنْ أَكْشَفَ إِذَا دَخَلَ فِي الْكَشَفِ، وَمِنْهُ أَكْشَفَ الرَّجُلُ: انْقَلَبَتْ شَفَتُهُ الْعُلْيَا، وَكَشْفُ السَّاقِ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَتَفَاقُمِهِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ أَوَّلُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهِيَ أَفْظَعُهَا. وَمِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مَنْ قَوْلِهِ: «فَيَكْشفُ لَهُمْ عَنْ سَاقٍ» ، مَحْمُولٌ أَيْضًا عَلَى الشِّدَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ مَجَازٌ شَائِعٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ. قَالَ حَاتِمٌ:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِي الْخَيْلَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءَ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عِرَاقِهَا

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَقَالَ آخَرُ:

صَبْراً أُمامُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقْ وقَامتِ الحَرْبُ بِنَا عَلى سَاقْ

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا من الشَّرِّ البَوَاح

ويروى: الصّداخ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هَذِهِ كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي الشِّدَّةِ، يُقَالُ: كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ إِذَا تَشَمَّرَ. قَالَ: وَمِنْ هَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ لِسَنَةِ الْجَدْبِ: كَشَفَتْ سَاقَهَا، وَنَكَّرَ سَاقٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مُبْهَمٌ فِي الشِّدَّةِ، خَارِجٌ عَنِ الْمَأْلُوفِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمَ يَقَعُ أَمْرٌ فَظِيعٌ هَائِلٌ" .

وقال الإمام السَّمين الحلبي (٧٥٦هـ) في "الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون "(١٠/٤١٦) :"قوله: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ**﴾ منصوبٌ بقولِه ﴿**فَلْيَأْتُوا**﴾ أو بإضمار اذْكُرْ، فيكونُ مفعولاً به أو بمحذوفٍ، وهو ظرفٌ، أي: يومَ يُكْشَف يكونُ كَيْتَ وكَيْتَ، أو بخاشعة، قاله أبو البقاء. وفيه بَعْدٌ و ﴿**عَنْ سَاقٍ**﴾ قائمٌ مَقامَ الفاعلِ، وابنُ مسعود وابن أبي عبلة «يَكْشِفُ» بالياءِ مِنْ تحتُ مبنياً للفاعلِ وهو اللهُ. وقرأ ابنُ عبَّاس وعبد الله أيضاً «نكشِفُ» بكسر النُّون. وعن ابن عبَّاس «تَكْشِفُ» بالتَّاء من فوق مبنيَّاً للفاعل، أي: الشدَّةُ والسَّاعةُ. وعنه كذلك أيضاً مبنيَّاً للمفعول وهي مُشْكِلَةٌ؛ لأنَّ التَّأنيثَ لا معنى له هنا، إلاَّ أَنْ يُقالَ: إنَّ المفعولَ مستترٌ، أي: تُكْشَفُ هي، أي: الشِّدَّةُ.

قوله: ﴿**عَنْ سَاقٍ**﴾ ، أي: تَكْشِفُ عن ساقِها؛ ولذلك قال الزَّمخشري: «وتكشِفُ بالتَّاء مبنياً للفاعلِ والمفعولِ جميعاً. والفعلُ للسَّاعةِ، أو للحال، أي: تَشْتَدُّ الحالُ أو السَّاعةُ» . وقُرِىء «يُكْشِفُ» بضمِّ الياء أو التَّاء وكسرِ الشِّين، مِنْ «أَكْشَفَ» إذا دَخَلَ في الكَشْفِ. وأَكْشَفَ الرَّجلُ: إذا انقلَبَتْ شَفَتُهُ العليا لانكشافِ ما تحتَها. وكَشْفُ السَّاقِ كنايةٌ عن الشِّدَّةِ، لا يَمْتري في ذلك مَنْ ذاق طعم الكلامِ، وسَمعَ قولَ العربِ في نَظْمها ونثرها. قال الراجزُ:

عَجِبْتُ مِنْ نفسي ومن إشفاقِها   ومِنْ طِرادي الطيرَ عن أَرْزاقِها
في سَنَةٍ قد كَشَفَتْ عَنْ سَــاقِها   حمراءَ تَبْرِي اللحمَ عَنْ عُراقِهــا

وقال حاتم الطَّائي:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وقال آخر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وقال آخر:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وجَدَّت الحَرْبُ بِكُم فَجُدُّوا

وقال آخر:

صبراً أُمامُ إنَّه شرٌّ باقِ وقامَتِ الحربُ بنا على ساقِ

قال الزَّمخشري: «الكَشْفُ عن السَّاق والإبداء عن الحزام مَثَلٌ في شدةِ الأمرِ وصُعوبةِ الخَطْبِ. وأصلُه في الرَّوْعِ والهزيمةِ وتشميرِ المُخَدَّرات عن سُوْقِهِنَّ في الحرب، وإبداءِ خِدامِهِنَّ عند ذلك ".

وقال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) في " تفسير القرآن العظيم" (٨/ ١٩٨-١٩٩) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالزَّلَازِلِ وَالْبَلَاءِ وَالِامْتِحَانِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ.

وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ هاهنا: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَار، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "يَكشِفُ رَبُّنا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا" . أخرجه البخاري (٦/ ١٥٩ برقم ٤٩١٩) .

وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَفِي غَيْرِهِمَا مِنْ طُرُقٍ وَلَهُ أَلْفَاظٌ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَشْهُورٌ.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابن عباس: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: هُوَ يَوْمُ كَرْب وَشِدَّةٍ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا مِهْران، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -أَوِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، الشَّكُّ مِنِ ابْنِ جَرِيرٍ-: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقِ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ ابن جُرَيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ وَجِدُّهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفظع مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، يَقُولُ: حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ. وَكَشْفُهُ دُخُولُ الْآخِرَةِ، وَكَشْفُ الْأَمْرِ عَنْهُ. وَكَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. أَوْرَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ ثُمَّ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّة، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عُمَرَ الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ رَوْحُ بْنِ جَنَاحٍ، عَنْ مَوْلًى لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: "عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ، يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا".

وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، به وفيه رجل مبهم ، والله أعلم" .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي(٧٧٥هـ) في "اللباب في علوم الكتاب"(١٩/٢٩٨-٣٠٠) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** **﴿يَوْمَ﴾** منصوب بقوله : **﴿فليَأْتُوا﴾** ، أي: فليأتوا بشركائهم يوم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ليشفع الشُّركاء لهم وحينئذ لا يوقف على **﴿صَادِقِينَ﴾** .

أو بإضمارِ «اذْكُرْ» فيكون مفعولاً به، أو بمحذوفٍ وهو ظرف، أي: يوم يُكْشَفُ يكون كيت وكيت. أو بـ **﴿خَاشِعَةً﴾** . قاله أبو البقاء.

و **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** قائم مقام الفاعل.

وقرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة: «تكشف» بالتَّاء من فوق مبنيّاً للفاعل، أي: الشدَّة والسَّاعة. وعنه أيضاً كذلك: مبنيّاً للمفعول.

وهي مشكلة، لأنَّ التَّأنيث لا معنى له هاهنا إلَّا أن يقال: إنَّ المفعول مستتر، أي: تكشف هي، أي: الشدَّة، ويتعلَّق **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** بمحذوف، أي: تكشف عن ساقها.

ولذلك قال الزَّمخشري: «وتكشف» بالتَّاء مبنيَّاً للفاعل والمفعول جميعاً، والفعل للسَّاعة، أو الحال: أي يشتدُّ الحال، أو السَّاعة.

وقرىء: «ويُكشِفُ» - بضم التَّاء أو الياء وكسر الشِّين - من «أكشف» إذا دخل في الكشف، وأكشف الرّجل إذا انقلبت شفته العليا لانكشاف ما تحتها. ويقال له أيضاً: أخلع وكشف السَّاق كناية عن الشدَّة.

قال الرَّاجز:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا

في سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَــاقِهَا حَمْرَاءِ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِهَا

وقال حاتم الطائيُّ:

أخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عضَّهَا وإنْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقهَا الحَرْبُ شَمَّرَا

وقال الآخر:

كَشفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ البَوَاحُ

وقال الرَّاجز:

قَدْ شَمرَتْ عَنْ سَاقِهَا فشُدُّوا وجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وقال الآخر:

صَبْراً أُمامُ إنَّهُ شَرٌّ بَاقْ وقَامتِ الحَرْبُ بِنَا على سَاقْ

قال الزَّمخشريُّ: الكشفُ عن السَّاق والإبداء عن الحزام مثلٌ في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الرّوع والهزيمة وتشمير المخدَّراتِ عن سوقهنَّ في الهرب وإبداء خدامهنَّ عند ذلك؛ قال حاتم:

أخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وإنْ شمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وقال ابن قيس الرُّقيَّاتِ:

تُذهِلُ الشَّيْخَ عنْ بنيهِ وتُبْدِي   عَنْ خِدَامِ العَقيلَةُ العَذْراءُ

انتهى.

فصل في «السَّاق» : قال ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ، قال: كرب وشدَّة.

وعن مجاهد: شدَّة الأمر وحده.

وروى مجاهد عن ابن عبَّاس قال: أشدّ ساعةٍ في القيامة.

وقال أبو عبيدة: إذا اشتدّ الأمر، أو الحرب قيل كشف الأمر عن ساقه.

والأصل فيه: أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجدّ، شمَّر عن ساقه، فاستُعير السَّاق والكشف عنها في موضع الشدَّة.

وقيل: ساق الشَّيء: أصله الذي به قوامه كساق الشَّجرة، وساق الإنسان، أي: يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر، فتظهر حقائق الأمور، وأصلها.

وقيل: يُكْشَفُ عَنْ سَاقِ جهنَّم.

وقيل: عَنْ سَاقِ العرش.

وقيل: يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن، أي: يكْشفُ المريض عن ساقه ليبصر ضعفه، ويدعوه المؤذِّنون إلى الصَّلاة، فلا يمكنه أن يقوم، ويخرج.

فَصْلٌ فِي تَأوِيْلِ «السَّاق» :

قال القرطبيُّ: فأمَّا ما روي الله تعالى يكْشفُ عن ساقه، فإنَّه عَزَّ وَجَلَّ يتعالى عن الأعضاء، والأبعاض، وأن ينكشف، ويتغطَّى، ومعناه أن يكْشفُ عن العظيم من أمره ،وقيل: «يكشف عن نوره عَزَّ وَجَلَّ» .

وروى أبو موسى عن النَّبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال: يُكْشَفُ عن نورٍ عظيمٍ يخِرُّونَ لهُ سُجَّداً" .

وقال الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) في "الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري"(١٨/ ١٦٣) : "قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ ، فروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال : أي : عن شدَّة وكرب ، قال بعض الأعراب : وكان يطرد الطَّير عن زرعه في سنة جدب:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا   ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا

فِي سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَـــاقِهَا

فيحتمل أن يكون معنى الحديث : أنَّه يشتدُّ أمر القيامة ، فيتميَّز عند ذلك أهل الإخلاص فيؤذن لهم في السُّجود ، وأهل النِّفاق يعود ظهورهم طبقاً لا يستطيعون السُّجود ، وأوَّله بعضهم بأنَّ الله يُكْشَفُ لهم عَنْ سَاقِ لبعض المخلوقين من ملائكته وغيرهم ، ويجعل في ذلك سبباً لبيان ما شاء من حكمته في أهل الإيمان والنِّفاق ، قال : وفيه وجه آخر وقد تحتمله اللغة ، روي عن ابن عبَّاس النَّحوي فيما عدَّ من المعاني الواقعة تحت هذا الاسم أنَّه قال : السَّاق النَّفس ، كما قال عليٌّ ﷺ : والله لأقاتلنَّ الخوارج ولو تلفت ساقي ، فيحتمل أن يكون المراد به : تجلِّي ذاته لهم وكشف الحجب حتَّى إذا رأوه سجدوا" .

وقال الإمام الزّركشي (٧٩٤هـ) في "البرهان في علوم القرآن "(٢/ ٨٤) : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، قَالَ قَتَادَةُ: عَنْ شِدَّةٍ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَيْ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَامَتِ الحرب عَنْ سَاقِ

وَأَصْلُ هَذَا : أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ يَحْتَاجُ إِلَى مُعَانَاةٍ وَجِدٍّ فِيهِ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ ، فَاسْتُعِيرَتِ السَّاقُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ" .

وقال الإمام ابن الملقِّن(٨٠٤هـ) في "التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح"(٢٣/ ٤٤٧-٤٤٨) :"وقد اختلف العلماء في هذا الحديث ، فمنهم من توقَّف عن كشف معناه. ومنهم من أقدم عليه فأوَّلها بالشدَّة والكرب؛ لأنَّه يُستعمل في اللغة على معنى شدَّة الأمر، كقوله:

وَقَامَتِ الحَرْبُ عَلَى سَاقٍ

وعبَّر بعضهم عنه بالقيامة وهولها، وبعضهم بأوَّل ساعاتها، وهي أفظعها وأشدّها، ومنهم من قال: المراد ما يبرز من أمور القيامة وشدَّتها، فترتفع معه شدائد الامتحان، ويؤذن لأهل اليقين والإخلاص في السُّجود، ويكشف الغطاء عن أهل النِّفاق، فتعود ظهورهم طبقًا لا يستطيعون السُّجود، ويؤيِّده حديث أبي موسى "فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله" ، وعن ابن مسعود "إذا كان يوم القيامة قام النَّاس لربِّ العالمين أربعين عامًا" فيه: "فعند ذلك يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ويتجلَّى لهم ... " الحديث.

وقريب منه أنَّ المراد بالسَّاق: النَّفس ، ومنه قول علي حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج ، فقال: والله لأقاتلنَّهم ولو تلفت ساقي ، يريد: نفسه .

والمراد: التَّجلّي وكشف الحجب ، حتَّى إذا رأوه سجدوا له، ومنهم من قال: المراد: يُكْشَفُ لهم عَنْ سَاقٍ بعض المخلوقين من الملائكة، فيجعل لهم شيئًا لبيان ما يشاء من حكمته في أهل الإيمان والنِّفاق.

وقرأها ابن عبَّاس بضم الياء، ورد الحكيم التِّرمذي على ابن قتيبة حيث قال في "مشكله": المراد بقوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي: عن شدَّة الأمر بحديث ابن مسعود السَّالف" .

وقال أيضاً في " التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح" (٣٣/ ٣٣٢) : " وقال ابن عبَّاس في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، عن شدَّة الأمر ، أو يُكْشَفُ عن أمر عظيم يريد به هولًا من أهوال يوم القيامة.

وروي عن عمر بن الخطَّاب ﷺ في قوله تعالى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ﴿القيامة: ٢٩﴾ ، أي: أعمال الدُّنيا بمحاسبة الآخرة، وذلك أمر عظيم، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق، إذا كانت شديدة، فيظهر الله سبحانه وتعالى على الخلق هذِه الشدَّة التي لا يكون مثلها من مخلوق، ليبكِّت بها الكافرين وينزع عنهم قدرتهم التي كانوا يدَّعونها، فيعلمون حينئذٍ أنَّه الحقّ" .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن عماد الدِّين ابن الهائم(٨١٥هـ) في "التِّبيان في تفسير غريب القرآن"(ص٣٢٠) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ : إذا اشتدَّ الأمر والحرب. قيل: كشف الأمر عن ساقه".

وقال الإمام الفيروزآبادي(٨١٧هـ) في "بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز"(٣/ ٢٨٠) : " وقال بعضهم في : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ : إِنَّه إشارة إِلى شدَّة. وهو أَن يموت الولد في بطن النَّاقة فيُدخل المذمِّر يده في رَحِمها فيأْخذ بساقه فيخرجه يَتَنًا، فهذا هو الكشف عن السَّاق، فجُعل لكلِّ أَمر فظيع" .

قلت : ومنى كلمة : " يَتَنًا " ، أي : الوليد الذي تخرج رجلاه قبل رأسه ويديه في الولادة ...

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر المعروف بالدَّماميني، وبابن الدَّماميني(٨٢٧ هـ) في "مصابيح الجامع"(٨/ ٤٧٠) :" (يَكْشِفُ ربُّنا عَنْ سَاقِهِ): من أهل السُّنَّة المؤوِّلين لأحاديث الصِّفات مَنْ قال: يحتمل أن يكون المراد: التَّجلِّيَ لهم، وكشفَ الحجب، حتى إذا رأوه، سجدوا، وطريقةُ السَّلف: التَّسليمُ، وتركُ الخوض، مع التَّنزيه عن سمات الحدوث، وهي أولى وأسلم" .

وقال الإمام شمس الدِّين البِرْماوي، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى النّعيمي العسقلاني المصري الشَّافعي(٨٣١ هـ) في " اللامع الصَّبيح بشرح الجامع الصَّحيح"(١٢/ ٥٢٢-٥٢٣) :"قال (خ): هذا الحديثُ ممَّا أَجرَوه على ظاهرِه على نحو مَذْهبهم في التَّوقُّف عن تَفسير ما لا يُحيط العِلْمُ به، أي: من المُتشَابِهِ، وقد أوَّلَه بعضُهم على معنى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، فرُوي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: أي: عن شِدَّة، وكَرْبٍ، قال بعضُ الأَعراب وكان يَطرُد الطَّير عن زَرْعه في سنَةِ جَدْبٍ:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِها وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرزَاقها

في سَنَةٍ قد كَشَفَتْ عَنْ سَاقِها

فيحتمل أنَّ معنى الحديث: أنَّه يَشتدُّ أمر القِيامة، فيتميَّز عند ذلك أهل الإخْلاص، فيُؤذَن لهم في السُّجود، وأهل النِّفاق تعُود ظُهورهم طَبقًا لا يَستطيعون السُّجود، وأوَّلَه بعضُهم بأنْ يكْشفُ لهم ساقًا لبعض المَخلوقين من المَلائكة وغيرهم، ويُجعل ذلك سببًا لبَيان ما شاءَ من حِكْمته في أهل الإيمان والنِّفاق.

قال: وفيه وجه آخَر، وقد تَحتملُه اللُّغة: رُوي عن أبي العبَّاس النَّحوي فيما عُدَّ من المَعاني الواقعة تَحتَ هذا الاسم أنَّه قال: السَّاق: النَّفْس، كما قال عليٌّ ﷺ : واللهِ لأُقاتِلَنَّ الخَوارِجَ ولَو بلَغَتْ سَاقِي، فيكون المُراد به هنا تَجلِّي ذاتِه لهم، وكَشْف الحُجُب لهم، حتَّى إذا رأَوه سَجَدوا له" .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) في"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"(٦/ ٣٣٩-٣٤٠) :" **﴿عَنْ ساقٍ﴾** كان كيت وكيت. احتجَّت المشبِّهةُ على أنَّ لله سَاقاً ، وأيَّدوه بما يروى عن ابن مسعود مرفوعاً أنَّه يتمثَّل الحقُّ يوم القيامة ثمَّ يقول: هل تعرفون ربَّكم؟ فيقولون: إذا عرَّفنا نفسه عرفناه ، فعند ذلك يكشف الرَّحمن عن ساقه، فأمَّا المؤمنون فيخرُّون سُجَّداً، وأمَّا المنافقون فتكون ظهورهم كالطَّبق الواحد ، وذلك قوله : **﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾** حال كونهم **﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ﴾** يعني : يلحقهم ذلٌّ بسبب أنَّهم لم يكونوا مواظبين على خدمة مولاهم في حال السَّلامة ووجود الأصلاب والمفاصل على هيآتها المؤدِّية للرُّكوع والسُّجود.

وقال أهل السُّنَّة: الدَّليل الدَّالُّ على أنَّه تعالى منزَّه عن الجسميَّة وعن كلِّ صفات الحدوث وسمات الإمكان دلَّ على أنَّ السَّاق لم يرد بها الجارحة، فأوَّلوه أنَّه عبارة عن شدَّة الأمر وعِظَم الخَطْب، وأصله في الرَّوع والهزيمة وتشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ ، ومثله :

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاق

ومعناه : يوم يشتدُّ الأمر ويتفاقم ، ولا كشف ثمَّة ولا ساق ، كما تقول للأقطع الشَّحيح : «يده مغلولة» ، ولا يد ثمَّة ولا غلّ ، وإنَّما هو مثلٌ في البُخل، وهكذا في الحديث ، ومعناه : يشتدُّ أمرُ

الرَّحمن ويتفاقم هوله. قال في " الكشَّاف" : ثمَّ كان من حقِّ السَّاق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبِّه لأنَّها ساق مخصوصة معهودة عنده ، وهي ساق الرَّحمن.

وإنَّما جاءت مُنكرة في التَّمثيل للدَّلالة على أنَّه أمر فظيع هائل: قلت: الإنصاف أنَّ هذا لا يرد على المشبِّه ، فإنَّ له أن يقول إنَّما نكّر السَّاق لأجل التَّعظيم ، أي : ساق لا يكتنه كنه عظمتها كما يقول غيره. وقال أبو سعيد الضَّرير: ساق الشَّيء أصله الذي به قوامه ، كساق الشَّجر وساق الإنسان، فمعنى الآية : يوم تظهر حقائق الأشياء وأصولها. وقيل: يُكشف عَنْ سَاقِ جهنَّم أو عَنْ سَاقِ العرش أو عَنْ سَاقِ ملك مهيب" .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في " فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٨/ ٦٦٤) :" وَله بَاب **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** .

أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا فِي قَوْلِهِ : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾** ، قَالَ عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْله : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾** ، قَالَ : عَنْ شِدَّةِ أَمْرٍ ، وَعِنْدَ الْحَاكِمِ مِنْ طَرِيق عِكْرِمَة عَن بن عَبَّاسٍ ، قَالَ : هُوَ يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فَيَكُونُ الْمَعْنَى يكْشفُ عَنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تَنْكَشِفُ عَنِ الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ ، وَذُكِرَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ" .

وقال أيضاً في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"(١٣/ ٤٢٨) : " ... وأمَّا السَّاق ، فجَاء عَن بن عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ : عَنْ شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ إِذَا اشْتَدَّتْ ، وَمِنْهُ:

قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ　　وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وَجَاءَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي تَفْسِيرِهَا : عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ ، قَالَ بن فَوْرَكٍ : مَعْنَاهُ مَا يَتَجَدَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَلْطَافِ ، وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : كَشْفُ السَّاقِ لِلْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةٌ وَلِغَيْرِهِمْ نِقْمَةٌ ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَهَيَّبَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّيُوخِ الْخَوْضَ فِي مَعْنَى السَّاقِ ، وَمَعْنَى قَوْلِ بن عَبَّاسٍ إِنَّ اللَّهَ

يكْشفُ عَنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا الشِّدَّةُ . وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ الْأَثَرَ الْمَذْكُورَ عَن بن عَبَّاسٍ بِسَنَدَيْنِ كُلٌّ مِنْهُمَا حَسَنٌ ، وَزَادَ : إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَتْبِعُوهُ مِنَ الشِّعْرِ ، وَذَكَرَ الرَّجَزَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ ، وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ من وَجه آخر صَحِيح عَن بن عَبَّاسٍ ، قَالَ : يُرِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَقَدْ يُطْلَقُ وَيُرَادُ النَّفْسُ" .

وقال الإمام محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (٨٥٤ هـ) في "شرح مصابيح السُّنَّة للإمام البغوي"(١٨/٦) :

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ؛ أي: عن أمر عظيم، وهو: أهوال القيامة، والسَّاق: الشدَّة والمشقَّة، يقال: كشفت الحربُ عن السَّاق: إذا اشتدَّ الأمر في الحرب" .

وقال الإمام بدر الدِّين العيني(٨٥٥هـ) في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"(١٩/ ٢٥٧) :

"بابٌ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾**﴿الْقَلَم: ٢٤﴾ ، أَي: هَذَا بَاب فِي قَوْله تَعَالَى: **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَن سَاق﴾** ، قيل: تكشف الْقِيَامَة عَن سَاقها، وَقيل: عَن أَمر شَدِيد فظيع وَهُوَ إقبال الْآخِرَة. وَذَهَاب الدُّنْيَا، وَهَذَا من بَاب الِاسْتِعَارَة تَقول الْعَرَب للرجل إِذا وَقع فِي أَمر عَظِيم يحْتَاج فِيهِ إِلَى اجْتِهَاد ومعاناة ومقاساة للشدَّة شمَّر عَن سَاقه، فاستعير السَّاق فِي مَوضِع الشدَّة، وَإِن لم يكن كشف السَّاق حَقِيقَة، كَمَا يُقَال: أَسْفر وَجه الصُّبْح، واستقام لَهُ صدر الرَّأْي، وَالْعرب تَقول: لسنة الْحَرْب: كشفت عَن سَاقهَا" .

وقال أيضاً في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"(٢٥/ ١٢٩) :" (قَوْله: " يكْشف" على صِيغَة الْمَجْهُول وَالْمَعْرُوف عَن سَاقه ، فسَّر السَّاق بالشدَّة ، أَي: يُكْشَفُ عَن شدَّة ذَلِك الْيَوْم وَأمر مهول ، وَهَذَا مثل تضربه الْعَرَب لشدَّة الْأَمر ، كَمَا يُقَال: قَامَت الْحَرْب على سَاق، وَجَاء عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، قَالَ: عَن شدَّة من الْأَمر. وَقيل: الْمُرَاد بِهِ النُّور الْعَظِيم، وَقيل: هُوَ جمَاعَة من الْمَلَائِكَة يُقَال: سَاق من النَّاس، كَمَا يُقَال: رجل

من جَراد، وَقيل: هُوَ سَاق يخلقه الله خَارِجا عَن السُّوق الْمُعْتَادَة، وَقيل: جَاءَ السَّاق بِمَعْنى النَّفس أَي: تتجلى لَهُم ذَاته" .

وقال أيضاً في "المقاصد النحويَّة في شرح شواهد شروح الألفيَّة المشهور بـ «شرح الشَّواهد الكبرى» (٢/ ٦٧٣) :"قوله: "عن ساقها" المراد بالسَّاق الشدَّة؛ كما في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾، أي: عن شدَّة، قوله: "الصّراح" بضم الصَّاد وكسرها؛ أي: الخالص".

وقال أيضاً في " القاموس المحيط "(ص٨٩٥) : **﴿يوم يُكْشَفُ عن ساقٍ﴾** : عن شِدَّةٍ ، **﴿والتَفَّتِ الساقُ بالساقِ﴾** : آخِرُ شِدَّةِ الدُّنْيا بأَوَّلِ شِدَّةِ الآخِرَةِ، يَذْكُرونَ السَّاقَ إذا أرادوا شدَّةَ الأمرِ والإِخْبارَ عن هَوْلِهِ" .

وقال الإمام الثَّعالبي(٨٧٥هـ) في "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"(٥/ ٤٧٠) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** ، وقرأ ابن عبَّاس : «تُكْشَفُ» - بضم التَّاء- على مَعْنَى: تُكْشَفُ القيامةُ والشدَّةُ والحالُ الحاضرة، وقرأ ابن عبَّاس أيضاً: «تَكْشِفُ» - بفتح التَّاء- على أنَّ القيامةَ هي الكاشِفَةُ، وهذه القراءة مفسِّرَة لقراءَةِ الجماعةِ، فما وَرَدَ في الحديثِ والآيةِ مِنْ كَشْفِ السَّاقِ فهو عبارة عَنْ شدَّةِ الهول" .

وقال الإمام البقاعي(٨٨٥هـ)في"نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور"(٨/ ١١١-١١٢) : **﴿يُكْشَفُ﴾** ، أي : يحصل الكشف فيه ، وبني للمفعول لأنَّ المخيف وقوع الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الأمور وخروجها عن حدِّ الطَّوق ، لا كونه من معين ، مع أنَّ من المعلوم أنَّه لا فاعل هناك غيره سبحانه **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي : يشتدُّ فيه الأمر غاية الاشتداد ، لأنَّ من اشتدَّ عليه الأمر وجدَّ في فصله شمَّر عن ساقه لأجله ، وشمَّر حرمه عن سوقهنَّ غير محتشمات هرباً ، فهو كناية عن هذا ، ولذلك نكَّره تهويلاً له وتعظيماً ، نقل هذا التَّأويل عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير رضي الله عنه وغيرهما ، وعن انكشاف جميع الحقائق وظهور الجلائل فيه والدَّقائق من الأهوال وغيرها ، كما كشفت هذه الآيات جميع الشُّبه وتركت السَّامع لها في مثل ضوء النَّهار ، وفي الجزء الخامس

والثَّلاثين من مسند أبي يعلى الموصلي (١٣/ ٢٦٩ برقم ٧٢٨٣) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا "، وهو لا ينافي ما ذكر من التَّأويلين : الشدَّة والكشْف" .

وقال الإمام أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمَّد الكوراني الشَّافعي ثمَّ الحنفي (٨٩٣هـ) في "الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري" (٨/ ٣٢٦) :" السَّاق لغة معروفة، وهو في حقِّه تعالى مُحال، فقيل: هذا كلام على طريقة المثل، فإنَّ الإنسان إذا وقع في أمر شاقٍّ يكْشفُ عن ساقه، وهذا كلامه في هذا الموضع لا وجه له؛ لأنَّ الذي يقع في أمر شاق هو الذي يكْشفُ عن ساق، فأيّ معنى له هنا؟! وفي بعض الرِّوايات "يكشف عن ساقه" بالإضافة إليه تعالى، والظَّاهر من كشف السَّاق أنَّه عبارة عن تجلِّيه تعالى على المؤمنين متنزِّهًا عن الجهة والكيف".

وقال أيضاً في "الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري" (١١/ ٢٤١) :" قال ابن الأثير والجوهري: كشفُ السَّاق عبارة عن شدَّة الأمر، وهو المروي عن ابن عبَّاس في تفسير قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، وهذا وإن كان متعارفًا، يقال: قامت الحرب عَنْ سَاقٍ ، أي: اشتدَّت. وفيه قول الشَّاعر:

قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

ولكن ظاهر أنَّه لا يلائم هذا المقام. كيف لا وقد جعل علامة يعرفونها به، ويستدلُّون بها على أنَّه تعالى هو ربّهم، فالذي يجب القطع به أنَّه عبارة عن التّجلِّي من غير جهة وكَيْفٍ، فإنَّه من خواص الألوهيَّة، وقد حام حوله الخطَّابي ، قال: أوَّلًا توقَّف كثير من الشُّيوخ عن الخوض في معنى السَّاق، ثمَّ قال: وقد يُطلق السَّاق على النَّفس" .

وقال الإمام الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) في "تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن" (٤/ ٣٧٥-٣٧٦) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، مقدَّر بـ اذكر، أو متعلِّق بـ **﴿فَلْيَأْتُوا﴾** ، أي: يوم يشتدّ الأمر، وكشف السَّاق مثل في ذلك، أو يوم يُكْشَفُ عن حقائق الأمور وخفيَّاتها، وفي الصَّحيحين :

سمعت النَّبي ﷺ "يوم يكْشفُ ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمن ومؤمنة ". أخرجه البخاري (٦/ ١٥٩ برقم ٤٩١٩).

وقد نقل عنه عليه الصَّلاة والسَّلام **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، نور عظيم يخرُّون له سجدًا " .

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) في " الإتقان في علوم القرآن "(٢/ ٤٩) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفَظَّعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

وقال أيضاً في "الإتقان في علوم القرآن "(٢/ ٩٠) : "... قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: عن شدة الآخرة قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

قَدْ قَامَتْ بِنَا الْحَرْبُ عَلَى سَاقِ

وقال أيضاً في "الإتقان في علوم القرآن "(٣/ ٢١) : " وَمِنْ ذَلِكَ السَّاقُ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، وَمَعْنَاهُ عَنْ شِدَّةٍ وَأَمْرٍ عَظِيمٍ كَمَا يُقَالُ:

قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عِنَاقْ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقْ　　قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقْ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقْ

وقال أيضاً في "التَّوشيح شرح الجامع الصَّحيح"(٧/ ٣٠٩٨) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، للإسماعيلي: "عن ساق" أي: كرب وشدَّة، كما أخرجه الحاكم عن ابن عبَّاس " .

وقال أيضاً في "معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)(١/ ١١٥) : "ومن ذلك قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** .

ومعناه : عن شدَّة وأمر عظيم، كما يقال: قامت الحربُ على ساق.

وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٢ برقم ٣٨٤٥) من طريق عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: «إِذَا خَفِي عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عَنَاقَ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ   قَدْ سَنَّ قَوْمَكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقْ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ"

وقال أيضاً في " شرح شواهد المغني "(٢/ ٥٨٤) قوله: كشفت لهم عن ساقها ، أي : شدَّتها، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، والصُّراح بضم الصَّاد وكسرها، الخالص" .

وجاء في تفسير الجلالين (ص٧٦٠) : "اذكر ﴿يَوْم يُكْشَف عَنْ سَاق﴾ هُوَ عِبَارَة عَنْ شِدَّة الْأَمْر يَوْم الْقِيَامَة لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاء ، يُقَال : كَشَفَتْ الْحَرْب عَنْ سَاقٍ: إذَا اشْتَدَّ الْأَمْر فِيهَا" .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي المصري الشَّافعي (٩٢٦ هـ) في " منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمَّى «تحفة الباري»(٨/ ٢١٢) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي: عن أمر شديد" .

وقال الإمام القسطلاني(٩٢٣هـ) في"إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري"(٧/ ٣٩٩) : "قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ هو عبارة عن شدَّة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ، يقال : كشفت الحرب عَنْ سَاقِ إذا اشتدَّ الأمر فيها ، فهو كناية إذ لا كشف ولا ساق" .

وقال أيضاً في" إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري"(١٠/ ٤٠٤) : "قال ابن عبَّاس في تفسير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ الشدَّة من الأمر، والعرب تقول : قامت الحرب على ساق إذا اشتدَّت أو هو النُّور العظيم ، كما روي عن أبي موسى الأشعري، أو ما يتجدَّد للمؤمنين من الفوائد

والألطاف كما قال ابن فورك، أو رحمة للمؤمنين نقمة لغيرهم قاله المهلب ... وقيل : السَّاق يأتي بمعنى النَّفس ، أي : تتجلَّى لهم ذاته المقدَّسة" .

وقال الإمام مجير الدِّين بن محمَّد العليمي المقدسي الحنبلي(٩٢٧هـ)في "فتح الرَّحمن في تفسير القرآن" (٧/ ١٣٤) : ﴿يَوْمَ﴾ ، أي: واذكرْ يومَ ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي: يشتدُّ الأمر، قال ابن عبَّاس: "هو أشدُّ ساعة في القيامة"، يقال: كشفت الحرب عن ساقها؛ أي: شدَّتها" .

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني(٩٧٧هـ) في " السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير" (٤/ ٣٦٢-٤٦٣) : ﴿عَنْ سَاق﴾ ، أي: يشتدُّ فيه الأمر غاية الاشتداد، لأنَّ من اشتدَّ عليه الأمر وجدَّ في فصله شمَّر عن ساقه لأجله ، وشمَّرت حرمه عن سوقهنَّ غير محتشمات ، فهو كناية عن هذا، ولذلك نكَّره تهويلاً له وتعظيماً، نقل هذا التَّأويل عن ابن عبَّاس وسعيد بن جبير وغيرهما، وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الجلائل فيه والدَّقائق من الأهوال وغيرها، كما كشفت هذه الآيات جميع الشُّبه، فتركت السَّامع لها في مثل ضوء النَّهار، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار: اذكر فيكون على هذا مفعولاً به وعلى الأوَّل لا يوقف على صادقين.

تَنْبِيْه: علم ممَّا تقرَّر أنَّ كشف السَّاق كناية عن الشدَّة، قال الرَّاجز:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِها   وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرزَاقها

في سَنَةٍ قد كَشَفَتْ عَنْ سَــاقِها   حَمْرَاء تبرِي اللحْمَ عَنْ عرَاقِهَــا

وقال: الطَّائي:

أَخُو الحربِ إنْ عضَّتْ بهِ الحربُ عَضَّها   وإنْ شمَّرتْ عنْ ساقِهَا الحربُ شَمَّرا

وقال: آخر:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وجَدَّت الحَرْبُ بِكُم فَجُدُّوا

وقال أبو عبيدة: إذا اشتدَّ الأمر أو الحرب قيل: كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه: أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجدّ شمَّر عن ساقه، فاستُعير السَّاق والكشف عنها في موضع الشدَّة، وقال

القرطبي: وأمَّا ما روي أنَّ الله تعالى يُكْشفُ عن ساقه، فإنَّه تعالى متعال عن الأعضاء والأبعاض وأن ينكشف ويتغطَّى، ومعناه: أن يُكْشفُ عن العظيم من أمره. وقيل: يُكْشفُ عن نوره عزَّ وجلَّ، وروى أبو موسى عن النَّبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال: «يُكشف عن نور عظيم يخرُّون له سجَّداً» ، وروى أبو بردة عن أبي موسى قال: حدَّثني أبو موسى ، قال: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا ، فَيَذْهَبُ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا ، وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبًّا كُنَّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ نَرَهُ قَالَ : وَتَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، فَيُقَالُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ لَا شِبْهَ لَهُ فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا ، وَيَبْقَى قَوْمٌ فِي ظُهُورِهِمْ مِثْلُ صَيَاصِي الْبَقَرِ ، فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾» ... أخرجه بهذا اللفظ الآجري في الشريعة (٢/ ١٠١٥ برقم ٦٠٧).

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي(٩٨٢هـ) في "إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" (٩/ ١٨) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي : يومَ يشتدُّ الأمرُ ويصعبُ الخطبُ ، وكشفُ السَّاقِ مَثَلٌ في ذلكَ ، وأصلُهُ تشميرُ المُخدَّراتِ عن سُوقهنَّ في الهربِ .

قالَ حاتمٌ :

أَخُو الحربِ إنْ عضَّتْ بِهِ الحربُ عَضَّها وإنْ شمَّرتْ عنْ ساقِهَا الحربُ شَمَّرا

وقيلَ : ساقُ الشَّيءِ أصلُهُ الذي بِهِ قوامُه كساقِ الشَّجرِ وساقِ الإنسانِ ، أي : يوم يُكْشَفُ عن أصلِ الأمرِ فتظهرُ حقائقُ الأمورِ وأصولُهَا بحيثُ تصيرُ عياناً ، وتنكيرُهُ للتَّهويلِ أو التَّعظيمِ ، وقُرِىءَ تَكْشِفُ بالتَّاءِ على البناءِ للفاعلِ والمفعولِ والفعلُ للسَّاعةِ أو الحالِ ، وقرىء : نكشف بالنُّون ويكشف بالتَّاءِ المضمومةِ وكسرِ الشِّينِ من أكشفَ الأمرُ ، أي : دخلَ في الكشفِ ، وناصبُ

الظَّرفِ فليأتُوا أو مضمرٍ مقدَّمٍ ، أي : اذْكُر يومَ الخ أو مؤخّرٍ ، أي : يوم يكشف عَنْ سَاقِ الخ يكونُ من الأهوالِ وعظائمِ الأحوالِ مالا يبلغُه الوصفُ " .

وقال الإمام جمال الدِّين، محمَّد طاهر بن علي الصدِّيقي الهندي الفَتَّني الكجراتي (٩٨٦هـ) في"مجمع بحار الأنوار في غرائب التَّنزيل ولطائف الأخبار"(٤/ ٤٠٥) :"فيكشف" عن ساق- بفتح ياء وضمِّها، وفسَّره الجمهور بكشفه عن شدَّة الأمر المهول ، إذ من وقع فيها يشمِّر ساعده ويكشف ساقه، وقيل: هو جماعة من الملائكة الكبار، جعل ظهورها علامة بينه وبين المؤمنين، وقيل: ما يتجدَّد لهم عند الرُّؤية من الفوائد، الخطَّابي: الرُّؤية الواقعة في القيامة غير ما تكون لكرامة وإنَّما هي امتحان . بي: إن كانت الرُّؤية مرَّتين فكشف السَّاق اتِّضاح الأمر، فإنَّه تعالى لمَّا امتحنهم وظهر صحَّة إيمانهم أزال خوفهم وتجلَّى لهم فرأوه عيانًا فيسجدون ويرفعون رؤوسهم ويرون ثانيًا، وإن كانت مرَّة فكشفه إظهار من عظيم سلطان ما لا يشكُّون في صحَّته، ويستدلُّون به على حقيقة الأمر فيسجدون ويرفعون ويرون عيانًا".

وقال الإمام علي بن سلطان القاري(١٠١٤هـ) في"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"(٨/ ٣٥٠٤) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾** : فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّسَخِ بِرَفْعِ يَوْمٍ مُنَوَّنًا، وَفِي بَعْضِهَا بِالْفَتْحِ مُضَافًا، وَهُوَ أَوْفَقُ لِمَا فِي الْقُرْآنِ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أَيْ: شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ، يُقَالُ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنِ السَّاقِ إِذَا اشْتَدَّ فِيهَا، وَكَانَ أَصْلُهُ أَنَّ الْوَلَدَ يَمُوتُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ، فَيُدْخِلُ الْمُدْمِرُ يَدَهُ فِي رَحِمِهَا فَيَأْخُذُ سَاقَهُ ؛ فَجُعِلَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَسِيمٍ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا مِمَّا هَابَ الْقَوْلَ فِيهِ شُيُوخُنَا، فَأَجْرَوْهُ عَلَى ظَاهِرِ لَفْظِهِ، وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ بَاطِنِ مَعْنَاهُ، عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِهِمْ فِي التَّوَقُّفِ عَنْ تَفْسِيرِ كُلِّ مَا لَا يُحِيطُ الْعِلْمُ بِكُنْهِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَمَّا مَنْ تَأَوَّلَهُ فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ فَظِيعَةٍ، وَهُوَ إِقْبَالُ الْآخِرَةِ وَظُهُورُهَا وَذَهَابُ الدُّنْيَا وَإِدْبَارُهَا، وَيُقَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا اشْتَدَّ وَتَفَاقَمَ وَظَهَرَ وَزَالَ خَفَاؤُهُ: كَشَفَ عَنْ سَاقِهِ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ سَاقٌ" .

وقال أيضاً في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٨/ ٣٥١٩) : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ﴿القلم: ٤٢﴾ أَيْ: عَنْ شِدَّةٍ، وَتَنْكِيرُ السَّاقِ فِي الْآيَةِ مِنْ دَلَائِلِ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَوَجْهُ تَعْرِيفِ السَّاقِ فِي الْحَدِيثِ دُونَ الْآيَةِ أَنْ يُقَالَ: أَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهَا الشِّدَّةُ الَّتِي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، أَوْ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ اهـ. وَعِنْدَ الْحَاكِمِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: هُوَ يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمَعْنَى يُكْشَفُ عَنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنِ الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ.

وَقِيلَ: الْأَصْلُ فِيهِ أَنْ يَمُوتَ الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي رَحِمِهَا، فَيَأْخُذُ بِسَاقِهِ لِيُخْرِجَهُ، فَهَذَا هُوَ الْكَشْفُ عَنِ السَّاقِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَظِيعٍ. أَقُولُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً، وَحَاصِلُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْخُذُهُمْ بِالشَّدَائِدِ، كَمَنْ يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ بِالتَّشْمِيرِ عِنْدَ دُخُولِهِ فِي أَمْرٍ خَطِيرٍ. (فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ) ، أَيْ: مِنْ كَمَالِ الشِّدَّةِ يَقَعُونَ فِي السَّجْدَةِ طَالِبِينَ رَفْعَهَا بِتِلْكَ الْقُرْبَةِ، وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ «عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: " عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا» " ، فَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ تَجَلِّيًا صُورِيًّا، وَبِهَذَا يَنْحَلُّ الْإِشْكَالُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ عَلَى مَا قَرَّرَهُ بَعْضُ مَشَايِخِنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ" .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) في "أقاويل الثِّقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات " (ص١٧٣- ١٧٦) : " وَمن الْمُتَشَابه السَّاق فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُود**﴾ ﴿الْقَلَم ٤٢﴾ ، وَقَوله ﷺ فِي حَدِيث البُخَارِيّ وَمُسلم : قَالُوا يَا رَسُول الله هَل نرى رَبَّنَا يَوْم الْقِيَامَة ، وَفِيه : فَيَقُول هَل بَيْنكُم وَبَينه آيَة تعرفونه بهَا ؟ فَيَقُول : نعم ، فَيكْشف عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يبْقى من كَانَ يسْجد لله من تِلْقَاء نَفسه إِلَّا أذن الله لَهُ بِالسُّجُود ، وَلَا يبْقى من كَانَ اتّقاء ورياء إِلَّا جعل الله ظَهره طبقَة وَاحِدَة ، كلَّما أَرَادَ أَن يسْجد خرَّ على قَفاهُ " الحَدِيث . أخرجه البخاري (٦/ ٤٤ برقم ٤٥٨١) ، مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) .

وَفِي بعض طرق البُخَارِيّ (١/ ١٥٩ برقم ٤٩١٩) : "يكْشفُ رَبُّنَا عَن سَاقه" .

قَالَ الْخطابِي : هَذَا الحَدِيث مِمَّا تهيَّب القَوْل فِيهِ شُيُوخنَا ، فأجروه على ظَاهر لَفظه وَلم يكشفوا عَن بَاطِن مَعْنَاهُ ، على نَحْو مَذْهَبهم فِي التَّوْقِيف عِنْد تَفْسِير كلّ مَا لَا يُحِيط الْعلم بكنهه من هَذَا الْبَاب، وَقَالَ أهل التَّأْوِيل : هَذَا يؤوَّل على معنى شدَّة الْأَمر وهوله ، قَالَ الْجَوْهَرِي وَغَيره فِي قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أَي : عَن شدَّة ، كَمَا يُقَال : قَامَت الْحَرْبُ على سَاق .

وروى الْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك من طَرِيق عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس أَنَّه سُئِلَ عَن قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، فَقَالَ : إِذا خَفِي عَلَيْكُم شَيْء من الْقُرْآن فابتغوه من الشّعْر ، فَإِنَّهُ ديوَان الْعَرَب ، أما سَمِعْتُمْ قَول الشَّاعِر :

قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكَ ضَرْب الْأَعْنَاق وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاق

قَالَ ابْن عَبَّاس : هَذَا يَوْم كرب وَشدَّة ، وَعَن عَليّ بن أبي طَلْحَة عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ : هُوَ الْأَمر الشَّدِيد المفظع من الهول يَوْم الْقِيَامَة .

وَقَالَ بعض الْأَعْرَاب وَكَانَ يطرد الطَّير عَن الزَّرْع فِي سنة جدبة :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِها وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرزَاقها

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَـــاقِهَا

وَفِي الْبَيْضَاوِيّ : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أَي : يَوْم يشْتَد الْأَمر ويصعب الْخطب ، وكشفُ السَّاق مثل فِي ذَلِك أَو **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾** عَن أصل الْأَمر وَحَقِيقَته بِحَيْثُ يصير عيَانًا مستعار من سَاق الشَّجر وسَاق الْإِنْسَان ، وَفِي الْقَامُوس : **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ، آخر شدَّة الدُّنْيَا بِأَوَّل شدَّة الْآخِرَة ، يذكرُونَ السَّاق إِذا أَرَادوا شدَّة الْأَمر والإخبار عَن هوله ، انْتهى .

وَقَالَ بَعضهم : لَا يُنكر أَنَّ الله سُبْحَانَهُ قد يكْشفُ لَهُم عَنْ سَاقٍ لبَعض المخلوقين من مَلَائِكَته أَو غَيرهم وَيجْعَل ذَلِك سَبباً لما شَاءَ من كَلمته فِي أهل الْإِيمَان والنِّفَاق .

قَالَ الْخطابِيّ : وَفِيه وَجه آخر لم أسمعهُ من قدوة ، وَقد يحْتَملهُ معنى اللُّغَة : سَمِعت أَبَا عَمْرو يذكر عَن أَحْمد بن يحيى النَّحْوِيّ قَالَ : والسَّاق النَّفس ، وَمِنْه قَول عَليّ ﷺ حِين رَاجعه أَصْحَابه فِي قتال الْخَوَارِج : وَالله لأقاتلهم وَلَو تلفت ساقي يُرِيد : نَفسه" .

وقال الإمام عبد الحق بن سيف الدِّين بن سعد اللهَّ البخاري الدِّهلوي الحنفي(١٠٥٢هـ) في "لمعات التَّنقيح في شرح مشكاة المصابيح"(٨/٧٥٦-٧٥٧) :" وقوله: (ذلك **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، أي: يوم يشتدّ الأمر ويصعب الخطب، وكشف السَّاق مثلٌ في ذلك، يُقال: كشفت الحرب عن ساقها على المجاز، (أو يوم يكشف) عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانًا مستعار عَنْ سَاقِ الشَّجر وساق الإنسان، وفي (مجمع البحار): هو لغة: الأمر الشَّديد، وكشف السَّاق مثلٌ في الشدَّة ولا ساق هناك ولا كشف، كما يقال للأقطع الشَّحيح: يده مغلولة، وأصله أنَّ من وقع في أمر شديد يقال: شمَّر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به.

وقال الطِّيبي: هو ممَّا يجب التَّوقُّف فيه عند السَّلف، أو يؤوَّل بالكشف عن أمر فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهاب الدُّنيا. وفي (القاموس) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، أي: عن شدَّة، **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** ﴿القيامة: ٢٩﴾: آخر شدَّة الدُّنيا بأوَّل شدَّة الآخرة، يذكرون السَّاق إذا أرادوا شدَّة الأمر والإخبار عن هوله، انتهى.

ويروى: (فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ) ، أي: يكْشفُ عن شدَّة يرتفع بها سواتر الامتحان فيتميَّز عنده أهل اليقين بالسُّجود من أهل الرّيب، وقيل: المراد النُّور العظيم، وقيل: جماعة الملائكة، والمراد يوم القيامة أو وقت النَّزع" .

وقال أيضاً في "لمعات التَّنقيح في شرح مشكاة المصابيح"(٩/٢٨- ٢٩) :"(وعنه) قوله: (فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ... إلخ)، قيل: هذا من المتشابهات فلا يتعرَّض له، وقيل: يؤوَّل بشدَّة الأمر وعظمته ، يعني : أنَّه تعالى يأخذهم بالشَّدائد كمن يكْشفُ عن ساقه بالتَّشمير في أمر،

فالإضافة إلى الرَّب إيذان بأنَّ السَّاق هي الشِّدَّة التي لا يجلِّيها لوقتها إلَّا هو، وقد وقع منكَّرًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، والإضافة في الحديث لمعنى ذكرنا ..." .

وقال الإمام محمَّد علي بن محمَّد بن علَّان بن إبراهيم البكري الصدِّيقي الشَّافعي(١٠٥٧هـ) في"دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالحين"(٨/ ٦٣٣) : ﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾ ، أي: يكْشفُ عن حقائق الأمور وشدائد الأهوال ، وكشف السَّاق مثلٌ في ذلك. وقيل : ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾: أي: نور عظيم يخرُّون له سُجَّداً" .

وقال الإمام الكفوي(١٠٩٤هـ) في"الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة"(ص٥١٨) : ﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق﴾ : وَهُوَ الْأَمر الشَّديد المفظع من الهول، أَو يظْهر حقائق الْأَشْيَاء وأصولها، أَو سَاق جَهَنَّم، أَو سَاق الْعَرْش، أَو سَاق ملك عَظِيم، وَقيل: السَّاق النَّفس، أَي يَوْم يكْشفُ عَن نفس الرَّحْمَن وذاته" .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(١١٢٧هـ) في"روح البيان "(١٠/ ٩٢) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم منصوب باذكر المقدَّر و﴿عَنْ سَاق﴾ قائم مقام الفاعل ليكشف ، والمراد يوم القيامة ، أي : أذكر يوم يشتدَّ الأمر ويصعب الخطب ، وكشفُ السَّاق مثلٌ في ذلك ، ولا كشف ولا ساق ثمَّة ، كما تقول للأقطع الشَّحيح : يده مغلولة ولا يد ثمَّة ولا غلّ ، وإنَّما هو مثل في البخل بأن شبَّهت حال البخيل في عدم تيسّر الإنفاق له بحال من غلّت يده ، وكذا شبّهت حال من اشتدَّ عليه الأمر في الموقف بالمخدَّرات اللاتي اشتدَّ عليهنَّ الأمر فاحتجن إلى تشمير سوقهنَّ في الهرب بسبب وقوع أمر هائل بالغ إلى نهاية الشدَّة مع أنَّهن لا يخرجن من بيوتهنَّ ولا يبدين زينتهنَّ لغير محارمهنَّ لغاية خوفهنَّ وزوال عقلهنَّ من دهشتهنَّ وفرارهنَّ لخلاص أنفسهنَّ ، فاستعمل في حقِّ أهل الموقف من الأشقياء ما يستعمل في حقهنَّ من غير تصرُّف في مفردات التَّركيب ، بل التَّصرف إنَّما هو في الهيئة التَّركيبيَّة .

فكشفُ السَّاق استعارة تمثيليَّة في اشتداد الأمر وصعوبته ، قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة : فالسَّاق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة ، تقول العرب : كشفت الحرب عن ساقها إذا عظم أمرها ، وتقول لمن وقع في أمر عظيم شديد يحتاج فيه إلى جهد ومقاساة : شمِّر عن ساقك ، وكذلك **﴿وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق﴾** ، أي : دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة ، وقيل : ساق الشَّيء أصله الذي به قوامه كساق الشَّجر وساق الإنسان ، فإنَّ ساق الشَّجر مثلاً أصله والأغصان تنبت على ذلك الأصل وتقوم به ، فالمعنى حينئذٍ يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر ، فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصر عياناً وتنكيره على الوجه الأوَّل للتَّهويل ، لأنَّ يوم القيامة يوم يقع فيه أمر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف ، وعلى الثَّاني للتَّعظيم " .

وقال الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشَّافعي الشَّهير بالجمل(١٢٠٤هـ) في "الفتوحات الإلهيَّة بتوضيح تفسير الجلالين للدَّقائق الخفيَّة"(٨/ ٨٣) : " قوله : (هو عبارة) ، أي : هذا التَّركيب وهو يكشف عَنْ سَاقٍ عبارة الخ ، أي : من قبل الكناية أو الاستعارة التَّمثيليَّة ، وأصل هذا يقال لمن شمَّر عن ساقه عند العمل الشَّاق ، وعبارة الخطيب : والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج إلى الجدّ يشمِّر عن ساقه ، فاستُعير السَّاق والكشف عنها لشدَّة الأمر ، انتهت .

ونائب فاعل يكشف هو قوله **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، وقال الزَّمخشري : الكشف عن السَّاق والإبداء عن الحزام : مثلٌ في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب ، وأصله في الرَّوع والهزيمة وتشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ في الهرب ، وإبداء حزامهنَّ عند ذلك .

وفي القرطبي : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ وَالْأَمْرُ ، قِيلَ: كَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سَاقِهِ. والأصل فيه أنَّ من وقع في شي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْجِدِّ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، فَاسْتُعِيرَ السَّاقُ وَالْكَشْفُ عَنْهَا فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ. وَقِيلَ: سَاقُ الشَّيْءِ أَصْلُهُ الَّذِي بِهِ قِوَامُهُ، كَسَاقِ الشَّجَرَةِ وَسَاقِ الْإِنْسَانِ. أَيْ : يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ أَصْلِ الْأَمْرِ فَتَظْهَرُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَأَصْلُهَا. وَقِيلَ: يُكْشفُ عَنْ سَاقِ جهَنَّمَ. وَقِيلَ: عَنْ سَاقِ

الْعَرْشِ. وَقِيلَ: يُرِيدُ وَقْتَ اقْتِرَابِ الْأَجَلِ وَضَعْفِ الْبَدَنِ، أَيْ يَكْشِفُ الْمَرِيضُ عَنْ سَاقِهِ لِيَبْصُرَ ضَعْفَهُ . أ.هـ

وقال الإمام الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) في "تاج العروس من جواهر القاموس"(٢٥/ ٤٧١-٤٧٢) : "وقولُه تَعالى: ﴿**يَوْمُ يُكْشَفُ عَن سَاق**﴾ ، أَي: عَنْ شِدّةٍ كَمَا يُقال: قامَتِ الحَرْبُ عَلَى ساقٍ، قَالَ ابْن سِيدَه: ولَسْنا نَدْفَعُ مَعَ ذلِكَ أَنَّ السّاقَ إِذا أُرِيدَتْ بهَا الشِّدَّةُ فإِنّما هِيَ مُشَبَّهَة [بالساق هَذه الّتي تَعْلُو القَدَمَ، وأَنَّه إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لأَنُّ السّاقَ هِيَ الحامِلَةُ للجُمْلَةِ والمُنْهِضَةُ لَهَا، فذُكِرَت هُنا لذلِكَ تَشْبِيهاً وتَشْنِيعاً، وعَلَى هَذَا بَيْتُ الحَمَاسةِ لجَدِّ طَرَفَةَ:

كَشَفَت لَهُم عَن ساقِها وبَدَا من الشَّرِّ الصُّرَاحُ

وَفِي تَفْسِيرِ ابنِ عَبّاد ومُجاهِد: أَي يُكْشَفُ عَن الأمرِ الشَّدِيدِ.

وقولُه تعالَى: ﴿**وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾ ، أَي: التَفَّ آخِرُ شِدَّة الدُّنْيَا بأَوَّلِ شِدَّةِ الآخِرَةِ، وقِيلَ: التَفَّتْ ساقُه بالأخرَى إِذا لُفَّتا بالكَفَنِ.

وقالَ ابنُ الانْباريّ: يَذْكُرُونَ السّاقَ إِذا أَرادوا شِدَّةَ الأمرِ، والإِخْبارَ عَن هَوْلِهِ كَمَا يُقال: الشَّحِيحُ يَدُه مَغْلُولَةٌ، وَلَا يَدَ ثَمَّ وَلَا غُلَّ، وإِنّما هُوَ مَثَلٌ فِي شِدَّةِ البُخْلِ.

وكذلِك هَذَا، لَا ساقَ هُناك وَلَا كَشْفَ، وأَصْلُه أَنّ الإِنْسانَ إِذا وَقَع فِي شِدَّةٍ يُقالُ: شَمَّرَ ساعِدَه، وكَشَف عَن ساقِه، للاهْتِمام بذلِكَ الأَمْرِ العَظِيم، قالَ ابنُ سِيدَه: وَقد يَكُونُ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، لانَّ الإِنْسانَ إِذا دَهَمَتْهُ شِدَّةٌ شَمَّرَ لَها عَن ساقَيْهِ، ثُمَّ قِيلَ للأَمْرِ الشَّدِيدِ: ساقٌ، وَمِنْه قَوْلُ دُرَيْدٍ:

كَمِيشُ الإِزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ

أَرادَ: أَنَّه مُشَمِّرٌ جادٌّ، وَلم يُرِدْ خُرُوج السَّاقِ بعَيْنِها" .

وقال الإمام ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) في "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"(٧/ ١١٤-١١٥) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، وجمهور المفسِّرين على أنَّ الكشف عَنْ سَاقٍ عبارة عن شدَّة الأمر، وصعوبة الخطب، أي: يوم يشتدّ الأمر ويصعب، وقيل: ساق الشَّيء:

أصله الذي به قوامه، كساق الشَّجرة وساق الإنسان، أي: يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر، فتظهر حقائق الأمور وأصولها، بحيث تصير عياناً. وتنكيره للتَّهويل العظيم.

قال النَّسفي: ولا كشف ثمَّ ولا ساق، ولكن كنَّى به عن شدَّة الأمر؛ لأنَّهم إذا ابتلوا بالشدَّة كَشفوا عن السَّاق، وقال: كشفت الحرب عن ساقها، وهذا كما تقول للشَّحيح: يده مغلولة، ولا يد ثَمَّ ولا غلّ، وإنَّما هو كناية عن البخل، وأمَّا مَن شبَّه فلِضيق عِطفه وقلّة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبَّه؛ لكان من حقِّ الساق أن يُعرَّف؛ لأنَّها ساق معهودة عنده. هـ. قلت: انظر الثَّعلبي، فقد نقل أحاديث الحشر، وكلُّها تدلُّ على أنَّ كشف السَّاق حقيقة، وذكر حديث أبي موسى أنَّ النَّبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال: عن نور عظيم، يخرُّون له سجداً "، ثمَّ ذكر حديث الحشر بتمامه، ومَن كحَّل عينيه بإثمد التَّوحيد الخاص لم يصعب عليه أمثال هذه المتشابهات؛ إذ الحقّ جلَّ جلاله غير محصور، بل يتجلَّى كيف شاء... " .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المصري الخلوتي المالكي(١٢٤١هـ) في"حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين"(٦/ ١٥٤-١٥٥) : " قوله: (هو عبارة) الخ، أي : هذا التَّركيب، و ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن الشدَّة، فأصل هذا الكلام يقال لمن شمَّر عن ساقه عند العمل الشَّاق، ويقال إذا اشتدَّ الأمر في الحرب: كشف الحرب عن ساق. وسُئل ابن عبَّاس عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فأتبعوه في الشِّعر، فإنَّه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشَّاعر:

سَنَّ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وقال الآخر

أَلَا رُبَّ سَاهِي الطَّرْف مِنْ آلِ مَازِن إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وقيل: المراد الحقيقة وعليه فاختلف فقيل: يكشف عَنْ سَاقِ جهنَّم، وقل: عَنْ سَاقِ العرش، وقيل: يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى" .

وقال الإمام الشَّوكاني(١٢٥٠هـ)في"فتح القدير الجامع بين فنَّي الرِّواية والدِّراية من علم التَّفسير"(٥/٣٢٨) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، يَوْمَ ظَرْفٌ، لِقَوْلِهِ : **﴿فَلْيَأْتُوا﴾** ، أَيْ: فَلْيَأْتُوا بِهَا **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، أَيِ: اذْكُرْ يَوْمَ يُكْشَفُ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: عَنْ سَاقٍ عَنْ شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَصْلُ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْجِدِّ فِيهِ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، فَيُسْتَعَارُ الْكَشْفُ عَنِ السَّاقِ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، وَأَنْشَدَ لِدُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةَ:

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ   صَبُورٌ عَلَى الْجَلَاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

وَقَالَ: وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ يَوْمَ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ كَمَا يَشْتَدُّ مَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى أَنْ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ وَالْأَمْرُ قِيلَ: كَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سَاقِهِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ: مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْجِدِّ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، فَاسْتُعِيرَ السَّاقُ وَالْكَشْفُ عَنْ مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَدِ اسْتَعْمَلَتْ ذَلِكَ الْعَرَبُ فِي أَشْعَارِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحرب شمّرا

وقول آخر:

وَالْخَيْلُ تَعْدُو عِنْدَ وَقْتِ الْإِشْرَاقِ   وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وَقَوْلُ آخَرَ أَيْضًا:

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَقَوْلُ آخَرَ أَيْضًا:

فِي سَنَةٍ قَدْ كشفت عن ساقها   حمراء تُبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

وَقِيلَ: سَاقُ الشَّيْءِ: أَصْلُهُ وَقِوَامُهُ كَسَاقِ الشَّجَرَةِ، وَسَاقِ الْإِنْسَانِ، أَيْ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقِ الْأَمْرِ فَتَظْهَرُ حَقَائِقُهُ، وَقِيلَ: يُكْشَفُ عَنْ سَاقِ جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: عَنْ سَاقِ الْعَرْشِ، وَقِيلَ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ

الْقُرْبِ، وَقِيلَ: يكْشفُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَنْ نُورِهِ، وَسَيَأْتِي فِي آخِرِ الْبَحْثِ مَا هُوَ الْحَقُّ، وَإِذَا جَاءَ نَهْرُ اللهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ.

قَرَأَ الْجُمْهُورُ يُكْشَفُ بِالتَّحْتِيَّةِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ تَكْشِفُ بِالْفَوْقِيَّةِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، أَيِ: الشِّدَّةُ أَوِ السَّاعَةُ، وَقُرِئَ بِالْفَوْقِيَّةِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَقُرِئَ بِالنُّونِ، وَقُرِئَ بِالْفَوْقِيَّةِ الْمَضْمُومَةِ وَكَسْرِ الشِّينِ مِنْ أُكْشِفَ الْأَمْرُ، أَيْ: دَخَلَ فِي الْكَشْفِ " .

وقال الإمام الألوسي(١٢٧٠هـ) في "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني"(١٥/ ٣٩-٤٠) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، متعلِّق بقوله تعالى : **﴿فَلْيَأْتُوا﴾** على الوجهين ، ويجوز تعلُّقه بمقدَّر كاذكر أو يكون كيت وكيت ، وقيل : بـ **﴿خَاشِعَةً﴾** ، وقيل : بـ **﴿تَرْهَقُهُمْ﴾** ، وأيًّاً ما كان ، فالمراد بذلك اليوم عند الجمهور يوم القيامة، والسَّاق ما فوق القدم ، وكشفها والتَّشمير عنها مثلٌ في شدَّة الأمر وصعوبة الخطب ، حتَّى أنَّه يستعمل بحيث لا يتصوَّر ساق بوجه ، كما في قول حاتم:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ بِهِ الحربُ عَضَّها   وإنْ شمَّرتْ عنْ ساقِهَا الحَربُ شَمَّرا

وقول الرَّاجز:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي ومِنْ إشْفَاقِهَا   ومِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزَاقِهَا
في سَنةٍ قَدْ كشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا   حَمْرَاءِ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِهَا

وأصله تشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ في الهرب ، فإنَّهن لا يفعلن ذلك إلَّا إذا عظم الخطب واشتدَّ الأمر فيذهلن عن السّتر بذيل الصِّيانة، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد وإبراهيم النَّخعي وعكرمة وجماعة ، وقد روي أيضاً عن ابن عبَّاس . أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصحَّحه والبيهقي في "الأسماء والصِّفات" من طريق عكرمة عنه أنَّه سئل عن ذلك ، فقال: «إِذَا خَفِي عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اصْبِرْ عَنَاقَ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقِ   قَدْ سَنَّ قَوْمَكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقْ

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقْ

والرِّوايات عنه رضي الله تعالى عنه بهذا المعنى كثيرة ، وقيل: ساق الشَّيء أصله الذي به قوامه كساق الشَّجر وساق الإنسان ، والمراد : يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً ، وإليه يُشير كلام الرَّبيع بن أنس ، فقد أخرج عبد بن حميد عنه أنَّه قال : في ذلك يوم يكْشفُ الغطاء ، وكذا ما أخرجه البيهقي عن ابن عبَّاس أيضاً ، قال : حين يُكْشَفُ الأمر وتبدو الأعمال ، وفي السَّاق على هذا المعنى استعارة تصريحيَّة ، وفي الكشف تجوُّز آخر أو هو ترشيح للاستعارة باق على حقيقته ، وتنكير ساقٍ ، قيل : للتَّهويل على الأوَّل ، وللتَّعظيم على الثَّاني. وقيل : لا ينظر إلى شيء منهما على الأوَّل ، لأنَّ الكلام عليه تمثيل ، وهو لا ينظر فيه للمفردات أصلاً ، وذهب بعضهم إلى أنَّ المراد بالسَّاق ساقه سبحانه وتعالى ، وأن الآية من المتشابه واستدل على ذلك بما أخرجه البخاري ومسلم والنَّسائي وابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد قال: سمعت النَّبي ﷺ يقول: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» .

وأنكر ذلك سعيد بن جبير ، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أنه سئل عن الآية فغضب غضباً شديداً ، وقال: «إنَّ أقواماً يزعمون أنَّ الله سبحانه يكْشفُ عن ساقه ، وإنَّما يُكْشَفُ عن الأمر الشَّديد» ، وعليه يحمل ما في الحديث على الأمر الشَّديد أيضاً ، وإضافته إليه عزَّ وجلَّ لتهويل أمره ، وأنَّه أمر لا يقدر عليه سواه عزَّ وجلَّ وأرباب الباطن من الصُّوفيَّة ، يقولون بالظَّاهر ويدَّعون أنَّ ذلك عند التَّجلِّي الصّوري ، وعليه حملوا أيضاً ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده والطَّبراني والدَّارقطني في الرُّؤية والحاكم وصحَّحه وابن مردويه وغيرهم عن ابن مسعود عن النَّبي ﷺ قال: «يجمع الله النَّاس يوم القيامة وينزل الله في ظلل من الغمام فينادي مناد : يا أيُّها النَّاس ألم ترضوا من ربِّكم الذي خلقكم وصوَّركم ورزقكم أن يولِّي كل إنسان منكم ما كان يعبد في الدُّنيا ويتولَّى ، أليس ذلك عدلاً من ربِّكم ؟ قالوا: بلى قال: «فلينطلق كلُّ إنسان منكم إلى ما كان يتولَّى في الدُّنيا ،

ويتمثَّل لهم ما كانوا يعبدون في الدُّنيا ، ويمثل لمن كان يعبد عيسى عليه السلام شيطان عيسى ، وكذا يمثل لمن كان يعبد عزيراً ، حتى تمثَّل لهم الشَّجرة والعود والحجر ، ويبقى أهل الإسلام جثوماً ، فيتمثَّل لهم الرَّب عزَّ وجلَّ ، فيقال لهم : ما لكم لم تنطلقوا كما انطلق النَّاس فيقولون: إنَّ لنا ربّاً ما رأيناه بعد ، فيقول : فبم تعرفون ربَّكم إن رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامة إن رأيناه عرفناه، قال: وما هي؟ قالوا يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فيكشف عند ذلك» . الحديث . قلت : الحديث فيه ألفاظ ليست موجودة في المصادر التي عزاها إليها الإمام الألوسي ...

وهو ونظائره من المتشابه عند السَّلف. وقرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة يكْشَفُ بفتح الياء مبيناً للفاعل ، وهي رواية عن ابن عبَّاس ، وقرأ ابن هرمز «نكشف» بالنُّون وقرىء «يكشف» بالياء التّحتيَّة مضمونة وكسر الشِّين من أكشف إذا دخل في الكشف ، ومنه اكشف الرَّجل فهو مكشف ، انقلبت شفته العليا. وقرىء «تكشف» بالتَّاء الفوقيَّة والبناء للفاعل وهو ضمير السَّاعة المعلومة من ذكر يوم القيامة أو الحال المعلومة من دلالة الحال وبها والبناء للمفعول وجعل الضَّمير للسَّاعة أو الحال أيضاً ، وتعقّب بأنَّه يكون الأصل حينئذ يكْشفُ الله السَّاعة عن ساقها مثلاً ، ولو قيل ذلك لم يستقم لاستدعائه إبداء السَّاق وإذهاب السَّاعة ، كما تقول: كشفت عن وجهها القناع ، والسَّاعة ليست ستراً على السَّاق حتى تكشف، وأُجيب أنَّها جعلت ستراً مبالغة ، لأنَّ المخدرة تبالغ في السِّتر جهدها ، فكأنَّها نفس الستر ، فقيل : تكشف السَّاعة ، وهذا كما تقول : كشفت زيداً عن جهله إذا بالغت في إظهار جهله ، لأنَّه كان ستراً على جهله يستر معايبه فأبنته وأظهرته إظهاراً لم يخف على أحد. وقيل عليه إنَّ الإذهاب حينئذ ادِّعائي ، ولا يخفى ما فيه من التَّكلُّف ، ولا عبرة بما ذكر من المثال المصنوع ، وأقلّ تكلُّفاً منه جعل عَنْ سَاقٍ بدل اشتمال من الضَّمير المستتر في الفعل بعد نزع الخافض منه.

والأصل يُكْشَفُ عنها ، أي : عن السَّاعة أو الحال فنزع الخافض واستتر الضَّمير ، وتعقّب بأنَّ إبدال الجار والمجرور من الضَّمير المرفوع لا يصحُّ بحسب قواعد العربيَّة ، فهو ضغث على إبالة

وتكلُّف على تكلُّف ، وقيل : إنَّ عَنْ سَاقٍ نائب الفاعل ، وتعقِّب بأنَّ حقّ الفعل التَّذكير كصرف عن هند ومرَّ بدعد" .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني(١٣١٦هـ) في"مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" (٢/ ٥٥٤) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي : يوم يشتدُّ الأمر.

قال أبو سعيد الضَّرير: أي : يوم يُكْشَفُ عن أصل الأمر ، أي : تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها بحيث تصير عياناً. وقرئ «تكشف» بالتَّاء الفوقيَّة على البناء للفاعل، أو المفعول والفعل للحال، أو للسَّاعة ، أي : يوم تشتدُّ الحال، أو السَّاعة عن أمر. وقرئ «تكشف» بالتَّاء المضمومة وكسر الشِّين، أي : يوم تدخل الحال في الكشف عن أمر كانوا في عمى منه في الدُّنيا.

وقرئ «نكشف» بالنُّون" .

وقال الإمام القاسمي (١٣٣٢هـ) في "محاسن التَّأويل"(٩/ ٣٠٣) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال ابن عبَّاس: أي عن أمر شديد مفظع من هول يوم القيامة. ألا تسمع العرب تقول: شالت الحرب عن ساق؟ – رواه ابن جرير" .

وقال الإمام محمَّد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني(١٣٥٤هـ) في"تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) "(٩/ ١٢٩–١٣٠) : " ... مِنْ أَمْثِلَةِ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ رِوَايَةُ " فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ " ، وَهِيَ لَا تُعَارِضُ رِوَايَةَ " فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ " الْمُوَافَقَةُ لِلَفْظِ الْقُرْآنِ . **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، وَلَكِنَّ تَنْكِيرَ السَّاقِ وَإِسْنَادَ كَشْفِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ أَوْسَعُ مَجَالًا لِلتَّأْوِيلِ مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى الرَّبِّ – تَعَالَى –، وَإِسْنَادِ كَشْفِهِ إِلَيْهِ، فَهُوَ كَالتَّشْمِيرِ عَنِ السَّاعِدِ مَثَلَانِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِلْجِدِّ وَالِاهْتِمَامِ وَشِدَّةِ الْخَطْبِ، وَسَبَبُ الْأَوَّلِ أَنَّ مَنْ يُرِيدُ الْفِرَارَ مِنْ شَيْءٍ مُخَوِّفٍ يكْشفُ عَنْ سَاقِهِ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ الْعَدْوُ السَّرِيعُ فَلَا يَتَعَثَّرُ بِثَوْبِهِ، وَسَبَبُ الثَّانِي أَنَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا بِإتْقَانٍ وَسُرْعَةٍ يُشَمِّرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى لَا يَعُوقَهُ كُمَّاهُ، وَفِي مَجَازِ الْأَسَاسِ قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقِهَا، وَكَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سَاقِهِ. قَالَ:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

أَقُولُ: فَخَرَّجَ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا الِاسْتِعْمَالِ بِمَعْنَى أَنَّ أَمْرَ امْتِحَانِ اللهِ تَعَالَى لِلنَّاسِ وَالتَّنْزِيلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يَنْتَهِي إِلَى آخِرِ حَدِّهِ بِتَيْسِيرِهِ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ السُّجُودَ لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْمُنَافِقِينَ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ لَفْظَ السَّاقِ وَرَدَ بِمَعْنَى الذَّاتِ وَالنَّفْسِ.

وَاسْتَشْهَدُوا لَهُ بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ﷺ فِي حَرْبِ الشُّرَاةِ: " لَا بُدَّ مِنْ قِتَالِهِمْ وَلَوْ تَلِفَتْ سَاقِي " ، قَالُوا: أَيْ نَفْسِي. وَعَلَيْهِ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ كَشْفُ السَّاقِ فِي الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ عِبَارَةً عَنْ كَشْفِ الْحِجَابِ، وَيُخَرَّجُ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي تَفْسِيرِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ: عَنِ الْغِطَاءِ فَيَقَعُ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيَسْجُدُونَ لَهُ، وَيُدْعَى الْآخَرُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُبْصِرُونَهُ. وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى أَسَالِيبِ اللُّغَةِ، وَعَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجُمْهُورُ مُفَسِّرِي السَّلَفِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ طُرُقٍ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَجِدِّهِ، هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يكْشف اللهُ الْأَمْرَ وَتَبْدُوَ الْأَعْمَالُ، وَقَالَ: هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسُئِلَ عِكْرِمَةُ عَنِ الْآيَةِ ، فَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا اشْتَدَّ الْقِتَالُ فِيهِمْ وَالْحَرْبُ وَعَظُمَ الْأَمْرُ فِيهِمْ قَالُوا لِشِدَّةِ ذَلِكَ: قَدْ كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ، فَذَكَرَ اللهُ شِدَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَهَذَا مِنَ التَّفْسِيرِ الْجَلِيِّ، لَا مِنَ التَّأْوِيلِ الْخَفِيِّ بِالْمَعْنَى الْأُصُولِيِّ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُ بِالْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ؛ أَيْ: مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يَعْلَمُهُ الْبَشَرُ إِلَّا إِذَا وَصَلُوا إِلَيْهِ.

وَقَدْ بَيَّنَ الْبَيْضَاوِيُّ أَصْلًا آخَرَ لِكَشْفِ السَّاقِ تَتَّجِهُ بِهِ رِوَايَةُ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ فِي جَعْلِهِ بِمَعْنَى كَشْفِ الْحِجَابِ، فَنَذْكُرُهُ مَعَ عِبَارَتِهِ فِي الْمَعْنَى الْآخَرِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِحُسْنِ بَيَانِهِ لَهُ ، وَهُمَا قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : يَوْمَ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَعْظُمُ الْخَطْبُ. وَكَشْفُ السَّاقِ مَثَلٌ فِي ذَلِكَ ، وَأَصْلُهُ تَشْمِيرُ الْمُخَدَّرَاتِ عَنْ سُوقِهِنَّ فِي الْهَرَبِ قَالَ حَاتِمٌ:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

أَوْ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ أَصْلِ الْأَمْرِ وَحَقِيقَتِهِ بِحَيْثُ يَصِيرُ عِيَانًا، مُسْتَعَارٌ مِنْ سَاقِ الشَّجَرِ وَسَاقِ الْإِنْسَانِ، وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّهْوِيلِ أَوِ التَّعْظِيمِ اهـ " .

وقال الإمام محمَّد الخَضِر بن سيِّد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) في :" كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري "(٩/ ٣١٧): ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أي: عن شدَّة" .

وقال أيضاً في "كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري" (٩/ ٣١٩) : "وقد جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال : عن شدَّة في الأمر ، والعرب تقول : قامت الحرب على ساق إذا اشتدَّت ، ومنه:

قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ   وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وقال الإمام أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) في " تفسير المراغي "(٢٩/ ٤٢) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ، أي : فليأتوا بهؤلاء الشُّركاء ليعاونوهم إذا اشتدَّ الهول وعظم الأمر يوم القيامة" .

وقال الأستاذ سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاذلي (١٩٦٦م) في "في ظلال القرآن"(٦/ ٣٦٦٧-٣٦٦٨):"والكشف عن السَّاق كناية- في تعبيرات اللغة العربيَّة المأثورة- عن الشدَّة والكرب فهو يوم القيامة الذي يشمَّر فيه عن السَّاعد، ويكشف فيه عن السَّاق، ويشتدُّ الكرب والضِّيق، ويُدعى هؤلاء المتكبِّرون إلى السُّجود فلا يملكون السُّجود، إمَّا لأنَّ وقته قد فات ، وإمَّا لأنَّهم كما وصفهم في موضوع آخر يكونون ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ﴾﴿ إبراهيم: ٤٣ ﴾ ، وكأنَّ أجسامهم وأعصابهم مشدودة عن الهول على غير إرادة منهم، وعلى أيَّة حال فهو تعبيرٌ يُشير بالكرب والعجز والتَّحدِّي المخيف".

وقال الإمام فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النَّجدي (١٣٧٦هـ) في "توفيق الرَّحمن في دروس القرآن" (٤/ ٣٣٩) : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ، قال ابن عبَّاس: عن أمر

عظيم، يقول: حين يُكْشَفُ الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وهي أشدُّ ساعة في يوم القيامة " .

وقال الإمام عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفَّى: بعد ١٣٩٠هـ) في "التَّفسير القرآني للقرآن" (١٥/ ١١١٠) : " قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، هو كناية عن يوم القيامة، وما فيه من شدائد وأهوال.. فإنَّ العادة قد جرت أنَّه حين يشتدُّ الأمر يشمِّر الإنسان عن ساقه، حتى لا تعوقه ملابسه عن الحركة، والجري، في مواجهة الشَّدائد، أو الفرار منها.. وفي هذا يقول الشَّاعر:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وجَدَّت الحَرْبُ بِكُم فَجُدُّوا

وقال الإمام محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) في "التَّحرير والتَّنوير" (٢٩/ ٩٧-٩٩) : " الْكَشْفُ عَنْ سَاقٍ: مَثَلٌ لِشِدَّةِ الْحَالِ وَصُعُوبَةِ الْخَطْبِ وَالْهَوْلِ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَعَ أَنْ يُسْرِعَ فِي الْمَشْيِ وَيُشَمِّرَ ثِيَابَهُ فَيَكْشِفَ عَنْ سَاقِهِ كَمَا يُقَالُ: شَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَأَيْضًا كَانُوا فِي الرَّوْعِ وَالْهَزِيمَةِ تُشَمِّرُ الْحَرَائِرُ عَنْ سُوقِهِنَّ فِي الْهَرَبِ أَوْ فِي الْعَمَلِ فَتَنْكَشِفُ سُوقُهُنَّ بِحَيْثُ يَشْغَلُهُنَّ هَوْلُ الْأَمْرِ عَنِ الِاحْتِرَازِ مِنْ إِبْدَاءِ مَا لَا تُبْدِينَهُ عَادَةً، فَيُقَالُ: كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا أَوْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا، أَوْ أَبْدَتْ عَنْ سَاقِهَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتُ:

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا   تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي   عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءِ

وَفِي حَدِيثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «انْهَزَمَ النَّاس عَنِ النَّبِيءِ ﷺ وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا» إِلَخْ، فَإِذَا قَالُوا: كَشَفَ الْمَرْءُ عَنْ سَاقِهِ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ هَوْلٍ أَصَابَهُ وَإِنْ لَمْ يكن كشف سَاقه. وَإِذَا قَالُوا: كَشَفَ الْأَمْرُ عَنْ سَاقٍ، فَقَدْ مَثَّلُوهُ بِالْمَرْأَةِ الْمُرَوَّعَةِ، وَكَذَلِكَ كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا، كُلُّ ذَلِكَ تَمْثِيلٌ إِذْ لَيْسَ ثَمَّةَ سَاقٍ قَالَ حَاتِمٌ:

فَتَى الْحَرْبِ عضّت بِهِ لِحَرْب الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وَقَالَ جَدُّ طَرَفَةٍ مِنَ الْحَمَاسَةِ:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الْبَوَاحُ

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمَ تَكْشِفُ بِمُثَنَّاةٍ فَوْقِيَّةٍ وَبِصِيغَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ عَلَى تَقْدِيرِ تَكْشِفُ الشِّدَّةُ عَنْ سَاقِهَا أَوْ تَكْشِفُ الْقِيَامَةُ، وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ.

وَالْمَعْنَى: يَوْمَ تَبْلُغُ أَحْوَالُ النَّاس مُنْتَهَى الشِّدَّةِ وَالرَّوْعِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : عَنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ، وَهِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَرَوَى عَبَدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَغَيْرُهُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: «إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» ، أَمَّا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

صَبْرًا عَنَاقُ إِنَّه لشر باق فقد سَنَّ لِي قَوْمُكِ ضَرْبَ الْأَعْنَاقْ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : شِدَّةُ الْأَمْرِ.

وَجُمْلَةُ وَيُدْعَوْنَ لَيْسَ عَائِدًا إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِثْلُ ضَمِيرِ : **﴿إِنَّا بَلَوْناهُمْ﴾**﴿الْقَلَم: ١٧﴾ إِذْ لَا يُسَاعِدُ قَوْلَهُ: وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُونُوا فِي الدُّنْيَا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ. فَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ، أَيْ وَيُدْعَى مَدْعُوُّونَ فَيَكُونُ تَعْرِيضًا بِالْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَيُمْتَحَنُ النَّاس بِدُعَائِهِمْ إِلَى السُّجُودِ لِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ الْخُلَّصُ عَنْ غَيْرِهِمْ تَمَيُّزَ تَشْرِيفٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُنَافِقُونَ السُّجُودَ فَيُفْتَضَحُ كُفْرُهُمْ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مُخْلِصًا يَخِرُّ سَاجِدًا لَهُ وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ كَأَنَّ فِي ظُهُورِهِمُ السَّفَافِيدَ اهـ.

فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾** إِدْمَاجًا لِذِكْرِ بَعْضِ مَا يَحْصُلُ مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ الرُّؤْيَةِ وَحَدِيثِ الشَّفَاعَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَ: «فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا

يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ» الْحَدِيثَ، فَيَصْلُحُ ذَلِكَ تَفْسِيرًا لِهَذِهِ الْآيَةِ.

وَقَدِ اتَّبَعَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَقَالُوا: يكْشفُ اللهُ عَنْ سَاقِهِ، أَيْ عَنْ مِثْلِ الرِّجْلِ لِيَرَاهَا النَّاس ثُمَّ قَالُوا هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ، عَلَى أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿عَنْ سَاقٍ﴾** ، قَالَ : يكْشفُ عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا . وَرُوِيَتْ أَخْبَارٌ أُخْرَى ضَعِيفَةٌ لَا جَدْوَى فِي ذِكْرِهَا " .

وقال الأستاذ عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) في "بيان المعاني" (١/ ٨٥) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** عن أمر فظيع ، يوم يشتدُّ الكرب ويصعب الأمر ، وقد كنَّى بالسَّاق عن يوم القيامة لشدَّة هولها .

مطلب معنى السَّاق:

وقال بعض المفسِّرين : إنَّ السَّاق في السِّريانيَّة الهزل ، ونقل بعضهم أنَّها عربية في هذا المعنى أيضاً ، إلَّا أنَّ معنى الآية لا ينطبق عليه ، وما جرينا عليه في تفسير السَّاق أولى من غيره ، لأنَّ ابن عبَّاس لَّما سئل عن معنى هذه الآية ، قال : هو يوم كرب وشدَّة ، وإذا أخفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشِّعر ، فإنَّه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشَّاعر:

سَنَّ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

فإنَّ العرب لتقول عند الشَّدائد : شمِّر عن ساقك، وقال ابو عبيدة لقيس بن زهير:

فَإِذَا شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهاً رَبيعَ ولا تَسْأَمِ

وقال جرير:

أَلَا رُبَّ سَاهِي الطَّرْف مِنْ آلِ مَازِن إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

وقال الإمام محمَّد محمَّد عبد اللطيف بن الخطيب (١٤٠٢هـ) في "أوضح التَّفاسير" (١/ ٧٠٥) : " **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** هو كناية عن صعوبة الأمر وشدَّته، وذلك كقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ**

مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ كناية عن البخل؛ وليس ثمَّة يد ولا غلّ. والعرب تقول: كشفت الحرب عن ساقها: إذا حميَ وطيسها، واشتدَّ لهيبها. ومن أفحش ما قاله بعض المفسِّرين في تأويل ذلك: أنَّ الرَّحمن يكْشفُ يومئذٍ عن ساقه. تعالى الله عمَّا يقولون، وجلَّ عن صفات المخلوقين" .

وقال الإمام محمَّد عزَّت دروزة (١٩٨٤م) في "التَّفسير الحديث"(١/ ٣٨٠) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** : كناية عن وقت اشتداد الخطب، حيث كان من عادة العرب إذا اشتدَّت معركة الحرب أن يكشفوا عن سيقانهم، وهنا يعني يوم القيامة واشتداد الخطب فيه" .

وقال الأستاذ سعيد حوَّى (١٤٠٩هـ) في "الأساس في التَّفسير"(١٠/ ٦٠٦٢) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾**، أي: فليأتوا بشركائهم ذلك اليوم. قال النَّسفي: والجمهور على أنَّ الكشف عن السَّاق عبارة عن شدَّة الأمر وصعوبة الخطب. قال ابن كثير: يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزَّلازل والبلاء والامتحان والأمور العِظام" .

وقالت الدّكتورة عائشة بنت الشَّاطئ (١٤١٩هـ) في " التَّفسير البياني للقرآن الكريم"(٢/ ٦٧-٦٨):" ... ومن أغبر ما روى في تأويل **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** أنَّها ساق الرَّحمن!

نقل الطَّبري في ذلك حديث أبي الزَّعراء عن عبد الله بن مسعود : "يتمثَّل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرّ المسلمون، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شيئاً.... فيقول: هل تعرفون ربَّكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه. قال فعند ذلك **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، فلا يبقى مؤمن إلَّا خرَّ ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كأنَّما فيها السَّفافيد، فيقولون: ربُّنا! فيقول، سبحانه: قد كنتم تدعون إلى السُّجود وأنتم سالمون".

ونقل "الزَّمخشري" من حديث ابن مسعود: "يكشف الرَّحمن عن ساقه ، فأمَّا المؤمنون فيخرُّون سُجَّداً، وأمَّا المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً واحداً كأن فيها سفافيد" .

وقد تعلَّقت المشبِّهة بهذا التَّأويل، فهل أعوزهم من بيان العربيَّة أنَّها ألفت مثل هذا الاستعمال المجازي: الكشف عن السَّاق، أو التَّشمير عنها، كناية عن التَّأهُّب والفزع وقت الشدَّة والحرب؟ قال الشَّاعر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الْبَوَاحُ

وقال حاتم الطَّائي:

أخُو الحربِ إنْ عضَّتْ بهِ الحربُ عَضَّها وإنْ شمَّرتْ عنْ ساقِهَا الحربُ شَمَّرا

وقال ابن قيس الرقيات:

تُذهِلُ الشَّيخَ عَن بَنِيه وتُبْدِي عَنْ خِدامِ العَقِيلَةُ العَذراءُ

وقال الرَّاجز:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وجَدَّت الحَرْبُ بِكُم فَجُدُّوا

وقال الدكتورة عائشة بنت الشَّاطئ في " الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق "(ص ٤٦٨-٤٦٩ باختصار) : ﴿**يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، قال: يا ابن عبَّاس، أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ .

قال: عن شدَّة الآخرة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشَّاعر وهو يقول:

اسلمْ عِصَام إنَّ شرٌّ باقْ قَبلَكَ سرَّ النَّاس ضَرْب الأعْنَاق

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

الكشف عن السَّاق، والتَّشمير في مثل سياق آية القلم، عند اللغويين: كناية عن شدَّة الحرب والخوف (مجاز القرآن لأبي عبيدة والأساس: ش م ر" ، وقال الفرَّاء في معنى آية القلم، عن ابن عبَّاس: يريد القيامة والسَّاعة لشدَّتها (٣/ ١٧٧) ، وفي الطَّبري: قال جماعة من الصَّحابة والتَّابعين من أهل التَّأويل: يبدو عن أمر شديد، وأسند عن ابن عبَّاس قال: هو يوم حرب وشدَّة، وأنشد:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

وفي القرطبي عنه أيضاً: يُكْشَفُ عن أمر عظيم، وأنشد بيت الهذلي بلفظ: فتى الحرب ، غير منسوب، وعن مجاهد عنه: هي أشدُّ ساعة يوم القيامة ...

والأقوال فيها متقاربة، كناية عن هول الموقف يوم الحشر، والله أعلم. وانظر في صحيح البخاري: ك التَّفسير: باب **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، وفتح الباري معه. قال في الكشَّاف: وأصله في الرّوع... ومعنى الآية: يشتدُّ الأمر ويتفاقم هوله، ولا كشف ثمَّة ولا ساق " .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي(١٤٣١هـ) في "التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم" (١٥/ ٥٥-٥٦) : "الكشف عن السَّاق معناه : التَّشمير عنها وإظهارها، وهو مثلٌ لشدَّة الحال، وصعوبة الخطب والهول، وأصله أنَّ الإنسان إذا اشتدَّ خوفه، أسرع في المشي، وشمَّر عن ثيابه، فينكشف ساقه.

قال صاحب الكشَّاف: الكشف عن السَّاق، والإبداء عن الحزام. - أي: الخلخال الذي تلبسه المرأة في رِجلها- وهو جمع خدمة كرقاب جمع رقبة- مثلٌ في شدَّة الأمر، وصعوبة الخطب، وأصله في الرَّوع والهزيمة وتشمير المخدَّرات عن سوقهنَّ في الهرب، وإبداء خدامهنَّ عند ذلك..

كما قال الشَّاعر:

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وإنْ شَمَّرتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرا

فمعنى **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** : يوم يشتدُّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ولا ساق، كما تقول للأقطع الشَّحيح: يده مغلولة، ولا يد ثمَّ ولا غلّ، وإنَّما هو مثلٌ في البخل ...

فإن قلت: فلِمَ جاءت مُنكرة في التَّمثيل؟ قلت: للدّلالة على أنَّه أمرٌ مُبهم في الشدَّة، فظيع خارج عن المألوف...

والمعنى: اذكر لهم أيَّها الرَّسول الكريم لكي يعتبروا ويتَّعظوا أهوال يوم القيامة، يوم يشتدُّ الأمر، ويعظم الهول" .

وقال أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش في " رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز " (٨/ ٢٣٩-٢٤٠) : " قال عكرمة: سُئل ابن عبَّاس عن قوله: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشِّعر؛ فإنَّه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشَّاعر:

وَقَامَتِ الحربُ بنا على سَاق

هو يوم كرب وشدَّة ، وهذا قول كثير من المفسِّرين واللغويين .

وقال مجاهد عن ابن عبَّاس: هي أشدُّ ساعة في القيامة .

وقال عكرمة: إذا اشتدَّ الأمر في الحرب، قيل: كشفت الحربُ عن ساق. أخبرهم الله تعالى بشدَّة ذلك اليوم .

قال ابن قتيبة : أصل هذا: أنَّ الرَّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه، قيل: شَمَّر عن ساقه، فاستُعير الكشف عن السَّاق في موضع الشدَّة.

فتأويل الآية: يوم يشتدُّ الأمر كما يشتدُّ ما يحتاج فيه إلى أن يُكْشَفُ عن ساق" .

وقال الإمام محمَّد علي الصَّابوني (٢٠٢١م) في "صفوة التَّفاسير "(٣/ ٤٠٥-٤٠٦) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ ، أي : أذكر يا محمَّد لقومك ذلك اليوم العصيب الذي يُكْشَفُ فيه عن أمر فظيع شديد في غاية الهول والشدَّة، قال ابن عبَّاس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدَّة ، قال القرطبي: والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجدّ شمَّر عن ساقه، فاستُعير السَّاق والكشف عنها موضع الشدَّة ، كقول الرَّاجز:

قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بكُم فَجدُّوا

وقال الدُّكتور وهبة بن مصطفى الزُّحيلي(٢٠١٥م) في"التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج"(٢٩/ ٦٧) : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، أي : أذكر لهم حين شدَّة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، أي : يوم يشتدُّ الأمر، يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتدَّ الأمر فيهما " .

وجاء في " معجم اللغة العربية المعاصرة " (٢/١١٣٧) : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾** : كناية عن شدَّة الأمر يوم القيامة، أطلق ساقيه للرِّيح: أسرع، هرب مسرعًا- على قدمٍ وساقٍ: بكلّ قوّة، بطاقته الكاملة- قامتِ الحربُ على قَدَم وساق: اشتدَّ الأمر وصعب الخلاص منه- قام فلان على ساق: إذا عُنِيَ بالأمر واجتهد فيه- قَرَع للأمر ساقه: جدَّ فيه وعزم- شمَّر عن ساقه: استعدّ وتهيّأ، جدّ" .

وجاء في "المعجم الوسيط"(١/ ٤٦٤) : **﴿يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُود فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾** ، وقرع لِلْأَمْرِ سَاقه تشمر لَهُ وكشف الْأَمر عَن سَاقه اشْتَدَّ وَقَامَت الْحَرْب وَنَحْوهَا على سَاق اشتدت ، وَقَامَ فلَان على سَاق إِذا عني بِالْأَمر اجْتهد فِيهِ " .

وقال الدُّكتور عبد الهادي الفضيلي في"خُلاصَةُ عِلمِ الكَلامَ"(ص٧) : "وتأويل قوله : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، يعني : شدَّة أهوال يوم القيامة، كما يقال: كشفت الحرب لنا عن ساقها" .

وقال الأستاذ الدُّكتور محمود حمدي زقزوق في "شبهات المشكِّكين"(ص٦) : "ومثال ثالث هو قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، والشَّاهد في الآية كلمة " يكْشفُ " وفيها قراءتان : الأولى : قراءة جمهور القرَّاء ، وهي " يُكْشَفُ " بضم الياء وسكون الكاف ، وفتح الشِّين. بالبناء للمفعول ، والثَّانية : قراءة ابن عبَّاس " تَكْشِفُ " بفتح التَّاء وسكون الكاف ، وكسر الشِّين ، بالبناء للفاعل ، وهو السَّاعة ، أي يوم تكشف السَّاعة عن سياق. قرأها بالتَّاء ، والبناء للمعلوم ، وقرأها الجمهور بالياء والبناء للمجهول. والعبارة كناية عن الشدَّة ، كما قال الشَّاعر:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ البَرَاحْ

وقال الدُّكتور محمَّد حسن حسن جبل في "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم"(٢/ ١٠٣٢-١٠٣٣) :"وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ . يُكنى بكشف السَّاق عن الشدَّة التي تقتضي التَّشمير كما قالوا :

وإنْ شَمَّرتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّروا

قَّدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

ولهذا فُسِّرت الآية بيوم الشدَّة العظمى. كما فُسّرت بالأصل والحقيقة، أي يوم يُكشف عن الحقيقة ، وممَّا يؤيِّده لغويًّا التَّعبيرُ عن النَّفس بالسَّاق: نُسب إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه - قولُه: " ... ولو تَلِفَتْ ساقي ": أي : نَفْسي. ونفْس الإنسان هي لبّ حقيقته، أي قوامه، كأنَّها حاملته ودافعته إلى أعلى ".

وقال أيضاً في "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم" (٤/ ١٨٩٨) : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ﴿القلم: ٤٢﴾ كناية عن شدَّة الأمر وتفاقمه .. وهو مجاز شائع في لسان العرب :

وإنْ شَمَّرتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّروا (بحر ٨/ ٣٠٩)

وسائر ما في القرآن من التَّركيب هو من كشف الضُّر والعذاب والسُّوء والآزفة" .

وفي ختام هذا المبحث نذكر أسماء من نقلنا عنهم تأويل السَّاق الواردة في الكتاب والسُّنَّة ، وهم :

ابن عبَّاس (٦٨هـ) ، مجاهد (١٠٤هـ) ، قَتَادَةَ (١١٨هـ) ، الفرَّاء (٢٠٧هـ) ، أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التَّيمى البصري (٢٠٩هـ) ، الصَّنعاني (٢١١هـ) ، ابن قتيبة الدَّينوري(٢٧٦هـ) ، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقَّب بـ «كراع النّمل» (المتوفَّى: بعد ٣٠٩هـ) ، الطَّبري(٣١٠هـ) ، إبراهيم بن السّري بن سهل الزَّجَّاج(٣١١هـ) ، ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) ، أبو بكر محمَّد بن عزيز السّجستاني (٣٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن محمَّد بن إسماعيل النَّحَّاس(٣٣٨هـ) ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي،(٣٥٠هـ) ، الطَّبراني (٣٦٠هـ) ، الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) ، أحمد بن علي أبو بكر الرَّازي الجصَّاص الحنفي(٣٧٠هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، الخطَّابي (٣٨٨هـ) ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) ، أبو نصر الفارابي(٣٩٣هـ) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(نحو ٣٩٥هـ) ، أبو عبد

الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) ، أبو عبيد أحمد بن محمَّد الهروي(٤٠١هـ) ، محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (٤٠٦هـ) ، الشَّريف الرّضي (٤٠٦هـ) ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوري، أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) ، أبو على أحمد بن محمَّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني(٤٢١ هـ) ، الثَّعلبي (٤٢٧هـ) ، مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري (توفّيَ في النِّصف الأوَّل من القرن السَّادس) ، ابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، الماوردي (٤٥٠هـ) ، ابن حزم (٤٥٦) ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) ، عبد الكريم القشيري(٤٦٥هـ) ، الواحدي النَّيسابوري الشَّافعي(٤٦٨هـ) ، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، أبو إسحاق الشِّيرازي(٤٧٦هـ) ، أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولِّي الشَّافعي(٤٧٨ هـ) ، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني (٤٧٩هـ) ، محمَّد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي(٤٨٨هـ) ، أبو المظفَّر السَّمعاني(٤٨٩هـ) ، الرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني، ويعرف بتاج القرَّاء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) ، البغوي الشَّافعي(٥١٠هـ) ، أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي(٥٢٠هـ) ، إسماعيل الأصبهاني الملقَّب بقوام السُّنَّة (٥٣٥هـ) ، الزَّمخشري (٥٣٨هـ) ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ) ، ابن عطيَّة الأندلسي (٥٤٢هـ) ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السَّبتي (٥٤٤هـ) ، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النَّيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشَّهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ) ،أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي(٥٥٨هـ) ، محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن علي البغدادي (٥٦٢هـ) ، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ابن قرقول (٥٦٩هـ) ، ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، ابن الأثير (٦٠٦هـ) ، الرَّازي (٦٠٦هـ) ، الآمدي (٦٣١هـ) ، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي(٦٥٦هـ) ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد(٦٥٦هـ) ، فضل الله بن حسن بن حسين

بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي(٦٦١ هـ) ، زين الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي (٦٦٦هـ) ، أبو عبد الله القرطبي(٦٧١هـ) ، النَّووي(٦٧٦هـ) ، البيضاوي (٦٨٥هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري المعروف بالحيحي (٧٠٠هـ) ، النَّسفي (٧١٠هـ) ، ابن منظور(٧١١هـ) ، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدِّين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالْمُظْهِري(٧٢٧هـ) ، ابن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي(٧٣٣هـ) ، ابن الحاج (٧٣٧هـ) ، الخازن (٧٤١هـ) ، الطِّيبي(٧٤٣هـ) ، أبو العبَّاس، شهاب الدِّين، أحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم المعروف بالسَّمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، ابن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ) ، محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) ، الزّركشي (٧٩٤هـ) ، ابن الملقِّن(٨٠٤هـ) ، أحمد بن محمَّد بن عماد الدِّين ابن الهائم (٨١٥هـ) ، الفيروزآبادي(٨١٧هـ) ، محمَّد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمَّدالمعروف بالدَّماميني، وبابن الدَّماميني(٨٢٧ هـ) ، شمس الدِّين البِرْماوي، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى النّعيمي العسقلاني المصري الشَّافعي(٨٣١ هـ) ، نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) ، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن الَمَلَك (٨٥٤هـ) ، بدر الدِّين العينى (٨٥٥هـ) ، الثَّعالبي(٨٧٥هـ) ، البقاعي(٨٨٥هـ) ، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمَّد الكوراني الشَّافعي ثمَّ الحنفي (٨٩٣هـ) ، الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) ، السُّيوطي (٩١١هـ) ، زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي المصري الشَّافعي (٩٢٦ هـ) ، القسطلاني(٩٢٣هـ) ، مجير الدِّين بن محمَّد العليمي المقدسي الحنبلي(٩٢٧ هـ) ، وقال الإمام الخطيب الشَّربيني(٩٧٧هـ) ، أبو السُّعود العمادي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (٩٨٢هـ) ، جمال الدِّين، محمَّد طاهر بن علي الصدِّيقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) ، علي بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي(١٠٣٣هـ) ، عبد الحق بن سيف الدِّين

بن سعد اللهَّ البخاري الدِّهلوي الحنفي (١٠٥٢ هـ) ، محمَّد علي بن محمَّد بن علَّان بن إبراهيم البكري الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، أيُّوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(١٠٩٤هـ) ، إسماعيل حقِّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(١١٢٧هـ) ، سليمان بن عمر العجيلي الشَّافعي الشَّهير بالجمل (١٢٠٤هـ) ، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) ، أحمد بن محمَّد الصَّاوي المصري الخلوتي المالكي (١٢٤١هـ) ، الشَّوكاني(١٢٥٠هـ) ، الألوسي (١٢٧٠هـ) ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني(١٣١٦هـ) ، القاسمي (١٣٣٢هـ) ، محمَّد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني(١٣٥٤هـ) ، محمَّد الخَضِر بن سيِّد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) ، أحمد بن مصطفى المراغي(١٣٧١هـ) ، سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاذلي (١٩٦٦م) ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النَّجدي (١٣٧٦هـ) ، عبد الكريم يونس الخطيب(المتوفَّى: بعد ١٣٩٠هـ) ، محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) ، عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، محمَّد محمَّد عبد اللطيف بن الخطيب (١٤٠٢هـ) ، محمَّد عزَّت دروزة (١٩٨٤م) ، سعيد حوَّى (١٤٠٩هـ) ، عائشة بنت الشَّاطئ (١٤١٩هـ) ، محمَّد سيِّد طنطاوي(١٤٣١هـ) ، محمَّد علي الصَّابوني (٢٠٢١م) ، وهبة بن مصطفى الزُّحيلي(٢٠١٥م) ، عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، عبد الهادي الفضيلي ، محمود حمدى زقزوق ، محمَّد حسن حسن جبل ...

🕮 المَبْحَثُ الثَّالِثُ 🕮

عَقِيْدَةُ المُتَسَلِّفَةِ فِي السَّاقِ وَمُنَاقَشَتُهَا

يعلمُ الدَّارسُ لعقائد المتسلِّفة أنَّ التَّجسيم أصبح سمة عامَّة عندهم ، وأنَّهم لا يتورَّعون عن ذلك ، مع أنَّهم ينفونه عن أنفسهم ، ويتَّهمون المنزِّهين بفساد العقيدة وتعطيل الصِّفات ، بل والتَّصريح بكفرهم وخروجهم من الملَّة ، كما وضَّحناه في كتابنا : "تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة" ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

فهم يعتقدون بِصِفَةِ الصُّوْرَة لله تَعَالَى ، وَالصَّوْت ، وَالنُّزُوْل بِمَعْنَى النُّقْلَةَ وَالحَرَكَةَ ، وَالقُعُوْد وَالجُلُوْس ، وَالفَم ، وَالقَدَم ، وَاليَد ، وَالقَبْضَة ، وَاليَمِيْن ، وَالكَفَّيْن ، وَالأَصَابع ، والعَيْنَيْن ، وَالعُلُوّ الحَقِيْقِي وَالتَّحَيُّز والمَكَان ، وَالحَدّ ، وَالقُرْبِ المَادِّي ، وَالسَّاعِدِ ، والسَّاق ، وَالحَقْو ، وَالجَنْبِ ، وَالخِنْصَر ، وَأَنَّ الله يَشْعُرُ بِالمَلَلِ ، وَيَتَوَجَّع ...وترجم ذلك كلّه إمامُهم حُمود التُّويجري في كتابه : "عَقِيْدَةُ أَهْلِ الإِيْمَانِ فِيْ خَلْقِ آدَمَ عَلَى صُوْرَةِ الرَّحْمَن" ، حتَّى قال قائلهم : الزموني من الصِّفات ما شئتم ، فإنِّي ألتزمه إلَّا اللحية والعورة ، والعياذ بالله تعالى ...

والكتاب المذكور قام بتقريظه الشَّيخ ابن باز – غفر الله له – ، حيث قال في تقريظه له :

بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحِيمِ

المملكة العربيَّة السعوديَّة ... الرَّقم ٣٨٠/خ

رئاسة إدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد ... التَّاريخ (٣٠/ ٣/ ١٤٠٨هـ)

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أمَّا بعد :

فقد اطَّلعتُ على ما كتبه صاحب الفضيلة الشَّيخ حمود بن عبد الله التُّويجري وفقه الله وبارك في أعماله ، فيما ورد من الأحاديث في خلق آدم على صورة الرَّحمن ، وسمَّى مؤلَّفه في ذلك : " عَقِيْدَةُ أَهْلِ الإِيْمَانِ فِي خَلْق آدم عَلَى صُوْرَةِ الرَّحْمَن " ، فألفيته كتاباً قيِّماً !!! كثير الفائدة !!! قد ذكر فيه

الأحاديث الصَّحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرَّحمن ، وفيما يتعلَّق بمجيء الرَّحمن يوم القيامة على صورته !!! وقد أجاد وأفاد !!! وأوضح ما هو الحقّ في هذه المسألة !!! وهو أَنَّ الضَّمير في الحديث الصَّحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عزَّ وجلَّ !!! وهو موافقٌ لما جاء في حديث ابن عمر : أَنَّ الله خلق آدم على صورة الرَّحمن . وقد صحَّحه الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، والآجري ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وآخرون من الأئمَّة رحمة الله عليهم جميعاً . وقد بيَّن كثيرٌ من الأئمَّة خطأ الإمام ابن خزيمة رحمه الله في إنكار عود الضَّمير إلى الله سبحانه في حديث ابن عمر ، والصَّواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضَّمير إلى الله عزَّ وجلَّ ، بلا كيف ، ولا تمثيل ، بل صورة الله سبحانه تليق به وتناسبه كسائر صفاته ، ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى ، كما قال عزَّ وجلَّ : **﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**﴿الإخلاص: ١ – ٤ ﴾ ، وقال عزَّ وجلَّ : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**﴿الشورى: ١١ ﴾ ، وقال سبحانه : **﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾**﴿مريم: ٦٥﴾ ، وقال عزَّ وجلَّ : **﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ﴾**﴿النحل: ٧٤ ﴾ . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والواجب على أهل العلم والإيمان إمرار آيات الصِّفات وأحاديثها الصَّحيحة كما جاءت ، وعدم التَّأويل لها بما يخالف ظاهرها ، كما درج على ذلك سلف الأمَّة وأئمَّتها ، مع الإيمان بأَنَّ الله سبحانه ليس كمثله شيء ، في صورته ، ولا وجهه ، ولا يده ، ولا سائر صفاته ، بل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه في جميع صفاته ، لا شبيه له ، ولا مثْل له ، ولا تكيَّف صفاته بصفات خلقه ، كما نصَّ على ذلك سلف الأمَّة وأئمَّتها من أصحاب النَّبي ﷺ وأتباعهم بإحسان رحمهم الله جميعاً وجعلنا من أتباعهم بإحسان . ومن تأمَّل ما كتبه أخونا العلَّامة الشَّيخ حمود التُّويجري في هذا الكتاب وما نقله عن الأئمَّة اتَّضح له ما ذكرنا ، فجزاه الله خيراً ، وزاده من العلم والإيمان ، وجعلنا وإيَّاه وسائر إخواننا من أنصار السُّنَّة والقرآن ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وأصحابه ومن استقام على نهجه إلى يوم الدِّين / عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرَّئيس العام لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد .

وفي كتابه الرَّائع "دَفْعُ شُبَهِ التَّشْبِيْه بِأَكُفِّ التَّنْزِيْه" أبدع الإمام ابن الجوزي بوصفه الدَّاءَ والدَّواء ... الدَّاء الذي بسببه جنح مركب هؤلاء عن بحر التَّنزيه فسقطوا في وحل التَّشبيه ، فقال : " وقع غلطُ المصنِّفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه :

أَحَدُهَا : أنَّهم سمُّوا الأخبار أخبار صفات ، وإنَّما هي إضافات ، وليس كلّ مضاف صفة ، فإنَّه قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُوْحِي**﴾﴿الحجر:٢٩ ﴾ ، وليس لله صفة تسمَّى روحاً ، فقد ابتدع من سمَّى المضاف صفة .

الثَّانِي : أنَّهم قالوا : أنَّ هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى ، ثمَّ قالوا : نحملها على ظواهرها ، فواعجباً ما لا يعلمه إلَّا الله أيّ ظاهر له ؟!! فهل ظاهر الاستواء إلَّا القعود ، وظاهر النُّزول إلَّا الانتقال ؟!!

الثَّالِثُ : أنَّهم أثبتوا لله تعالى صفات ، وصفات الحق لا تثبتُ إلَّا بما يثبت به الذَّات من الأدلَّة القطعية ، وقال ابن حامد : من ردَّ ما يتعلَّق به بالأخبار الثَّابتة فهل يكفر ؟ على وجهين : وقال : غالب أصحابنا على تكفير من خالف الأخبار في : السَّاق ، والقدم ، والأصابع ، والكفّ ، ونظائر ذلك ، وإن كانت أخبار آحاد ، لأنَّها عندنا تُوجب العلم .

قلت : هذا قولُ من لا يفهم الفقه ولا العقل .

الرَّابِعُ : أنَّهم لم يفرِّقوا في الأحاديث بين خبر مشهور ، كقوله :" يِنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا" ، وبين حديث لا يصحُّ ، كقوله :"رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُوْرَة" ، بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة .

الخَامِسُ : أنَّهم لم يفرِّقوا بين حديث مرفوع إلى النَّبيِّ ﷺ وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي ، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا .

السَّادِسُ : أنَّهم تأوَّلوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأوَّلوها في موضع آخر ، كقوله : "من أتاني يمشي أتيته هرولة " ، قالوا : هذا ضرب مثلٍ للإنعام ، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنَّه قال : إذا كان يوم القيامة جاء الله يمشي ، فقالوا نحمله على ظاهره .

قلت : فواعجباً ممَّن تأوَّل حديث رسول الله ﷺ ولا يتأوَّل كلام عمر بن عبد العزيز .

السَّابِعُ : أنَّهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحسّ ، فقالوا : ينزل بذاته ، وينتقل ويتحرَّك ، ثمَّ قالوا : لا كما يُعقل ، فغالطوا من يسمع ، فكابروا الحسَّ والعقل ، فحملوا الأحاديث على الحسيَّات !! فرأيت الرَّدّ عليهم لازماً لئلَّا يُنسب الإمام إلى ذلك ، وإذا سكتُّ نُسبت إلى اعتقاد ذلك ، ولا يهولني أمرٌ عظيمٌ في النُّفوس ، لأنَّ العمل على الدَّليل وخصوصاً في معرفة الحقّ لا يجوز فيه التَّقليد".

والغريب في أمر هؤلاء أنَّهم ينسبون عقائدهم العوجاء إلى السَّلف الصَّالح ، وذلك للتَّعمية والتَّمويه والتَّلبيس على الرعاع الجهَّال البسطاء من أتباعهم ... والحقّ ... أنَّ جميع المسائل السَّابقة وغيرها الكثير الكثير هي من تخرُّصاتهم وتخابطاتهم ، ولا تمتُّ إلى عقائد السَّلف بشيء البتَّة ... وقد قمتُ بالرَّدِّ عليها ضمن سلسلة الرُّدود عليهم ، وبرهنت بالأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة ... على مخالفتهم لعموم الأمَّة سلفاً وخلفاً ، وبالتَّالي يتَّضح لكلِّ عاقل بأنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة مخالفون للسَّلف في الكثير من المسائل التي طرحوها ، وأنَّ السَّلف ممَّا نسبوه لهم براء ... لأنَّ السَّلف الصَّالح فوَّضوا وأوَّلوا الكثير من معاني جميع الألفاظ المتشابهة إلى الله تعالى ، مع إيمانهم بها واعتقادهم تنزيهه سبحانه عن ظاهر معناها ...

وتالياً طائفة يسيرة جدَّاً من عقيدة المتسلِّفة بـ السَّاق ...

قال الإمام ابن تيمية في " تلخيص كتاب الاستغاثة"(٢/٥٤٢) :" قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، لم يقل : يوم يكْشفُ السَّاق ، وهذا يبيِّن خطأ من قال : المراد بهذه كشف الشِّدَّة ، وأنَّ الشِّدَّة تسمَّى ساقاً ، وأنَّه لو أريد ذلك لقيل : يوم يكْشفُ عن الشدَّة أو يكْشفُ الشدَّة" .

وابن تيمية هنا يخطِّئ حَبْر الأمَّة وتُرجمان القرآن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تأويله للسَّاق بالشدَّة ... كما أنَّه خالف معاجم العربيَّة ، حيث حكم بأنَّه ليس من معاني السَّاق في اللغة العربيَّة : الشِّدَّة ... وقد ذكرنا في الفصل الثَّاني من هذا الكتاب العديد من أقوال أهل اللغة الذين ذكروا أنَّ من معاني السَّاق في اللغة العربيَّة : الشِّدَّة ... ومع ذلك تابع المتسلِّفةُ ابنَ تيمية فيما ذهب إليه في هذه المسألة ... فهم لا يخرجون عن أقواله قيْد أُنملة ، بل يتابعونه حذو القذَّة بالقذَّة ... بل أضفوا على كلامه هالة عظيمة من الجلال والإعظام ، حتَّى وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأنَّ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بدليل أنَّنا لم نرَ عالماً منهم تجاسر على تخطئة ابن تيمية ، اللهمَّ إلَّا الألباني – فيما اطَّلعت – ، وقد ناقشه وخالفه على استحياء ، بل أنَّه حين ناقشه في مسألة فناء النَّار ، ذكر أنَّ لابن تيمية أجراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النَّار ، مع أنَّها مسألة قطعيَّة لا مجال فيها للاجتهاد ...

هذا مع العلم بأنَّ الكثيرين من العلماء المعاصرين لابن تيمية ردُّوا عليه في الأصول والفروع ، وناظروه ، وألجموه الحجَّة ، وكان في كلِّ مرَّة يُعلن توبته ورجوعه للحقِّ بعدما تبيَّن ، لكنَّه سرعان ما يعود ويأتي بجديد ، وقد تمَّ إيداعه السِّجن غير مرَّة ، مات في آخرها في السِّجن ... وكان سجنه بإجماع العلماء ، قال الإمام تقي الدِّين السُّبكي في " فتاوى السُّبكي(٢/ ٢١٠) : " وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ مَاتَ" .

وما حُبِسَ ابن تيمية عدَّة مرَّات إلَّا بسبب فتاويه الشَّاذَّة ... ومن العلماء الذين ردُّوا عليه :

الإمام صالح بن عبد الله البطائحي شيخ المنيبيع الرِّفاعي (٧٠٧هـ) .

الإمام أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السّروجي، أبو العبَّاس، شمس الدِّين الحنفي (٧١٠هـ) .

الإمام عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن خطاب الشَّيْخ الإِمَام عَلَاء الدِّين الْبَاجِيّ (٧١٤هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم بن مُحَمَّد الشَّيْخ صفي الدِّين الْهِنْدِيّ الأرموي (٧١٥هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عمر بن مكِّي بن عبد الصَّمد الشَّيْخ الإِمَام صدر الدِّين بن المرحل (٧١٦هـ) .

الإمام قاضي القضاة زين الدِّين علي بن مخلوف المالكي (٧١٨هـ) .

الإمام نور الدّين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن أبو الحسن البكري المصري الشَّافعي (٧٢٤هـ) .

الإمام مُحَمَّدُ بنُ محَّمدِ بنِ عثمانَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ حسنٍ القرشيُّ المِصريُّ فخرُ الدينِ بنُ مُحيي الدَّينِ المعروفُ بابنِ المعلِّم القرشي (٧٢٥هـ) .

الإمام محمَّد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزّي الصَّالحي الحنبلي قاضي الحنابلة بدمشق شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بابن مسلم (٧٢٦هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد بن عبد الْكَرِيم قَاضِي الْقُضَاة كَمَال الدِّين بن الزّملكاني (٧٢٧هـ).

الإمام محمَّد بن صفي الدِّين عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهَّاب الأنصاري (٧٢٨هـ) .

الإمام أَحْمد بن يحيى بن إِسْمَاعِيل الشَّيْخ شهَاب الدّين ابْن جهبل الْكلابِي الْحَلَبِي الأَصْل (٧٣٣هـ) ، وقد قمنا بحمد الله تعالى بدراسة ردِّه على ابن تيمية في مصنَّف خاصٍّ سمَّيناه بـ : " الشَّرْحُ الأَكْمَلُ لِعَقِيْدَةِ الإِمَامِ أَحْمَدِ بْنِ جَهْبَل" ، فالحمد لله على عونه وتوفيقه ...

الإمام بدر الدِّين بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحموي، شيخ الإسلام وقاضي القضاة في الشَّام ومصر وخطيب المسجد الأقصى والجامع الأزهر والجامع الأموي (٧٣٣ هـ) .

الإمام أبو القاسم أحمد بن محمَّد بن محمَّد الشِّيرازي (٧٣٣هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن عمر قَاضِي الْقُضَاة جلال الدّين الْقزْوِينِي (٧٣٩هـ) .

الإمام تاج الدِّين أحمد بن عثمان ابن التُّركماني الجوزجاني الحنفي (٧٤٤هـ) .

الإمام أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) .

الإمام كمال الدِّين محمَّد بن أبي الحسن علي السّراج الرِّفاعي القرشي الشَّافعي (٧٤٧هـ) .

الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) .

الإمام أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي، الخزرجي، الأنصاري (٧٥٦هـ) .

الإمام صلاح الدِّين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدِّمشقي الشَّافعي الأشعري (٧٦١هـ).

وردود هؤلاء وغيرهم الكثير الكثير من علماء الأمَّة ... مسطَّرة في كتبهم وكتب غيرهم ... وهي معروفة مشهورة ... ومن تلك الرُّدود :

وجَّه الإمام الذَّهبي – تلميذ ابن تيمية– رسالة لشيخه ابن تيمية ، اشتهرت باسم : " الرِّسالة الذَّهبيَّة " ، نصح فيها شيخه ابن تيمية للعدول عن غيِّه وضلاله ونبشه لدقائق الكفريَّات الفلسفيَّة ، واتَّهمه فيها ببلع سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، ونصُّ الرِّسالة هو : " الحمد لله على ذلَّتي ، يا ربِّ ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليَّ إيماني ، واحزناه على قلَّة حزني ، واأسفاه على السُّنَّة وذهاب أهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء ، واحزناه على فقد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التَّقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النَّاس ، وتَبّاً لمن شغله عيوبُ النَّاس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمُّ العلماء ، وتتبع عورات النَّاس مع علمك بنهي الرَّسول ﷺ : " لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا " . أخرج الشق الأوَّل منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

بلى أعرفُ إنَّك تقول لي لتنصُرَ نفسك : إنَّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمَّد ﷺ وهو جهاد ، بلى والله عرفوا خيراً ممَّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممَّا لا يعنيهم و" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " . أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) ، وغيره ...

يا رجل ، بالله عليك كفَّ عنَّا ، فإنك مِجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام ، إياكم والأغلوطات في الدِّين ، كره نبيك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السُّؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي كل منافق عليم اللسان " . أخرجه أحمد في المسند ، (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، وغيره ...

وكثرة الكلام بغير زلل تقسِّي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيَّة والفلاسفة وتلك الكفريَّات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريَّات الفلسفيَّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، وكثرة استعمال السُّموم يُدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبُّر ، وخشية بتذكُّر ، وصمت بتفكُّر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار ، فعند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة ، لا عند ذكر الصَّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجَّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنَّا نعدها من أساس الضَّلال ، قد صارت هي محض السُّنَّة وأساس التَّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعــون ، وتعدّ النَّصارى مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشَّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتَّبعك فإنَّه مُعَرَّضٌ للزَّندقة والانحلال !!! ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليَّاً شهوانيَّاً ، لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيدٌ مربوط خفيف العقل ، أو عامي كذَّاب بليد الذِّهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتشهم وزنهم بالعدل .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلى كم تصدقها وتزدري الأبرار ، إلى كم تعظمها وتصغر العباد ، إلى متى تُخالِلها وتمقت الزهَّاد ، إلى متى تمدح كلامك بكيفيَّة لا تمدح بها والله أحاديث الصَّحيحين ، يا ليت أحاديث الصَّحيحين تسلم منك بل في كلِّ وقت تُغيرُ عليها بالتَّضعيف والإهدار ، أو بالتَّأويل والإنكار .

أما آن لك أن ترعوي ؟ أمَّا حان لك أن تتوب وتنيب ، أمَّا أنت في عشر السَّبعين وقد قرب الرَّحيل . بلى والله ما أذكر أنَّك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنُّك تُقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي ، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتَّى أقول لكَ : والبتَّة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشَّفوق المحبُّ الواد ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبَّني علانية ، وتنتفع بمقالتي سرَّاً : "فرحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي" .
أخرجه من كلام عمر بن الخطَّاب : الدارمي (١/ ٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

فإنِّي كثير العيوب غزير الذُّنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علاَّم الغيوب ، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيِّين ، وعلى آله وصحبه أجمعين " . انظر : السيف الصقيل في الردِّ على رد ابن زفيل (ص٢١٧-٢١٩) .

والرِّسالة ثابتة لا مجال للطَّعن فيها ، وذلك لـ :

١-أنَّ الإمام الذَّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الذَّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، على ما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة ، بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعية !!! ... " . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٦) .

وقال الذَّهبي في " تذكرة الحفَّاظ " في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوى نيل من عِرضِهِ لأجلها ،... فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ، وكلّ أحد من الأمَّة فيؤخذ من قوله ويُترك " . انظر : تذكرة الحفاظ (٤٤/ ١٩٢)

وقال الإمام ابن تيمية في"بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة "(٥/ ٤٦٤-٤٦٥) :"من أين في ظاهر القرآن أنَّه ليس لله إلَّا ساق واحد وجنب واحد ، فإنَّه قال : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ ، وقال : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، وعلى تقدير أن يكون هذا من صفات الله فليس في القرآن ما يُوجِب أن لا يكون لله إلَّا ساق واحد وجنب واحد !!! فإنَّه لو دلَّ على إثبات جنب واحد وساق واحد وسكت عن نفي الزِّيادة ، لم يكن ذلك دليلاً على النَّفي !!! إلَّا عند القائلين بمفهوم الاسم واللقب ، لأنَّه متى كان للتَّخصيص بالذِّكر سبب غير الاختصاص بالحكم ، لم يكن المفهوم مراداً بلا نزاع ، ولم يكن المقصود بالخطاب في الآيتين إثبات الصِّفة حتى يكون المقصود تخصيص أحد الأمرين بالذِّكر ، بل قد يكون المقصود حكماً آخر مثل بيان تفريط العبد وبيان سجود العباد إذا كشف عَنْ سَاقٍ ، وهذا الحكم قد يختصُّ بالمذكور دون غيره ، مثل أن يقال : هب أنَّه أخبر أنَّه **﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** واحدة ، فمن أين في الكلام أنَّه ليس له إلَّا ساق واحدة ، والقائل إذا قال : كشفت عن يدي أو عن عيني أو عن ساقي أو قدمي لم يكن ظاهر هذا أنَّه ليس له إلَّا واحد من ذلك ، بل قد يقال : إنه لم يُكْشَف إلَّا عن واحد ، فدعواه النَّفي في ظاهر القرآن دعوى باطلة" .

وقال الإمام ابن تيمية في"بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة"(٥/ ٤٧٢-٤٧٤ باختصار):" من أين في ظاهر القرآن لله ساقٌ وليس معه إلَّا قوله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم:٤٢﴾ والصَّحابة قد تنازعوا في تفسير الآية هل المراد به الكشف عن الشَّدَّة أو المراد به أنَّه يَكْشِفُ الرَّبُّ عَنْ سَاقِهِ ولم يتنازع الصَّحابة والتابعون في ما يذكر من آيات الصِّفات إلَّا في هذه الآية بخلاف قوله : **﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾**﴿ص: ٧٥﴾ ، **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**﴿الرحمن: ٢٧﴾ ، ونحو ذلك ، فإنَّه لم يتنازع فيها الصَّحابة والتَّابعون وذلك أنَّه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى لأنَّه قال : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، ولم يقل : عَنْ سَاقِ الله ، ولا قال : يَكْشِفُ الرَّبُّ عَنْ سَاقِهِ ، وإنَّما ذكر ساقاً منكَّرة غير معرَّفة ولا مضافة ، وهذا اللفظ بمجرَّده لا يدلُّ على أنَّها ساق الله ، والذين

جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصَّحيح المفسِّر للقرآن ، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصَّحيحين الذي قال فيه : " فيكشف الرَّبُّ عن ساقه " ، وقد يقال : إنَّ ظاهر القرآن يدلُّ على ذلك من جهة أنَّه أخبر أنَّه يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ويدعون إلى السُّجود ، والسُّجود لا يصلح إلَّا لله ، فعلم أنَّه هو الكاشف عن ساقه ، وأيضاً فحَمْلُ ذلك على الشدَّة لا يصحّ ، لأنَّ المستعمل في الشدَّة أن يقال : كشف الله الشدَّة ، أي : أزالها ، كما قال : ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**﴾﴿الزخرف: ٥٠﴾ ، وقال : ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ**﴾﴿الأعراف: ١٣٥﴾ ، وقال : ﴿**وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾﴿المؤمنون: ٧٥﴾ ، وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنَّه يقال : كشف الشدَّة ، أي : أزالها فلفظ الآية ﴿**يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ ، وهذا يراد به الإظهار والإبانة ، كما قال : ﴿**كَشَفْنَا عَنْهُمُ**﴾ ، وأيضاً فهناك تحدث الشدَّة ولا يزيلها ، فلا يكْشفُ الشدَّة يوم القيامة ، لكن هذا الظَّاهر ليس ظاهراً من مجرَّد لفظ ساق ، بل بالتَّركيب والسِّياق وتدبُّر المعنى المقصود " .

قلت : وأنا لا أستغرب مثل هذا الكلام من ابن تيمية بعد أن صحَّح رواية الشَّاب الأمرد ... والشَّابُّ الأمرد : له ساقان ، ويدان ، وعينان ، وكفَّان ، وقدمان ، وفخذان، وجنبان ، وشفتان ، ووجه ، وأضراس ، ولهاه و و و و و و ولا بدَّ من إكمال الصُّورة بكافَّة أعضائها وجوارحها ، حتَّى لو اقتضى الامر تصحيح الحديث التَّالف الموضوع ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

وقال الإمام ابن تيمية في "جواب الاعتراضات المصريَّة على الفتيا الحمويَّة"(ص١٠٧) :"... وأمَّا الوجهُ الثَّالث: فقوله: «قد تأوَّل السَّلفُ كثيرًا منها ومن الآياتِ، وأذِن لنا في التَّأويل ابنُ عبَّاسٍ، وهو حَبْر هذه الأمَّةِ وترجمانُ القرآنِ في غير ما آيةٍ في هذا الباب، قال: إذا خفيَ عليكم شيء من القرآن فابتغُوه في الشِّعر، فإنَّه ديوان العرب، وقال في قوله: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾﴿القلم: ٤٢﴾: أما سمعتم قولَ العرب:

قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

فالجواب من وجوهٍ:

أحدها: إنَّ كان المرادُ بالسَّلف الصَّحابةَ ، فهذا النَّقلُ عنهم باطلٌ، لم يتأوَّلْ أحدٌ قَطُّ من الصَّحابة شيئًا من آيات القرآن التي ظاهرُها أنَّها صفةٌ لله تعالى. ولقد بحثتُ عن هذا الباب وكشفتُه، وطالعتُ التَّفاسير المنقولة عن الصَّحابة نقلًا صحيحًا، فلم أجدْ عن أحدٍ من الصَّحابةِ أنه تأوَّلَ آيةً واحدةً من الآيات التي ظاهرُها صفةٌ على نفْيِ الصِّفة، بل وجدتُ عنهم من الآثار التي تُقَرِّرُ النُّصوصَ وتُثبِتُ الصِّفاتِ وتُصرِّحُ بمنافاةِ قولِ المتأوِّلين والمعطِّلين ما لا يتَّسع هذا الموضع لكتابته، ولا يَحضُرني تفاصيلُ ذلك، وليست الكتبُ عندي، وكتابةُ مثل هذا من الحفظ متعذر.

فهذا السُّؤال الذي أوردَه قد انقلبَ عليه، وهو من أعظم الحجج القطعيَّة على صحَّة مذهب المثبتةِ للصِّفات المانعين عمّا يُضادُّها من التَّأويلات، إذ جميع الصَّحابة قد ثبتَ عنهم بأنواع الثَّابت من المنقولات إثباتُ صفة العُلُوِّ وغيرِها من الصِّفاتِ، بالنُّصوص الصَّريحة التي لا تحتمل خلافَ ذلك، ولم يُنقَل عن أحدٍ منهم تأويلٌ يخالف ذلك بما يخالف الظَّاهرَ. فالمتأوِّل بما يخالف الظَّاهرَ مع أنَّه مبتدعٌ لهذه التأويلات، فهي بدعةٌ مخالِفةٌ لإجماع السَّلف، لا بدعةٌ مسكوتٌ عنها.

ومع أنَّهم لم يتأوَّلوا ما ظاهرُه الصفةُ فلم أعلم عن الصَّحابة نزاعًا فيما يُقال: إنَّه من الصِّفات، إلَّا في قوله: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ ، فإنَّ هذا مُتنازَعٌ فيها زمنَ الصَّحابة، فعن ابن عبَّاس وطائفةٍ ما ذكره المعترض أنَّ المراد به الكشفُ عن شدَّةٍ. وقد بَعُدَ عَهْدِي بالإسناد عن ابن عبَّاسٍ هل هو متَّصلٌ أو منقطعٌ. وعن أبي سعيد الخدري وغيرِه جعله من الصِّفات، وفي الصَّحيحين حديث أبي سعيد وغيره.

وسببُ النِّزاع أنَّه ليس في ظاهر الآية ما يدلُّ على أنَّها من الصِّفات، لأنَّه قال: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ ، ولم يُضِفْ ذلك إلى الله بل نكَّرَه، ومعلومٌ أنَّ هذا لا يدلُّ بنفسِه على أنَّه صفةٌ لله، بخلاف ما أضيفَ إليه، ولهذا تنازعَ فيه الصَّحابةُ، فمن أثبته احتجَّ بحديثِ أبي سعيد المتَّفق عليه في الصَّحيحين، وقال أيضًا: فرقٌ بين أن يُقال: كُشِفَ الشَّيءُ وأن يقال: كَشَفتُ عنه، فإنَّ الشّدَّة يقال

فيها: كشَفَها الله ، أي : أزالها، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾﴿الأعراف: ١٣٤-١٣٥﴾، وقال تعالى في حقِّ أيُّوب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾﴿يونس: ٢٣﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾﴿الأنعام: ٤٠-٤١﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾﴿المؤمنون: ٧٥﴾ ، قالوا: فالشّدَّة يقال فيها كشفَها، ولا يقال: كشفَ عنه. وأمَّا الكشف عن الشَّيء فهو إظهاره وإبرازه، كما يُكْشَفُ العذابُ عن النَّاس، فالعذاب نفسه مكشوف، وأمَّا النَّاس فهم مكشوفٌ عنهم لظهورهم وبروزهم بعد زوال العذاب عنهم.

وإن كان المراد بقوله «السَّلف» التَّابعين فلا أعلم أحدًا من التَّابعين تأوَّل شيئًا من النُّصوص التي ظاهرها الصِّفة، بل القول فيهم كالقول في الصَّحابة، إلَّا أنَّ دعوى الإحاطة بكلامهم أصعب، وعامَّة الأئمَّة والمفسِّرين على إثبات الصِّفات كما تقدَّم عن الصَّحابة، والنُّقول بذلك عنهم كثيرة لا تنحصر، وبينهم نزاعٌ في السَّاق ، كما تقدم" .

وكلام ابن تيمية السَّابق فيه من العجائب والغرائب ما يحارُ فيه اللبيبُ ... فهو يقول :." وطالعتُ التَّفاسير المنقولة عن الصَّحابة نقلًا صحيحًا، فلم أجدْ عن أحدٍ من الصَّحابةِ أنَّه تأوَّلَ آيةً واحدةً من الآيات التي ظاهرُها صفةٌ على نفْيِ الصِّفة" . وهذا ليس بصحيح ... وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... وحاله في ذلك حال من ينكر الشَّمس في رابعة النَّهار ... فالصَّحابة ومن بعدهم من التَّابعين وتابعيهم ... أوَّلوا الكثير من الآيات التي يسمِّيها المتسلِّفة بآيات الصِّفات ، فالتَّأويل ثابت عن السَّلف مهما تنطَّع مدَّعو السَّلفيَّة وبالغوا في إنكاره ... ذلكم الإنكار الذي اقتضاه منهجهم القائم على إنكار المجاز في لغة القرآن العظيم ... وإثباته يعني نقض مذهبهم ومنهجهم وبنيانهم

الذي بنوا ، ذلكم البنيان الذي ساروا فيه على سَنَنِ ابن تيمية ... فمُنكِرُ التَّأويل مُنكِرٌ على الصَّحابة والتَّابعين ، بل على مجموع الأمَّة المحمَّديَّة التي أوَّلَ علماؤها كلَّ ما من شأنه أن يتعارض مع تنزيه الله تعالى عن النَّقائص وسائر صفات المُحْدَثَات ...

فمن أوَّل من الخلَف لم يبتدع قولاً ، ولا منهجاً جديداً ، بل سلكَ مسلكَ السَّلف الصَّالح ، وعلى رأسهم حَبْرُ الأُمَّة وترجُمان القرآن ابن عبَّاس ، رضي الله عنهما ...

فمن تأويلات حَبْر الأمَّة وتُرجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما :

(١) تأويله للكرسي الوارد في قوله تعالى : **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**﴿البقرة : ٢٥٥﴾ ، بالعلم ...

فقد جاء في تفسير الطَّبري (٣١٠هـ) عند تفسيره لآية الكرسي ما نصُّه : " اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْكُرْسِيِّ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ عِلْمُ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وَسَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَا: ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾**﴿البقرة: ٢٥٥﴾ ، قَالَ: " كُرْسِيُّهُ: عِلْمُهُ " . انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٣٩٨) ، تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٠٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٠) ، بحر العلوم (١/ ١٩٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ٣٢٦) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ٣٦٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ٤٤١) ، التحرير والتنوير (٣/ ٢٣) ...

قلت : وقد تعمَّدت أن أنقل أغلب تأويلات ابن عبَّاس من تفسير الطَّبري ، لأنَّ من المعلوم أنَّ الإمام ابن تيمية زكَّى وامتدح تفسير الإمام الطَّبري ، وذكر أنَّ النَّقل فيه محرَّر ، وأنَّه ينْقل فِيهِ كَلَام السَّلف بِالْإِسْنَادِ . راجع : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧٩) .

(٢) تأويله للنُّور الوارد في قوله تعالى : **﴿اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا**

غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾﴿النور : ٣٥ ﴾ .

قال الطَّبري : " حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثني مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٧/ ٢٩٥) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ١٠٢) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٢٠) ، تفسير القرآن ، السمعاني (٣/ ٥٢٩) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٦/ ٤٥) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/ ٧٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٦/ ٥٧) ...

(٣) تأويله للأعين الواردة في قوله تعالى : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾﴿هود : ٣٧﴾ . قال الإمام البغوي (٥١٦هـ) : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾﴿هود : ٣٧ ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بِمَرْأًى مِنَّا " . انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ٤٤٧) ، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٩) ...

(٤) تأويله للأيْد الواردة في قوله تعالى : ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾﴿الذاريات : ٤٧ ﴾ . قال الطَّبري : "حَدَّثَنِي عَلِيٌّ قَالَ: ثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾﴿الذاريات: ٤٧﴾ يَقُولُ: «بِقُوَّةٍ» . انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٤٣٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٨١) ، زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٣٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٢) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ٢٤٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٥٧) ، الدر المنثور (٧/ ٦٢٣) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٢٠٨) ...

(٥) تأويله للسَّاق الوارد في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم : ٤٢ ﴾ : قال الطَّبري : "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: هُوَ يَوْمُ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ " .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم: ٤٢﴾ ، قَالَ: عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ " . انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٥٥٤) ، تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٠٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦) ، بحر العلوم (٣/ ٤٦٣) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١٨) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن (١٢/ ٧٦٤٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٦/ ٧٠) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٣٣٩) ، تفسير القرآن ، السمعاني (٦/ ٢٨) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٧٨) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٤٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٨/ ١٩٩) ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص٤٨٢) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٤٧٠) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٥٤) .

(٦) تأويله لمجيء الربِّ الوارد في قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾﴿الفجر : ٢٢﴾ . قال الإمام النَّسفي (٧٠١هـ) : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾﴿الفجر : ٢٢﴾ ، تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإنَّ واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصِّه ، وعن ابن عبَّاس : أمره وقضاؤه " . انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٦٤١) .

فهذه باقة من تأويلات حبر الأمَّة وترجمان القرآن : ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، الصَّحابي الجليل الذي دعا له رسول الله ﷺ بقوله : " اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ " . قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده قوي على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم ، فمن رجال مسلم ، وهو صدوق ... وأخرجه يعقوب بن سفيان في " المعرفة والتاريخ " ١/ ٤٩٤ من طريقين عن زهير أبي خيثمة، بهذا الإسناد ، وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤) من طريق داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، به . قوله : " وعلمه التأويل " ، قال السندي : المراد بالتأويل : تأويل القرآن ، فكان يُسمى بحراً ، وترجمان القرآن ، والله تعالى أعلم . انظر هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٢٥) ....

ومن تأويلات السَّلف الصَّالح الأُخرى للنُّصوص التي يسمِّيها البعض بالصِّفات :

قال الإمام محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦هـ) في كلامه على قول الله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾﴿القصص: ٨٨﴾ : "أَيْ : إِلَّا هُوَ، وَقِيلَ: إِلَّا مُلْكَهُ ، وقال أَبُو الْعَالِيَةِ: إِلَّا مَا أُرِيدَ به وجهه " . انظر : صحيح البخاري (٣/ ٥٤٨) .

وقال الإمام البخاري : " حَدَّثَنَا محمَّد ، أَنَا عَبْدُ اللهِ ، أَنَا محمَّد بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا ابْنَ عُمَرَ ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : " يَدْنُو مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ " ، قَالَ : " فَذَكَرَ صَحِيفَتَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ ، حَتَّى يَبْلُغَ بِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَبْلُغَ فَيَقُولُ : إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُنَادِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ " ، قَالَ اللهُ: **﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**﴿هود: ١٨﴾ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: " كَنَفُهُ: يَعْنِي سِتْرَهُ " . انظر : خلق أفعال العباد (ص٧٨) .

وقال الإمام التِّرمذي (٢٧٩هـ) :"حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ محمَّد ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَ الْحَسَنُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ ... وَالَّذِي نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللهِ . ثُمَّ قَرَأَ : **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** ﴿الحديد: ٣﴾ . هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

وَيُرْوَى عَنْ أَيُّوبَ ، وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، قَالُوا : لَمْ يَسْمَعِ الحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَفَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا هَبَطَ عَلَى عِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ... " . انظر : سنن الترمذي (٥/ ٢٥٦) .

وقال الإمام التِّرمذي : " حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي

يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَيُرْوَى عَنِ الأَعْمَشِ (١٤٧هـ) فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، يَعْنِي بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَهَكَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ . قَالُوا : إِنَّمَا مَعْنَاهُ يَقُولُ : إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ بِطَاعَتِي وَبِمَا أَمَرْتُ تُسَارِعُ إِلَيْهِ مَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي " . انظر : سنن الترمذي (٥/ ٤٧٣) .

وقال الإمام الطَّبري في كلامه على قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾﴿البقرة: ٢٩﴾ ، عَلَا عَلَيْهِنَّ وَارْتَفَعَ فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِهِ وَخَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ .

وَالْعَجَبُ مِمَّنْ أَنْكَرَ الْمَعْنَى الْمَفْهُومَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾﴿البقرة: ٢٩﴾ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ هَرَباً عِنْدَ نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يُلْزِمَهُ بِزَعْمِهِ إِذَا تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَاهُ الْمُفْهِمِ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا عَلَا وَارْتَفَعَ بَعْدَ أَنْ كَــانَ تَحْتَهَا ، إِلَى أَنْ تَأَوَّلَهُ بِالْمَجْهُولِ مِنْ تَأْوِيلِهِ الْمُسْتَنْكَرِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْجُ مِمَّا هَرَبَ مِنْهُ . فَيُقَالُ لَهُ : زَعَمْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ : ﴿اسْتَوَى﴾ أَقْبَلَ ، أَفَكَانَ مُدْبِراً عَنِ السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا ؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِإِقْبَالِ فِعْلٍ وَلَكِنَّهُ إِقْبَالُ تَدْبِيرٍ ، قِيلَ لَهُ : فَكَذَلِكَ فَقُلْ : عَلَا عَلَيْهَا عُلُوَّ مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ لَا عُلُوَّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ . ثُمَّ لَنْ يَقُولُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّا كَرِهْنَا إِطَالَةَ الْكِتَابِ بِمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ لَأَنْبَأْنَا عَنْ فَسَادِ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ قَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا لِقَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ فِيهِ مُخَالِفاً ، وَفِيمَا بَيَّنَّا مِنْهُ مَا يُشْرِفُ بِذِي الْفَهْمِ عَلَى مَا فِيهِ لَهُ الْكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١/ ٢٥٧-٢٥٨) .

وقال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) :"وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾﴿البقرة: ١١٥﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ: فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ، يَعْنِي بِذَلِكَ: وَجْهَهُ الَّذِي وَجَّهَهُمْ إِلَيْهِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾﴿البقرة: ١١٥﴾ قَالَ: قِبْلَةُ اللهِ" . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢/ ٤٥٩) .

وقال الإمام الطَّبري: " اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾﴿طه: ٣٩﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَلِتُغَذَّى وَتُرَبَّى عَلَى مَحَبَّتِي وَإِرَادَتِي .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾﴿ طه: ٣٩﴾ قَالَ: هُوَ غِذَاؤُهُ، وَلْتُغَذَّى عَلَى عَيْنِي .

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾﴿ طه: ٣٩﴾ قَالَ: جَعَلَهُ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ يَنْعَمُ وَيَتْرَفُ غِذَاؤُهُ عِنْدَهُمْ غِذَاءُ الْمَلِكِ، فَتِلْكَ الصَّنْعَةُ وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَأَنْتَ بِعَيْنِي فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾﴿ طه: ٣٩﴾ قَالَ: أَنْتَ بِعَيْنَيَّ إِذْ جَعَلَتْكَ أُمُّكَ فِي التَّابُوتِ، ثُمَّ فِي الْبَحْرِ، وَ ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾﴿ طه: ٤٠﴾ وَقَرَأَ ابْنُ نَهِيكٍ: «وَلِتَصْنَعَ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَأَوَّلَهُ .

كَمَا: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَهِيكٍ، يَقْرَأُ «وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَلْتُعْمَلَ عَلَى عَيْنِي قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا أَسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِغَيْرِهَا ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾﴿ طه: ٣٩﴾ بِضَمِّ التَّاءِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهَا. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِهِ التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلَهُ قَتَادَةُ، وَهُوَ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾﴿ طه: ٣٩﴾ وَلِتُغَذَّى عَلَى عَيْنِي، أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ الْمَحَبَّةَ مِنِّي. وَعَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى عَيْنِي﴾﴿ طه: ٣٩﴾ بِمَرْأَى مِنِّي وَمَحَبَّةً وَإِرَادَةً " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٦/ ٥٩-٦٠) .

وقال الإمام الطَّبري : "وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾﴿ الزمر: ٥٦﴾ يَقُولُ عَلَى مَا ضَيَّعْتُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ، وَقَصَرْتُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يَقُولُ: «فِي أَمْرِ اللَّهِ» .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ:**﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ قَالَ: «فِي أَمْرِ اللَّهِ» .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ، قَالَ ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ قَالَ: «تَرَكْتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٠/ ٢٣٤-٢٣٥) .

وقال الإمام الطَّبري :"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾**﴿القلم: ٤٣﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: يَبْدُو عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: هُوَ يَوْمُ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ وَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا سَجَدَ، وَيَقْسُو ظَهْرُ الْكَافِرِ فَيَكُونُ عَظْمًا وَاحِدًا .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: يُكْشَفُ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَلَا تَسْمَعُ الْعَرَبَ تَقُولُ:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ يَقُولُ: حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ، وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ، وَكَشْفُهُ: دُخُولُ الْآخِرَةِ وَكَشْفُ الْأَمْرِ عَنْهُ.

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثنا مُعَاوِيَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارِبِيُّ وَابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ وَجِدِّهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: عَنْ أَمْرٍ فَظِيعٍ جَلِيلٍ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ قَالَ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ.

حُدِّثْتُ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ، يَقُولُ: ثنا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ:

شَمَّرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ، يَعْنِي إِقْبَالَ الْآخِرَةِ وَذَهَابَ الدُّنْيَا " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٣/ ١٨٦-١٨٩) .

وقال الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) : " ... وَفِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو نَصْرِ بْنُ قَتَادَةَ مِنْ كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيِّ حِكَايَةً عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ (٢٠٣هـ) أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : " حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ " ، أَيْ : مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٩٠) .

وقال الإمام البيهقي أيضاً في كلامه على حديث : " لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا " : " قَالَ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦هـ) : مَعْنَى الضَّحِكِ : الرَّحْمَةُ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٣٨٨هـ) : قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللهِ قَرِيبٌ ، وَتَأْوِيلُهُ عَلَى مَعْنَى الرِّضَى لِفِعْلِهِمَا أَقْرَبُ وَأَشْبَهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الضَّحِكَ مِنْ ذَوِي التَّمْيِيزِ يَدُلُّ عَلَى الرِّضَى وَالْبِشْرِ ، وَالِاسْتِهْلَالُ مِنْهُمْ دَلِيلُ قَبُولِ الْوَسِيلَةِ ، وَمُقَدِّمَةُ إِنْجَاحِ الطَّلِبَةِ ، وَالْكِرَامُ يُوصَفُونَ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ اللِّقَاءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : " يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ" ؛ أَيْ : يُجْزِلُ الْعَطَاءَ لَهُمَا ؛ لِأَنَّهُ مُوجَبُ الضَّحِكِ وَمُقْتَضَاهُ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٤٠٢) .

وقال الإمام البيهقي أيضاً : " وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ﴾**﴿البقرة: ١١٥﴾ ، فَقَدْ حَكَى الْمُزَنِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ (٢٠٤هـ) رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : يَعْنِي وَاللهُ أَعْلَمُ : فَثَمَّ الْوَجْهُ الَّذِي وَجَّهَكُمُ اللهُ إِلَيْهِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٠٦) .

وقال أيضاً : " وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو بَكْرٍ الْقَاضِي قَالَا: ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ، ثنا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**﴿البقرة: ١١٥﴾ قَالَ: قِبْلَةُ اللهِ فَأَيْنَمَا كُنْتَ فِي شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ فَلَا تَوَجَّهَنَّ إِلَّا إِلَيْهَا " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٠٦) .

وقال الإمام البغوي(٥١٠هـ) في كلامه على قول الله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾﴿الفجر: ٢٢﴾ : " قَالَ الْحَسَنُ (١١٠هـ) : جَاءَ أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ (١٤٦) : يَنْزِلُ حكمه " . انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٥/ ٢٥٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي(٥٩٧هـ) في كلامه على حديث : " لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ " .

قلت : الواجب علينا أن نعتقد أنَّ ذات الله تعالى لا تتبعَّض ، ولا يحويها مكان ، ولا توصف بالتَّغيُّر ولا بالانتقال .

وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري(١١٠هـ) أنَّه قال : القَدَم هُمُ الذين قدَّمَهُم الله تعالى من شِرَار خلقه وأثبتهم لها " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٧٠) .

وقال أيضاً : " قال القاضي أبو يعلى(٤٥٨هـ) عن أحمد بن حنبل(٢٤١هـ) أنَّه قال في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ ﴿البقرة: ٢١٠﴾ : ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ ، قال : المراد به قدرته وأمره ، قال : وقد بيَّنه في قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾﴿النحل: ٣٣﴾ ، ومثل هذا في القرآن : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾﴿الفجر: ٢٢﴾ ، قال : إنَّما هو قدرته " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٤١) .

وقال أيضاً : " وقال الضَّحَّاك (توفي بعد المائة) وأبو عبيدة (٢٠٩هـ) في قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾﴿القصص : ٨٨﴾ ، أي : إلَّا هو " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١١٣) .

قلت : وقد ذكر الإمام علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان(٦٢٨هـ) إجماع الأمَّة على أنَّ مجيئ الله تعالى ليس بحركة ولا انتقال ، فقال : " وأجمعوا أنَّه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفَّاً صفَّاً ، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها ، فيغفر لمن يشاء من المؤمنين ، ويعذِّب منهم من يشاء كما قال ، وليس مجيئه بحركة ولا انتقال " . انظر : الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٤٤) .

وقال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) في كلامه على :"قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَأْتِيَهُم﴾ : " أَيْ : أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ ، قَالَهُ الْحَسَنُ (١١٠هـ) . وَهُوَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ . وَقِيلَ : أَيْ : جَاءَهُمُ الرَّبُّ بِالْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ ﴿البقرة: ٢١٠﴾ ، أَيْ بِظُلَلٍ . وَقِيلَ : جَعَلَ مَجِيءَ الْآيَاتِ مَجِيئاً لَهُ ، تَفْخِيماً لِشَأْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ : " يَا بْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، وَاسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، وَاسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي" . أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ برقم ٢٥٦٩) مع تقديم وتأخير للكلام .

وَقِيلَ : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ، أَيْ زَالَتِ الشُّبَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَصَارَتِ الْمَعَارِفُ ضَرُورِيَّةً ، كَمَا تَزُولُ الشُّبَهُ وَالشَّكُّ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَ يُشَكُّ فِيهِ" . انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (٢٠/ ٥٥) .

وقال الإمام ابن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) نقلاً عن ابن تيمية : " فأحضر بعض أكــابرهم كتاب الْأَسْمَاء وَالصِّفَات للبيهقي ، فَقَالَ : هَذَا فِيهِ تَأْوِيل الْوَجْه عَن السَّلف . فَقلت : لَعَلَّك تَعْنِي قَوْله تَعَالَى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ ﴿البقرة: ١١٥﴾ ، فَقَالَ : نعم ، قد قَالَ مُجَاهِد وَالشَّافِعِيّ يَعْنِي : قبْلَة الله .

فَقلت : نعم ، هَذَا صَحِيح عَن مُجَاهِد وَالشَّافِعِيّ وَغَيرهمَا ، وَهَذَا حقٌّ ، وَلَيْسَت هَذِه الْآيَة من آيَات الصِّفَات ، وَمن عدَّهَا فِي الصِّفَات فقد غلط ، كَمَا فعل طَائِفَة ، فان سِيَاق الْكَلَام يدلُّ على الْمُرَاد حَيْثُ قَالَ : ﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ ﴿البقرة: ١١٥﴾ ، والمشرق وَالْمغْرب الْجِهَات ، وَالْوَجْه هُوَ الْجِهَة ، يُقَال : أَي وَجه تُرِيدُ ، أَي : أَي جِهَة ، وَأَنا أُرِيد هَذَا الْوَجْه ، أَي : هَذِه الْجِهَة ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ ﴿البقرة: ١٤٨﴾ ، وَلِهَـذا قَالَ : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ ﴿البقرة: ١١٥﴾ ، أَي : تستقبلوا وتتوجَّهوا ، وَالله أعلم" . انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٢٦٣-٢٦٤) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وَقَالَ مَعْدَانُ – الَّذِي يَقُوْلُ فِيْهِ ابْنُ المُبَارَكِ : هُوَ مِنَ الأَبْدَالِ –: سَأَلْتُ الثَّوْرِيَّ (١٦١هـ) عَنْ قَوْلِهِ : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾﴿الحَدِيْدُ: ٤﴾ ، قَالَ : عِلْمُهُ" . انظر : سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٤) .

وقال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) : " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ عَنْ حَنْبَلٍ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (٢٤١هـ) تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾﴿الفجر: ٢٢﴾ أَنَّهُ جَاءَ ثَوَابُهُ . ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ !!! " . انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٦١) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وَقَدْ تَأَوَّلَ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦هـ) الضَّحِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَهُوَ قَرِيبٌ ، وَتَأْوِيلُهُ عَلَى مَعْنَى الرِّضَا أَقْرَبُ ، فَإِنَّ الضَّحِكَ يَدُلُّ على الرِّضَا وَالْقَبُول ، قَالَ : والكرام يوصفون عِنْد مَا يَسْأَلُهُمُ السَّائِلُ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ اللِّقَاءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : " يَضْحَكُ اللَّهُ " ، أَيْ : يُجْزِلُ الْعَطَاءَ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠) .

وقال الإمام علي القارّي (١٠١٤هـ) :"... وَكَذَلِكَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٦١هـ) أَوَّلَ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ بِقَصْدِ أَمْرِهِ ، وَنَظِيرُهُ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾﴿البقرة: ٢٩﴾ ، أَيْ : قَصَدَ إِلَيْهَا " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٢٤) .

وقال الشَّيخ علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، قال: "لقد نظرت فوجدت أنَّ هذه الآيات على ثلاثة أشكال :

١ . آيات وردت على سبيل الإخبار من الله كقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾﴿طه:٥﴾ ، فنحن لا نقول : إنَّه ما استوى ، فنكون قد نفينا ما أثبته الله ، ولا نقول : إنَّه استوى على العرش كما يستوي القاعد على الكرسي ، فنكون قد شبَّهنا الخالق بالمخلوق ، ولكن نؤمن بأنَّ هذا هو كلام الله ، وأنَّ لله مراداً منه لم نفهم حقيقته وتفصيله ، لأنَّه لم يبيِّن لنا مفصَّلاً ، ولأنَّ العقل البشري – كما قدَّمنا – يعجز عن الوصول إلى ذلك بنفسه .

٢. آيات وردت على الأسلوب المعروف عند علماء البلاغة بالمشاكلة ، والمشاكلة هي كقول القائل:

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمَيْصَاً

وقول أبي تمام في وقعة عموريَّة ، يردُّ على المنجِّمين الذين زعموا أنَّ النَّصر لا يجيء إلَّا عند نضج التِّين والعنب :

تِسْعُونَ أَلْفاً كآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ   جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التينِ والعِنَبِ

والآيات الواردة على هذا الأسلوب كثيرة ، كقوله تعالى : **﴿نَسُوا اللهَّ فَنَسِيَهُمْ﴾**﴿التوبة: ٦٧ ﴾ فكلمة **﴿نَسُوا﴾** جاءت على المعنى (القاموسي) للنِّسيان . وهو غياب المعلومات عن الذَّاكرة . ولكن كلمة **﴿فَنَسِيَهُمْ﴾** جاءت مشاكلة لها ، ولا يراد منها ذلك المعنى ، لأنَّ الله لا ينسى : **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾**﴿مريم: ٦٤ ﴾ ، ونقول بعبارة أخرى : أنَّ كلمة **﴿نَسُوا﴾** استُعملت بالمعنى الذي وضعت له . وكلمة **﴿فَنَسِيَهُمْ﴾**﴿التوبة:٦٧﴾ استعملت بغير هذا المعنى . ومثلها قوله : **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾**﴿الحديد: ٤ ﴾ اتفق الجميع على أنَّها معيَّة علم لا معيَّة ذات ، لأنَّ صدر الآية ينصُّ على أنَّ الله استوى على العرش .

مثلها قوله : **﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾**﴿الرحمن: ٣١ ﴾ ، وقوله : **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُّ﴾**﴿آل عمران: ٥٤﴾ ، وقوله : **﴿يُخادِعُونَ اللهَّ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾**﴿النساء: ١٤٢﴾ .

كلّ هذه الآيات لا يجوز فهمها بالمعنى القاموسي ، الماديّ ، بل بمعنى يليق به جلَّ وعلا .

٣. آيات دلَّت على المراد منها آيات أخرى . كقوله تعالى: **﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهَّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾**﴿المائدة: ٦٤ ﴾ . تدلُّ على المراد منها آية : **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾**﴿الإسراء: ٢٩﴾ . ويفهم منها أنَّ بسط اليد يراد به الكرم والجود ، ولا يستلزم ذلك ، بل يستحيل أن يكون لله تعالى يدان كأيدي النَّاس والحيوان ، تعالى الله عن ذلك . وقد جاء في القرآن قوله : **﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾**﴿الأعراف: ٥٧ ﴾ ، و **﴿بَيْنَ**

يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴿سبأ: ٤٦ ﴾ . والقرآن **﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾**﴿فصلت: ٤٢﴾ ، وليس للرَّحمة ولا للعذاب ولا للقرآن ، يدان حقيقيَّتان " ......

وفي كتابنا " إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأْوِيْلَاتِ السَّلَف " ذكرنا من تأويلات السَّلف الصَّالح ما فيه الغُنية والبرهان على أنَّ السَّلف أوَّلوا الكثير من النُّصوص القرآنيَّة والنَّبويَّة ... والتي من شأنها أن تصفع وتُلجم المُتسلِّفة بلجام الحقِّ ... وليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال .

وقال الإمام ابن تيمية كما في " كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية"(٢٤/ ٣٧٣) :"قال تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ﴾**﴿القلم:٤٢-٤٣﴾ ، وقد ثبت في الصَّحيح من غير وجه عن النَّبي أنَّه قال : "يتجلَّى الله لعباده في الموقف إذا قيل ليتبع كلُّ قوم ما كانوا يعبدون فيتبع المشركون آلهتهم وتبقى المؤمنون فيتجلَّى لهم الرَّب الحقّ في غير الصُّورة التي كانوا يعرفون فينكرونه ثمَّ يتجلَّى لهم في الصُّورة التي يعرفون فيسجد له المؤمنون وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون" ، وذلك قوله : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** الآية" .

قلت : والحديث بهذه الصِّيغة التي ذكرها ابن تيمية لم أجده في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ...

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى"(٦/ ٣٩٤-٣٩٥) :"... وَتَمَامُ هَذَا أَنِّي لَمْ أَجِدْهُمْ تَنَازَعُوا إلَّا فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** ، فَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَائِفَة أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الشِّدَّةُ أَنَّ اللَّهَ يُكْشَفُ عَنْ الشِّدَّةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَطَائِفَةٍ أَنَّهُمْ عَدُّوهَا فِي الصِّفَات؛ لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ مِنْ الصِّفَات فَإِنَّهُ قَالَ: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾** نَكِرَةٌ فِي الْإِثْبَاتِ لَمْ يُضِفْهَا إلَى اللَّهِ ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ سَاقِهِ ، فَمَعَ عَدَمِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ لَا يَظْهَرُ أَنَّهُ مِنْ الصِّفَاتِ إلَّا بِدَلِيلِ آخَرَ ، وَمِثْلُ هَذَا لَيْسَ بِتَأْوِيلِ إنَّمَا التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْآيَةِ عَنْ مَدْلُولِهَا وَمَفْهُومِهَا وَمَعْنَاهَا الْمَعْرُوفِ؛ وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ اللَّفْظَ عَلَى مَا لَيْسَ مَدْلُولًا لَهُ ثُمَّ يُرِيدُونَ صَرْفَهُ عَنْهُ وَيَجْعَلُونَ هَذَا تَأْوِيلًا، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ وَجْهَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ" .

وابن تيمية هنا يعترف بأنَّ السَّاق الوارد في الآية الكريمة مؤوَّل بالشِّدَّةُ ، وأَنَّ اللهَّ تَعَالَى يكْشفُ عَنْ الشِّدَّةِ فِي الْآخِرَةِ ، وأنَّ هذا التَّأويل وارد عن حبر الأمَّة وترجمان القرآن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ... ومع ذلك صَدَفَ عنه وخَالفه ليُكمل صُورة الشَّابِّ الأمرد ، حتَّى لو اقتضى الأمر الذَّهاب إلى كُتُبِ أهل الكتاب يستدلُّ بها على عقائده ، كما فعل ذلك غير مرَّة ...

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " اجتماع الجيوش الإسلامية"(٢/ ٨١) :" قَوْلَهُ تَعَالَى:**﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**﴿القلم: ٤٢﴾ ، وَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَوْلَهُ فِي الْحَدِيثِ: " فَيكْشفُ عَنْ سَاقِهِ" ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ تُبَيِّنُ الْمُرَادَ بِالسَّاقِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ" .

قلت : فابن تيمية وابن القيِّم وأشياعهما جعلوا رواية " فَيكْشفُ عَنْ سَاقِهِ "شارحة وموضِّحة للسَّاق الواردة في كتاب الله تعالى ... مع أنَّهم لم يقبلوا أن يكون المراد بالإتيان الوارد في قوله تعالى : **﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾**﴿النحل:٣٣﴾ تفسيراً للإتيان الوارد في قوله تعالى : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾**﴿البقرة:٢١٠﴾ ؟!!! ... مع العلم أنَّ جمهور السَّلف – كما هو معلوم – ذهبوا في كلامهم على إتيان الربِّ الوارد في قوله تعالى : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾**﴿البقرة : ٢١٠﴾ ، وقوله تعالى : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾**﴿الأنعام : ١٥٨﴾ إلى السُّكوت عن تفسير ذلك ، وتفويض العلم فيه إلى الله تعالى ، وقالوا : قراءتها تفسيرها ...بينما ذهب جمهور الخلف إلى أنَّ الإتيان المضاف إلى الله تعالى مجاز ، والمراد به : إتيان عذابه العظيم ، فهو لعظيم هوله جعل إتيانه مسنداً إلى الآمر به أمراً جازماً ، ليعرف مقدار عظمته ، بحسب عظيم قدرة فاعله وآمره ، فالإسناد مجازي من باب : بنى الأمير المدينة ، وضرب الوالي اللصَّ ، وهذا مجاز وارد مثله في القرآن ، كقوله تعالى : **﴿فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾**﴿الحشر : ٢﴾ ، ويجوز أن يكون المراد بإتيانه تعالى : إتيان

أمره كما قال سبحانه : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾﴿النحل : ٣٣﴾ ، والمعنى : إتيان أمره بحساب النَّاس يوم القيامة ...

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في "الصَّواعق المرسلة في الرَّدِّ على الجهميَّة والمعطِّلة"(١/ ١٤٤-١٤٥):"أين في ظاهر القرآن إثبات ساق واحد لله وجنب واحد ، فإنَّه سبحانه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم٤٢﴾ ، وقال : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾﴿الزمر٥٦﴾ فعلى تقدير أن يكون السَّاق والجنب من الصِّفات ، فليس من ظاهر القرآن ما يوجب أنَّه لا يكون له إلَّا ساق واحد وجنب واحد ، فلو دلَّ على ما ذكرت لم يدل على نفي ما زاد على ذلك لا بمنطوقه ولا بمفهومه ، حتَّى إنَّ القائلين بمفهوم اللقب لا يدلُّ ذلك عندهم على نفي ما عدا المذكور ، لأنَّه متى كان للتَّخصيص بالذِّكر سبب غير الاختصاص بالحكم لم يكن المفهوم مراداً بالاتِّفاق ، وليس المراد بالآيتين إثبات الصِّفة حتَّى يكون تخصيص أحد الأمرين بالذِّكر مراداً بل المقصود حكم آخر وهو بيان تفريط العبد في حقِّ الله وبيان سجود الخلائق إذا كشف عَنْ سَاقٍ ، وهذا حكم قد يختصُّ بالمذكور دون غيره فلا يكون له مفهوم.

الرَّابع: هب أنَّه سبحانه أخبر أنَّه يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ واحدة ، هي صفة فمن أين في ظاهر الآية أنَّه ليس له إلَّا تلك الصِّفة الواحدة ، وأنت لو سمعت قائلاً يقول : كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتي وعن ساقي أو قدمي أو يدي هل يفهم منه أنَّه ليس له إلَّا ذلك الواحد فقط" .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في " الصَّواعق المرسلة في الرَّد على الجهميَّة والمعطلة"(١/ ٥-٢٥٣):"من أين في ظاهر القرآن أن لله ساقا وليس معك إلَّا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾﴿القلم٤٢﴾ ، والصَّحابة متنازعون في تفسير الآية : هل المراد الكشف عن الشدَّة أو المراد بها أنَّ الرَّب تعالى يكْشفُ عن ساقه ، ولا يُحفظ عن الصَّحابة والتَّابعين نزاع فيما يذكر أنَّه من الصِّفات أم لا في غير هذا الموضع ، وليس في ظاهر القرآن ما يدلُّ على أنَّ ذلك صفة لله ، لأنَّه سبحانه لم يضِف السَّاق إليه ، وإنَّما ذكره مجرَّداً عن الإضافة منكَّراً ، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين

والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن ، وإنَّما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتَّفق على صحَّته ، وهو حديث الشَّفاعة الطَّويل ، وفيه : " فيكشف الرَّبُّ عن ساقه فيخرُّون له سُجَّداً" ، ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾**﴿القلم٤٢﴾ مطابق لقوله : " فيكشف عن ساقه فيخرُّون له سجَّدا" ، وتنكيره للتَّعظيم والتَّفخيم ، كأنَّه قال : يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ عظيمة جلَّت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه ، قالوا : وحمل الآية على الشدَّة لا يصحُّ بوجه ، فإنَّ لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشفت الشدَّة عن القوم لا كشف عنها ، كما قال الله تعالى : **﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾**﴿الزخرف٥٠﴾ ، وقال : **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾**﴿المؤمنون٧٥﴾ ، فالعذاب والشدَّة هو المكشوف لا المكشوف عنه ، وأيضاً فهناك تحدث الشدَّة وتشتدُّ ، ولا تُزال إلَّا بدخول الجنَّة ، وهناك لا يدعون إلى السُّجود ، وإنَّما يدعون إليه أشدّ ما كانت الشدَّة" .

وكلام ابن القيِّم هذا ترديد لما قاله ابن تيمية سابقاً ... فهو لا يخرج عمَّا قاله قيْد أُنملة ، وهو ناشر علمه، والمنتصر له في أغلب أقواله ، والملتزم بآرائه وفتاويه ، لدرجة أنَّه ما كان يناقشه البتَّة ... ولدرجة أنَّه غلا فيه غلوًّاً فاحشاً ... فقد قال عن شيخه ابن تيمية في كتابه " مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين"(٢/٤٥٨-٤٥٩) : " وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ فِرَاسَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ – أُمُورًا عَجِيبَةً. وَمَا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْهَا أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ. وَوَقَائِعُ فِرَاسَتِهِ تَسْتَدْعِي سِفْرًا ضَخْمًا.

أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِدُخُولِ التَّتَارِ الشَّامَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأَنَّ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ تُكْسَرُ، وَأَنَّ دِمَشْقَ لَا يَكُونُ بِهَا قَتْلٌ عَامٌّ وَلَا سَبْيٌ عَامٌّ، وَأَنَّ كَلَبَ الْجَيْشِ وَحِدَّتَهُ فِي الْأَمْوَالِ. وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَهُمَّ التَّتَارُ بِالْحَرَكَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ النَّاسَ وَالْأُمَرَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ لَمَّا تَحَرَّكَ التَّتَارُ وَقَصَدُوا الشَّامَ: أَنَّ الدَّائِرَةَ وَالْهَزِيمَةَ عَلَيْهِمْ. وَأَنَّ الظَّفَرَ وَالنَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ. وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ يَمِينًا. فَيُقَالُ لَهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ

اللهُ. فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيَّ. قُلْتُ: لَا تُكْثِرُوا. كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ فِي هَذِهِ الْكَرَّةِ. وَأَنَّ النَّصْرَ لِجُيُوشِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: وَأَطْمَعَتْ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ وَالْعَسْكَرِ حَلَاوَةُ النَّصْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إِلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وَكَانَتْ فِرَاسَتُهُ الْجُزْئِيَّةُ فِي خِلَالِ هَاتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ مِثْلَ الْمَطَرِ.

وَلَمَّا طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأُرِيدَ قَتْلُهُ - بَعْدَمَا أُنْضِجَتْ لَهُ الْقُدُورُ، وَقُلِّبَتْ لَهُ الْأُمُورُ - اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ لِوَدَاعِهِ. وَقَالُوا: قَدْ تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ بِأَنَّ الْقَوْمَ عَامِلُونَ عَلَى قَتْلِكَ. فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا. قَالُوا: أَفَتُحْبَسُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَطُولُ حَبْسِي. ثُمَّ أَخْرُجُ وَأَتَكَلَّمُ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ.

وَلَمَّا تَوَلَّى عَدُوُّهُ الْمُلَقَّبُ بِالْجَاشِنْكِيرِ الْمُلْكَ أَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ. وَقَالُوا: الْآنَ بَلَغَ مُرَادَهُ مِنْكَ. فَسَجَدَ للهِ شُكْرًا وَأَطَالَ. فَقِيلَ لَهُ: مَا سَبَبُ هَذِهِ السَّجْدَةِ؟ فَقَالَ: هَذَا بِدَايَةُ ذُلِّهِ وَمُفَارَقَةُ عِزِّهِ مِنَ الْآنِ، وَقُرْبُ زَوَالِ أَمْرِهِ. فَقِيلَ: مَتَى هَذَا؟ فَقَالَ: لَا تُرْبَطُ خُيُولُ الْجُنْدِ عَلَى الْقُرْطِ حَتَّى تُغْلَبَ دَوْلَتُهُ. فَوَقَعَ الْأَمْرُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ بِهِ. سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَقَالَ مَرَّةً: يَدْخُلُ عَلَيَّ أَصْحَابِي وَغَيْرُهُمْ. فَأَرَى فِي وُجُوهِهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ أُمُورًا لَا أَذْكُرُهَا لَهُمْ.

فَقُلْتُ لَهُ - أَوْ غَيْرِي - لَوْ أَخْبَرْتَهُمْ؟ فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ أَكُونَ مُعَرِّفًا كَمُعَرِّفِ الْوُلَاةِ؟

وَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: لَوْ عَامَلْتَنَا بِذَلِكَ لَكَانَ أَدْعَى إِلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالصَّلَاحِ. فَقَالَ: لَا تَصْبِرُونَ مَعِي عَلَى ذَلِكَ جُمُعَةً، أَوْ قَالَ: شَهْرًا.

وَأَخْبَرَنِي غَيْرَ مَرَّةٍ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ تَخْتَصُّ بِي مِمَّا عَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانِي.

وَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِ حَوَادِثَ كِبَارٍ تَجْرِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَلَمْ يُعَيِّنْ أَوْقَاتَهَا. وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ بَقِيَّتَهَا.

وَمَا شَاهَدَهُ كِبَارُ أَصْحَابِهِ مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا شَاهَدْتُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ" .

ولو قال بهذا الكلام أشعري أو صوفي ... لانهالوا عليه بالتَّبديع والتَّضليل والتَّكفير ... مع أنَّ كلامه عنه مخالف لنصوص القرآن الكريم التي تحصر علم الغيب بالله عزَّ وجلَّ ، ولكن :

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

وَلَستُ بِهَيّابٍ لِمَن لا يَهـــــابُني ... وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ مـا لا يَرى لِيا

وقال إمامهم عبدالعزيز الرَّاجحي في "شرح كتاب التَّوحيد من صحيح البخاري"(ص٧٠) : "قوله: (فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ): هذا فيه إثبات السَّاق لله عزَّ وجلَّ، وأنَّ لله تعالى ساق لا تُشبه صفة المخلوق، والحديث صريح في ذلك؛ لقوله: "فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ" . وأمَّا الآية الكريمة: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾** ، فلا تدلُّ على إثبات الصِّفة وحدها، لكن إن ضممت إليها الحديث، دلَّت على إثبات صفة السَّاق، كما قرَّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم.

والسَّاق صفة لله -تعالى- وعلامة بينه وبين المؤمنين، فإذا كشف لهم عن ساقه سجد له المؤمنون. وأهل البدع !!! أنكروا هذا أشدَّ الإنكار، وقالوا: إنَّ معنى السَّاق كناية عن شدَّة الأمر، واستدلُّوا بقول العرب: (كَشَفَتِ الحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا) ، أي: عن شدَّتها. والجواب عن ذلك أن نقول: نعم، تأتي السَّاق في اللغة العربيَّة بمعنى الشدَّة، لكن المراد بها في الحديث الصِّفة !!!" .

والجواب على ما قاله الرَّاجي : أنَّ الحديث الذي استدلَّ به على كون السَّاق صفة لله تعالى حديث معلول شاذٌّ ، وقد تكلَّم عليه أهل العلم وحكم البعضُ بنكارته ، ، وقد قدَّمنا بعضاً من كلامهم ... ثمَّ هو حديث آحاد ... والآحاد لا يجوز الاحتجاج بها في العقيدة ، وقد حكم بذلك جمهور أهل العلم ... وقد فصَّلناه تفصيلاً في كتابنا : "الإِمْدَادُ وَالإِسْعَادُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِالآحَادِ فِي الاعْتِقَاد" ، وقد سبق بيان ذلك ...

الفَصْلُ الثَّانِي

حَقِيْقَةُ الجَنْبِ المُضَاف إِلَى اللهِ تَعَالَى

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدَةُ فِي الجَنْب .

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي الجَنْبِ الوَارِدَ الكِتَابِ وَالسُّنَّة وَتَأْوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَه.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : عَقِيْدَةُ بَعْضِ المُتَسَلِّفَةِ فِي الجَنْب .

📖 المَبْحَثُ الأَوَّلُ 📖

الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ وَالأَثَارُ الوَارِدَةُ فِي الجَنْب

ورد لفظ الجَنْب في القرآن الكريم غير مرَّة ...قال الفيروزآبادي في"بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز" (٢/ ٣٩٧-٣٩٩) :" بَصِيْرَةٌ فِي الجَنْبِ :

وأَصله الجارحة، وجمعه جُنُوب ثمَّ يُستعار في النَّاحية الَّتي تليها، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح كذلك؛ نحو اليمين والشِّمال ، وقيل: جَنْب الحائط وجانبه ، **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾** ، أَي : القريب ، وقيل : كناية عن المرأَة، وقيل: عن الرَّفيق في السَّفر، قوله : **﴿وَالجَارِ الجُنُبِ﴾** ، أي : القريب ، وقوله : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أَي : في أَمره وحدّه الَّذي حَدّهُ لنا ...

والجَنْب وما اشتقَّ من هذه المادَّة ورد في القرآن على أَنحاءٍ:

الأَوَّلُ: الجَنْب بمعنى الأَمر **﴿عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾** ، أَي : في أَمر الله.

الثَّانِيْ: جُنُوب المقصِّرين في أَداءِ الزَّكاة **﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾** .

الثَّالِثُ: جنب المشتاقين إِلى اللِّقاءِ **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾** .

الرَّابِعُ: جَنْب المشتغلين بذكر الحقّ تعالى **﴿يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوْداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾** .

الخَامِسُ: الجَنْب بمعنى العصمة **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَّعْبُدَ الأَصْنَام﴾** .

السَّادِسُ: بمعنى الجنابة **﴿وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيْلٍ﴾** ، وبمعنى الأَجنبيِّ البعيد من النِّسبة والقرابة ، **﴿وَالجَارِ الجُنُبِ﴾** .

السَّابِعُ: التَّجنُّب ، أَي : تبعد أَبي جهل عن موعظة القرآن **﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾** .

الثَّامِنُ: بمعنى صيانة الله تعالى أَبا بكرٍ من العذاب **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾** .

التَّاسِعُ: الأَمر بالتَّباعد عن عبادة الأَوثان **﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾** .

العَاشِرُ: الأَمر بالتَّباعد عن الزُّور والبهتان **﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّوْرِ﴾** .

الحَادِي عَشَرَ: الأَمر بالتَّباعد عن شُرب الخمر **﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوْه﴾** .

الثَّانِي عَشَرْ: الأَمر بالتَّوقِّي عن سوءِ الظَّنّ في حقِّ المؤمنين ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّن**﴾ .

الثَّالِثُ عَشَرْ: في الثَّناءِ على المتبعِّدين من الكبائر والفواحش ﴿**الذِيْنَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْم وَالفَوَاحِش**﴾ ، ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُم**﴾ .

والآية التي سنتكلَّم عنها في هذا الكتاب هي قوله تعالى : ﴿**أَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾﴿الزمر:٥٦﴾ .

وفي السُّنَّة المطهَّرة وأقوال السَّلف الصَّالح ورد لفظ الجنب مضافاً إلى الله تعالى غير مرَّة ...

قال الحاكم في "المستدرك على الصَّحيحين"(٢/ ٤٧٣ برقم ٣٦٢٩) : "حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُزَكِّي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْجُرَشِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ يُونُسَ، ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : "كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَّ هَدَانِي فتكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ، وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللهَّ هَدَانِي فَيَكُونُ لَهُ شُكْرٌ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ : ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ**﴾ . «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي في التَّلخيص» .

وقال ابن أبي أسامة في "بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث"(٢/ ٦٦٠ برقم ٦٣٦) : "حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ ، أَنْبَأَ جُوَيْبِرٌ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ جَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَكُلُّ قَتِيلٍ فِي جَنْبِ اللهَّ فَهُوَ شَهِيدٌ» .

وقال البيهقي في"البعث والنُّشور"(١/ ١٧٠ برقم ٢٤٣) :"أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ، ثنا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُزَكِّي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْحَرَسُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ يُونُسَ، ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : " كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ، مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَّ هَدَانِي، فَتكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً، وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ:

لَوْلَا أَنَّ اللهَ هَدَانِي، فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ".

وقَالَ الآجري في "كتاب الأربعون حديثاً" (ص١٥٤ برقم ٢٨) :"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْفِرْيَابِيُّ ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَعْنَاهُ وَاللهُ أَعْلَمُ : إِيمَانًا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابًا يَحْتَسِبُ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَالِامْتِنَاعِ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْأَمَةِ نَهَارًا فِي جَنْبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ" .

وقال أَبُو عُثْمَانَ سَعِيْدُ بنُ مُحَمَّدِ البَحِيْرِيُّ، النَّيْسَابُوْرِيُّ(٤٥١هـ) في" الثَّالث من فوائد أبي عثمان البحيري" (ص١٩ برقم ١٨/ مخطوط):"أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَامِرِيُّ، ثنا عَمِّي، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ دَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ فِي جَنْبِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» . قال الهيثمي في "مجمع الزَّوائد"(٥/ ١٥١ برقم ٤٤٢٣) :" رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، أبنا جويبر، عن الضحاك، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ جَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ فِي جَنْبِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ".

قُلْتُ: مَدَارُ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا عَلَى جُوَيْبِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلْخِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ، ضَعَّفَهُ ابن المديني وأحمد وابن معين والنسائي وعلي بن الجنيد والدَّارقطني وابن عدي وأبو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَالذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُمْ".

وقال ابن أبي شيبة في "المصنَّف"(١٣/ ٣٠٦) : "حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَمْقُتَ النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ ، ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَى نَفْسِكَ فَتَكُونَ أَشَدَّ لَهَا مَقْتًا" .

وقال أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي(٣٣٣هـ) في "المجالسة وجواهر العلم"(٦/ ٢٥٣) :"حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْعُبَّادِ يَقُولُ: مَنْ ذَكَرَ اللهَ عَلَى حَقِيقَةٍ؛ نَسِيَ فِي جَنْبِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ نَسِيَ فِي جَنْبِ اللهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ حَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عِوَضًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" .

وقال اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة"(٣/ ٦٢٧ برقم ١٠١٠) :"أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ، ثنا أَحْمَدُ، ثنا عَبْدُ اللهِ، ثنا مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، **﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**﴿الزمر: ٥٧﴾ ، **﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**﴿الزمر: ٥٨﴾ ، **﴿مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** . فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْهُدَى **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**﴿الأنعام: ٢٨﴾ ، قَالَ: **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**﴿الأنعام: ١١٠﴾ ، قَالَ: لَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا لَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْهُدَى، كَمَا حُلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَوْلُهُ: **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾**﴿الأنعام: ١١١﴾ يَقُولُ مُعَايَنَةً: **﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾**﴿الأعراف: ١٠١﴾ ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّقَاءِ، ثُمَّ قَالَ: **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾**﴿الأنعام: ١١١﴾ ، وَهُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ الَّذِينَ سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ" .

وقال أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"(٥/ ٢١٢) : "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ الْمَرْوَزِيُّ، ثنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، ثنا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، قَالَ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ أَمْثَالَ الْأَبَاعِرِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونُ أَحْقَرَ حَاقِرٍ» . وذكره المزي في تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال (٨/ ١٧١) .

وقال أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"(٩/ ٢٨٥) : "حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَنْطَاكِيِّ، قَالَ: «إِنَّ الْحُكَمَاءَ نَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْقِلَا إِذْ صَحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا تُفْسِدُ عَلَيْهِمْ حِكْمَتَهُمْ،

وَنَظَرُوا إِلَى الْآخِرَةِ بِأَعْيُنِ قُلُوبِهِمْ فَصَيَّرُوا الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ مَعْبَرًا يَجُوزُونَ عَلَيْهَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي الْإِقَامَةِ فِيهَا، وَالْآخِرَةَ مَنْزِلًا لَا يُرِيدُونَ بِهَا بَدَلًا وَلَا عَنْهَا حِوَلًا، فَسَرَحَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَاتَّخَذُوا لِلْمَكْرُوهِ فِي جَنْبِ اللهِ تَعَالَى جُنَّةً، هُمُومُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ. نَظَرُوا بِأَعْيُنِ الْقُلُوبِ وَاسْتَرْبَحُوا دَلَالَاتِ الْعُقُولِ عَلَى جَلْبِ الْهُدَى، نَظَرُوا بِأَعْيُنِ قُلُوبِهِمْ إِلَى الْآخِرَةِ فَأَيْقَنُوا وَاسْتَبْصَرُوا وَنَظَرُوا بِأَعْيُنِ الْوجُوهِ إِلَى الدُّنْيَا فَاعْتَبَرُوا وَانْزَجَرُوا فَاسْتَصْغَرُوا مَا أَحَاطَتْ بِهِ أَعْيُنُ الْوجُوهِ مِنَ الدُّنْيَا وَاسْتَعْظَمُوا مَا أَحَاطَتْ بِهِ عَيْنُ الْقُلُوبِ مِنْ مُلْكِ الْآخِرَةِ» .

وقال البيهقي في "الأسماء والصِّفات"(٢/ ٢٠٩) : "مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِسَائِيُّ، ثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسَ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ يَعْنِي : مَا ضَيَّعْتُ مِنْ أَمْرِ اللهِ .

وقال البيهقي في "شُعب الإيمان"(٢/ ١٨١ برقم ٦٩٥) :"أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ، أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ الْحَنَّاطَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ، وَأَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِي عُثْمَانَ الزَّاهِدُ، حدثنا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ، حدثنا عَبْدُ الله بْنُ مُوسَى الْمُسَيَّبِيُّ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ ذَا النُّونِ يَقُولُ: وَيْحَكَ، مَنْ ذَكَرَ اللهَ عَلَى حَقِيقَةِ ذِكْرِهِ نَسِيَ فِي جَنْبِ الله كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ نَسِيَ فِي جَنْبِ الله كُلَّ شَيْءٍ حَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ ذَا النُّونِ يَقُولُ: " لَا يَزَالُ الْعَارِفُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا متردداً بَيْنَ الْفَقْرِ وَالْفَخْرِ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ افْتَخَرَ وَإِذَا ذَكَرَ نَفْسَهُ افْتَقَرَ وَزَادَ الزَّاهِدُ فِي رِوَايَتِهِ ثُمَّ قَالَ: بِالله فَخْرُنَا وَإِلَى الله فَقْرُنَا " .

وقال الشَّجري الجرجاني في" ترتيب الأمالي الخميسيَّة"(٢/ ١٣٤ برقم ١٨٦٢) :"أَخْبَرَنَا الشَّرِيفُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَسَنِيِّ الْكُوفِيِّ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِي

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عِيسَى الْعَلَوِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُؤَمَّلِ النَّاقِدُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَيْسٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْإِمَامِ الشَّهِيدِ أَبِي الْحُسَيْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنْ قَدَّمَ أَمْرَ اللَّهِ أَمَامَ نَفْسِهِ ، وَقَلْبِهِ، فَدَأَبَ عَلَى الطَّاعَاتِ ، وَاجْتَنَبَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَسَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، لَيْسَ بِالْغَافِلِ ، وَلَا بِسَاهِي، وَلَا الزَّائِغِ، وَلَا الْجَافِي عَنِ الْحَقِّ، وَلَا الرَّاتِعِ فِي الباطل، شكور لله صبور على الأذى في جنب الله، يوالي لله ويعادي لله، يَقُولُ الْحَقَّ لَا تَأْخُذُهُ لَوْمَةُ لَائِمٍ، ثُمَّ قَالَ: وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا ابْتَدَأَنَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا مِنْ حَمْدِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَمِيعِ لُطْفِهِ بِنَا ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَنَا، وَإِنَّا لَا نَبْلُغُ مُنْتَهَى الْحَمْدِ الْوَاجِبِ لَكَ أَبَدًا، إِذَا كَانَ حَمْدُنَا إِيَّاكَ عَلَى مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ حَادِثَةٍ يَجِبُ حَمْدُكَ عَلَيْهَا وَشُكْرُكَ بِهَا، فَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تُوزِعَنَا أَنْ نَحْمَدَكَ ، وَنَشْكُرَكَ ، وَنَرْعَى أَيَادِيَكَ وَمِنَنَكَ ، فَنُطِيعَكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا، وَنَنْتَهِيَ عَنْ جَمِيعِ الَّذِي نَهَيْتَنَا عَنْهُ فَنَكُونَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُسْتَخْلَصِينَ لِذِكْرِكَ ، وَعِبَادَتِكَ، وَالْمُخْبِتِينَ لَكَ، وَالْمُسْتَجِيبِينَ إِلَى دَعْوَتِكَ، الْخَالِدِينَ فِي دَارِ السَّلَامِ" .

وقال عبد الله بن المبارك في الزُّهد"(١/ ٩٩ برقم ٢٩٥) :"أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ : أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ : لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ أَمْثَالَ الأَبَاعِرِ ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَتَكُونَ هِيَ أَحْقَرَ حَاقِرٍ" .

وقال أحمد بن حنبل في "الزُّهد" (ص٢٥٥ برقم ٧١٧) :"حدَّثنا عبد الله حدثني أبي حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللهُ : إِنَّكَ لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا ، وَإِنَّكَ لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَمْقُتَ النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ ، ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَى نَفْسِكَ فَتَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا مِنْكَ لِلنَّاسِ" . وأخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (ص٣٠) .

وقال عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدِّمشقي الحنبلي في"التَّوكُّل وسؤال الله عزَّ وجلَّ" (ص٢٠ برقم ٢٥/ مخطوط) :"ثنا أحمد بن مروان ، ثنا محمَّد بن عبد العزيز ، ثنا ابن

عائشة ، قال : قال بعضُ الحُكماء : من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كلَّ شيء ، ومن نسي في جنب الله كلَّ شيء حفظ الله عليه كلّ شيء ، وإذا حفظ الله عليه كلَّ شيء ، كان له عوضاً من كلِّ شيء" . قال ابن حجر في "المطالب العالية" (٩/ ٢٠٠) :"فِيهِ انْقِطَاعٌ".

وقال ابن أبي الدُّنيا في "الجوع"(ص١٨٧ برقم ٣١٧) :"قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ فَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ: " قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: «طُوبَى لِلْمُتَجَوِعِينَ فِي جَنْبِ اللهِ، أُولَئِكَ الْمُكَرَّمُونَ فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ» .

وقال ابن أبي الدُّنيا في "الزُّهد"(ص١٩٠برقم ٤٤٢) :"حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زُهَيْرَ بْنَ نُعَيْمٍ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ فِي غَدِكَ، فَكُنْ فِي يَوْمِكَ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ كُنْتَ فِيهِ كَمَا كُنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَإِنْ لَا يَكُنْ غَدٌ لَكَ لَمْ تَكُ تَأْسَفْ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي جَنْبِ اللهِ".

وقال ابن أبي الدُّنيا في "كلام الليالي والأيام"(ص٣١برقم ٤٠) :"حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زُهَيْرَ بْنَ نُعَيْمٍ، يَقُولُ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ بِيَوْمِكِ وَلَسْتَ بِغَدٍ، فَكِسْ فِي يَوْمِكَ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ فَكُنْ كَمَا كُنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَإِلَّا يَكُ غَدٌ لَكَ لَمْ تَكُنْ تَأْسَفُ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ» .

وقال ابن أبي الدُّنيا في "محاسبة النَّفس"(ص٧٢برقم ٢٣) :"حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا» . وذكره المزي في تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال (٢٢/ ٤٧٤).

🕮 المَبْحَثُ الثَّانِي 🕮

أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي الجَنْبِ الوَارِدَ الكِتَابِ وَالسُّنَّة وَتَأْوِيْلَات بَعْض السَّلفِ لَه

من المعلوم ضرورة أنَّ الله تعالى منزَّه عن الجسميَّة وعن كلِّ صفـات الحوادث ... كالجنْب ، والوجه ،واليد ، والسَّاق ...

وأصل الجنْب والجانب: الجهة المحسوسة للشَّيء، وأطلق على الطَّاعة على سبيل المجاز، حيث شبّهت بالجهة، بجامع تعلُّق كلّ منهما- أي الجانب والطَّاعة- بصاحبه ، إذ الطَّاعة لها تعلُّق بالله تعالى ، كما أنَّ الجهة لها تعلُّق بصاحبها ...والمعنى : يا حسرتا على ما فرَّطت وضيَّعت مِنْ أَمْرِ اللهَّ ، والاعتماد عليه بترك مراعاة حقوقه وملازمة خدمته ، أو في الطَّريق الذي هو طريق اللهَّ الذي دعاني إليه وهو توحيده والإقرار بنبوَّة رسول اللهَّ ﷺ ، وهو الطَّريق الذي يؤدِّي إلى الحقِّ وهو الإيمان ، أو فِي قرب الله عزَّ وَجلَّ من الْجنَّة ، أو ما ضيَّعت من طاعة الله وذكره ، أو أيَّام الدُّنيا التي ضيَّعت العمر فيها فخلت من الثَّواب والجزاء غداً ، أو في سبيل اللهّ ، أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته ، بالأوصل إلى طاعاته ، أو القرآن والعمل به ، أو في طلب القُرب من الله ، أو في الجانب المؤدِّي لرضائه ، كالتَّقصير في الطَّاعات ، ومخالفة الأوامر ، والتَّفريط في حقوق الغير ، وفي كلِّ ما يتعلَّق به حقُّ الله تعالى وحقُّ عباده وحيواناته ... وأغلب هذه التَّأويلات مرويَّة عن بعض السَّلف ، مثل : مجاهد ، والسدِّي ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل ...

ومن أقوال أهل العلم في الجنْب المُضاف إلى الله تعالى :

قال الإمام مجاهد بن جبر المكِّي(١٠٤هـ) في "التَّفسير"(ص٥٨٠) : "أنبأ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نا آدَمُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، يَعْنِي: «مَا ضَيَّعْتُ مِنْ أَمْرِ اللهَّ» .

وقال الإمام أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التَّيمى البصري(٢٠٩هـ) في"مجاز القرآن"(٢/ ١٩٠) : **﴿فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، وفي ذات الله واحد".

وقال الإمام أبو محمَّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري(٢٨٣هـ)في" تفسير التُّستري"(ص١٣٥) :"قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، قال: يعني اشتغلت بعاجل الدُّنيا ولذَّة الهوى ومتابعة النَّفس، وضيَّعت في جنب الله، يعني في ذات الله القصد إليه، والاعتماد عليه بترك مراعاة حقوقه وملازمة خدمته".

وقال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"(٢٠/ ٢٣٤-٢٣٥) :"وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر: ٥٦] يَقُولُ : عَلَى مَا ضَيَّعْتُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَنِي اللهُ بِهِ، وَقَصَرْتُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللهِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ يَقُولُ: «فِي أَمْرِ اللهِ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر: ٥٦] قَالَ: «فِي أَمْرِ اللهِ» .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ، قَالَ ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر: ٥٦] قَالَ: «تَرَكْتُ مِنْ أَمْرِ اللهِ» .

وقال الإمام الزَّجَّاج(٣١١هـ)في"معاني القرآن وإعرابه"(٤/ ٣٥٩) :" ومعنى ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ في أمر الله، أي : فرَّطت في الطَّريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه وهو توحيده والإقرار بنبوَّة رسول الله ﷺ " .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري(٣٢٤هـ) في"مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين"(ص٢١٨) : وقالت المعتزلة ... في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، أي : في أمر الله" .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن عزيز السّجستاني (٣٣٠هـ) في "كتاب غريب القرآن"(ص٣٦٥) : **﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في ذات الله . ويقال : ما فعلت في جنْب حاجتي ، أي : في حاجتي ، قال كثير :

أَلا تَتَّقِينَ اللهَّ في جَنْبِ عاشِقٍ　　لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وقال الإمام أبو جعفر النحَّاس(٣٣٨هـ) في"إعراب القرآن"(١٧/٤) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، قال الضَّحَّاك : أي : في ذكر الله ، قال : يعني القرآن والعمل به".

وقال أيضاً في "معاني القرآن"(١٨٦/٦) :"وقوله جلَّ وعزَّ : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، المعنى : افعلوا هذا خوف أن تقول نفس وكراهة أن تقول نفس : يا حسرتى ، والحسرة النَّدامة ، أي : يلحق الإنسان ما يصير معه حسيراً ، أي : معيباً ، وحرف النِّداء يدلُّ على أنَّه شيء لازم ، أي : يا حسرة هذا وقتك ، وهذا مذهب سيبويه ، قال مجاهد : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في أمر الله ، قال أبو جعفر : المعنى في جنْب أمر الله على التَّمثيل ، أي : على الطَّريق الذي يؤدِّي إلى الحقِّ وهو الإيمان".

وقال الإمام محمَّد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزّاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥هـ) في" ياقوتة الصِّراط في تفسير غريب القرآن"(ص٤٤٧) : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أَي: فِي قرب الله عزَّ وَجلَّ من الْجنَّة ".

وقال الإمام الجصَّاص(٣٧٠هـ) في"الفصول في الأصول"(٣٦٣/١) :" وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بِوَضْعِ (لَفْظٍ) مَكَانَ غَيْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ يَعْنِي : فِي أَمْرِ اللهَّ ، يُعَبِّرُ عَنْ الْأَمْرِ بِالْجَنْبِ ".

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ) في"معاني القراءات للأزهري"(٣٠٧/١) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي: في قُرب الله، كذلك قال الفرَّاء".

وقال الإمام أبو الليث السَّمرقندي(٣٧٣هـ) في"بحر العلوم"(٣/ ١٩١) : **﴿عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، يعني: تركت، وضيَّعت من طاعة الله. وقال مقاتل: يعني: ما ضيَّعت من ذكر الله. ويقال: يا ندامتاه على ما فرَّطت في أمر الله " .

وقال الإمام مكِّي بن أبي طالب (٣٨٦هـ) في"قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التَّوحيد"(١/ ١٥٥-١٥٦) : "... كما قال المبطلون : يا حسرتنا على ما فرَّطنا فيها ، يعني : في الأيام الخالية التي هي محصولهم ومرجعهم ومثواهم ، وكما قالت النَّفس الأمارة بالسُّوء : **﴿يَا حَسرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، يعني أيَّام الدُّنيا التي ضيَّعت العمر فيها فخلت من الثَّواب والجزاء غداً" .

وقال الإمام ابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) في " تفسير القرآن العزيز"(٤/ ١١٧) : **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾** ، أَي: فِي أَمر اللَّهَ" .

وقال الإمام ابن فورك الأصبهاني (٤٠٦هـ) في"مشكل الحديث وبيانه "(ص٣٠٣) :" وَاعْلَم أَنَّ مِثَال هَذَا أَيْضاً من آي الْكتاب قَوْله تَعَالَى: **﴿أَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، وَذَلِكَ أَنَّه كَلَام مَحْمُول على نوعٍ من التَّوَسُّع فِي عَادَة الْعَرَب فِي المخاطبة بِمثلِهِ يَقْتَضِي من مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُرَاد بِهِ بأَمْره ، وَقد انْتَشَر فِي كَلَامهم أَنَّهم يَقُولُونَ : كبر فلَان فِي جنب فلَان ، وهم يُرِيدُونَ بذلك فِي طَاعَته وخدمته والتَّقرُّب إِلَيْهِ ، كَذَلِك معنى هَذِه الْآيَة : أَنَّ النُّفُوس تظهر الحسرات يَوْم الْقِيَامَة على مَا وَقع من التَّفرِيط مِنْهَا فِي طَاعَة الله ، وَالَّذِي يُؤَيِّد هَذَا الْمَعْنى ويوضِّحه : أَنَّ التَّفْرِيط لَا يَقع فِي جنْب الصِّفة وَلَا فِي جنْب الْجَارِحَة وَلما قرب بِذكرِهِ التَّفرِيط علم أَنَّ الْمُرَاد بِهِ مَا قُلْنَا أَنَّ مَعْنَاهُ : التَّقْصِير فِي طَاعَة الله والتَّفريط فِي عِبَادَته".

وقال أيضاً في " تفسير ابن فورك "(٢/ ٣٣٢) :"وجاز **﴿مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** لأنَّه معنى: ما فرَّطت في طاعة الله، أو في أمر الله؛ إلَّا أنَّه ذكر الجنب كما يقال: هذا صغير في جنب الله الماضي، أي: في أمر الله.

التَّفريط: إهمال ما ينبغي أن يتقدَّم فيه حتى يفوت وقته" .

وقال الإمام الشَّريف الرَّضي (٤٠٦هـ) في" تلخيص البيان في مجازات القرآن "(٢/ ٢٨٥) :"وقوله سبحانه : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِيْنَ﴾** ، وهذه استعارة. وقد اختلف في المراد بالجنب هاهنا. فقال قوم : معناه في ذات اللهّ.

وقال قوم : معناه في طاعة اللهّ ، وفي أمر اللهّ. لأنَّه ذكر الجنب على مجرى العادة في قولهم : هذا الأمر مغال في جنب ذلك الأمر، أي : في جهته، لأنَّه إذا عبَّر عنه بهذه العبارة دلَّ على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته.

وقال بعضهم : معنى في جنب اللهّ. أي في سبيل اللهّ ، أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته ، بالأوصل إلى طاعاته.

ولَمَّا كان الأمر كلّه يتشعَّب إلى طريقين : إحداهما هدى ورشاد ، والأخرى غيّ وضلال ، وكلّ واحد منهما مجانب لصاحبه ، أو هو في جانب ، والآخر في جانب ، وكان الجنب والجانب بمعنى واحد ، حسنت العبارة هاهنا عن سبيل اللهّ بجنب اللهّ ، على النَّحو الذي ذكرناه" .

وقال الإمام أبو عبد الرَّحمن السُّلمي (٤١٢هـ) في "تفسير السُّلمي وهو حقائق التَّفسير"(٢/ ٢٠٢) :" قوله تعالى : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾**﴿الزمر : ٥٦﴾ ، قال سهل : من ترك المراعات لحقِّ الله وملازمة خدمته اشتغل بعاجل الدُّنيا ، ولذَّة الهوى ، ومتابعة النَّفس وضيَّع في جنب الله من القصد إليه والاعتماد عليه . قال فارس : يقول الله من هرب منِّي أحرقته ، أي : هرب منِّي إلى نفسه أحرقته بالتَّأسُّف على فوتي ، إذا شاهد غداً مقامات أرباب معارفتي تدلُّ عليه . قوله : **﴿يَا حَسْرَتى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، وهذا لا يقوله إلَّا محترق " .

وقال الإمام الثَّعلبي (٤٢٧هـ) في "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"(٨/ ٢٤٦-٢٤٧) : **﴿عَلَى ما فَرَّطْتُ قصَّرَتْ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، قال الحسن: في طاعة الله. سعيد بن جبير: في حقِّ الله في أمر الله. قاله مجاهد.

قال أهل المعاني: هذا كما يقال : هذا صغير في جنب ذلك الماضي، أي في أمره.

وقيل: في سبيل الله ودينه. والعرب تُسمِّي السَّبب والطَّريق إلى الشَّيء جنباً تقول: تجرَّعت في جنبك غصصاً وبلاءً، أي : بسببك ولأجلك ، قال الشَّاعر:

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعتْنِي مَلَامَةً   لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامتُها ثِنَى

وقال في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضى الله تعالى وثوابه، والعرب تسمِّي الجانب جنباً ، قال الشَّاعر:

النَاسُ جَنْبٌ والأَمِيرُ جَنْبُ

يعني النَّاس من جانب والأمير من جانب " .

وقال الإمام مكِّي بن أبي طالب القرطبي المالكي(٤٣٧هـ) في "الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه "(١٠/ ٦٣٦٤) :"ومعنى **﴿عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي: على ما ضيَّعته من العمل بما أمرني الله به، وقصَّرت فيه في الدُّنيا.

قال مجاهد والسدِّي " فِي جَنْبِ الله "، أي: في أمر الله.

وقال الضحَّاك: " في ذكر الله، قال: يعني القرآن والعمل به ".

وقال أهل اللغة: المعنى: في جَنْبِ الله.

وروى أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: " ما جلس رجل مجلساً ولا مشى ممشىً ولا جَلَسَ اضطجع مضطجعاً لم يذكر الله فيه إلَّا كانت عليه ترة يوم القيامة، أي: حسرة " .

وقال الإمام الماوردي (٤٥٠هـ) في "النُّكت والعيون "(٥/ ١٣٢-١٣٣) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فيه ستَّة تأويلات:

أَحَدُهَا: في مجانبة أمر الله، قاله مجاهد والسدِّي.

الثَّانِي: في ذات الله، قاله الحسن.

الثَّالِثُ: في ذكر الله، قاله السدِّي، وذكر الله هنا القرآن.

الرَّابِعُ: في ثواب الله من الجنَّة ، حكاه النقَّاش.

الخَامِسُ: في الجانب المؤدِّي إلى رضا الله، والجَنْب والجانب سواء.

السَّادِسُ: في طلب القُرب من الله ، ومنه قوله تعالى : **﴿وَالصَّاحِبُ بِالجَنْبِ﴾** ، أي : بالقرب " .

وقال الإمام ابن حزم(٤٥٦هـ) في "الفصل في الملل والأهواء والنِّحل"(١٢٨/٢) : "وَقَالَ تَعَالَى حاكياً عَن قَول قَائِل : **﴿قَالَ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله﴾** ، وَهَذَا مَعْنَاهُ فِيمَا يقْصد بِهِ إِلَى الله عزَّ وجلَّ وَفِي جنب عِبَادَته" .

وقال الإمام أبو يعلى ابن الفرَّاء(٤٥٨هـ) في "إبطال التَّأويلات لأخبار الصِّفات"(٤٢٧/١-٤٢٨) :"ونقلت من خطِّ أَبِي حفص البرمكي: قَالَ ابن بطَّة قوله: "بذات اللهَّ" أمر اللهَّ ، كَمَا تقول: فِي جنْب اللهَّ، يَعْنِي فِي أمر اللهَّ ، وهذا مِنْهُ يمنع أَنْ يَكُونَ الجنْب صفة ذات، وَهُوَ الصَّحيح عندي، وأَنَّ المراد بذلك التَّقصير فِي طاعة اللهَّ، والتَّفريط فِي عبادته، لأَنَّ التَّفريط لا يقع فِي جنْب الصِّفة وإِنَّما يقع فِي الطَّاعة والعبادة، وَهَذَا مستعمل فِي كلامهم: فلانٌ فِي جنْب فلان، يريدون بذلك فِي طاعته وخدمته والتَّقرُّب مِنْهُ ، ويبيِّن صحَّة هَذَا التَّأويل مَا فِي سياق الآية من قوله: **﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** ، **﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** ، وَهَذَا كلُّه راجع إِلَى الطَّاعات".

وقال الإمام الحسين بن محمَّد الدَّامغاني(٤٦٧هـ) في"قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنَّظائر في القرآن الكريم"(ص١٠٨) : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله﴾** ، أي : في طاعة الله تعالى".

وقال الإمام الواحدي، النَّيسابوري (٤٦٨هـ) في " الوسيط في تفسير القرآن المجيد "(٥٨٨/٣-٥٨٩) : **﴿يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله﴾** ، قال الفرَّاء: الجَنْب القُرب، أي: في قُرب الله وجواره، والجنِب بمعنى القُرب كثير في الكلام، يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي : في قربه

وجواره، ومنه قوله تعالى: **﴿وَالصَّاحِبُ بِالجَنْبِ﴾** ، والمعنى على هذا القول: على ما فرَّطت في طلب جنب الله، أي: في طلب جواره وقُربه، وهو الجنَّة.

وهذا معنى قول ابن الأعرابي : في قرب الله من الجنَّة.

وقال الزجَّاج: أي : فرطت في الطَّريق الذي هو طريق الله من توحيده والإقرار بنبوَّة رسوله ﷺ ، وعلى هذا الجنْب بمعنى الجانب، أي: قصَّرت في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضا الله عزَّ وجلَّ.

والمفسِّرون ذكروا هذه المعاني، فقال عطاء، عن ابن عبَّاس: ضيعت في ثواب الله.

وقال مجاهد، والسدِّي: في أمر الله.

وقال الحسن: في طاعة الله" .

وقال أيضاً في " الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"(ص٩٣٧) :" وقوله: **﴿عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، أَيْ: قصَّرت في طاعة الله وسلوك طريقة " .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد المعروف بالمتولِّي الفقيه الشَّافعي النَّيسابوري(٤٧٨هـ) في"الغنية في أصول الدِّين"(ص١١٥) : "قوله تعالى : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، ومعناه : جهة أمر الله ، لأنَّ الجنْب إن كان بمعنى الجارحة لا يجوز في صفة بالاتِّفاق ، وإن كان بمعنى الصِّفات فلا يكون للتَّفريط فيه معنى وفائدة" .

وقال الإمام أبو المظفَّر السَّمعاني (٤٨٩هـ) في " تفسير القرآن"(٤/ ٤٧٧) :"وَقَوله: **﴿عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، أَي: ضيَّعت فِي ذَات الله.

وَقَالَ مُجَاهِد: فِي أَمر الله، وَقَالَ الْحسن: فِي طَاعَة الله، وَقيل: فِي ذكر الله، وَقَالَ بَعضهم: على مَا فرَّطت فِي الْجَانِب الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رضى الله تَعَالَى، وَقيل: **﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، أَي: فِي قرب الله وجواره، حَكَاهُ النقَّاش وَغَيره" .

وقال الإمام الحاكم الجشمي (٤٩٤هـ) كما جاء في"الحاكم الجشمي ومنهجه في التَّفسير"(١/ ٢٩٣) :"قوله تعالى: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، أي: لئلَّا تقول يوم القيامة يا

حسرتى على ما فرَّطتُ في طاعة الله، أو في حقِّه وأمره. وقال أبو مسلم: في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضى الله وثوابه، المجانب للسَّبيل المضلَّة، قال: والعرب تسمِّي الجانب جنباً، قال الشَّاعر:

النَّاسُ جَنْبٌ والأَمِيرُ جَنْبُ

أي: النَّاس في جانب والأمير في جانب ".

وقال الإمام الرَّاغب الأصفهاني(٥٠٢هـ) في" المفردات في غريب القرآن "(ص٢٠٥) :" قال تعالى: ﴿يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾﴿الزمر: ٥٦﴾ ، أي: في أمره وحدِّه الذي حدَّه لنا ".

وقال الإمام البغوي(٥١٠هـ) في "معالم التَّنزيل في تفسير القرآن"(٩٨/٤) :" مَعْنَى قوله: ﴿يَا حَسْرَتَى﴾ يَا أَيَّتُهَا الْحَسْرَةُ هَذَا وَقْتُكَ، ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ: قَصَّرْتُ فِي طَاعَةِ اللهَّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَمْرِ اللهَّ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فِي حَقِّ اللهَّ. وَقِيلَ: ضَيَّعْتُ فِي ذَاتِ اللهَّ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ قَصَّرْتُ فِي الْجَانِبِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَاءِ اللهَّ. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْجَنْبَ جَانِبًا " .

وقال الإمام أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمَّد بن عقيل البغدادي الظّفري(٥١٣هـ) في" الوَاضِح في أصُولِ الفِقه "(٢/ ٣٨١) :" قولُه: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾﴿الزمر: ٥٦﴾ يعني : في حقِّ الله ".

وقال الإمام الزَّمخشري(٥٣٨هـ)في" الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل"(١٣٦/٤-١٣٧) :"والجنْب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان ليِّن الجنب والجانب، ثمَّ قالوا: فرَّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقِّه. قال سابق البربري:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَّ فِي جَنْبِ وَامِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

وهذا من باب الكناية، لأنَّك إذا أثبتَّ الأمر في مكان الرَّجل وحيزه، فقد أثبتَّه فيه. ألا ترى إلى قوله:

إِنَّ السَّمـاحَةَ وَالْمُروءَةَ وَالنَّدى   في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

ومنه قول النَّاس: لمكانك فعلت كذا، يريدون: لأجلك. وفي الحديث: «من الشِّرك الخفيِّ أن يصلِّي الرَّجل لمكان الرَّجل» ،وكذلك: فعلت هذا من جهتك. فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه: قيل فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ على معنى: فرَّطت في ذات الله. فإن قلت: فمرجع كلامك إلى أنَّ ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها، فكأنَّه قيل: فرَّطت في الله. فما معنى فرَّطت في الله؟ قلت: لا بدَّ من تقدير مضاف محذوف، سواء ذكر الجنْب أو لم يذكر: والمعنى: فرَّطت في طاعة الله وعبادة الله، وما أشبه ذلك. وفي حرف عبد الله وحفصة: في ذكر الله. وما في ما فرَّطت مصدريَّة مثلها في **﴿بِما رَحُبَتْ﴾** ، **﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** قال قتادة: لم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتَّى سخر من أهلها" .

وقال الإمام ابن عطيَّة الأندلسي(٥٤٢هـ) في "المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"(٤/ ٥٣٨) :" وقوله تعالى: **﴿فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** معناه: في مقاصدي إلى الله وفي جهة طاعته، أي : في تضييع شريعته والإيمان به. والجنْب: يعبَّر به عن هذا ونحوه. ومنه قول الشَّاعر:

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلَامَةً   لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامتُها ثِنَى

ومنه قول الآخر:

النَّاسُ جَنْبٌ والأَمِيرُ جَنْبُ

وقال مجاهد: فِي جَنْبِ اللهِّ ، أي : في أمر الله" .

وقال الإمام محمود بن أبي الحسن بن الحسين النَّيسابوري (المتوفَّى: نحو ٥٥٠هـ) في "إيجاز البيان عن معاني القرآن"(٢/ ٧٢١) : **﴿فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** : في طاعته ، أو أمره .

يقال: صغر في جنب ذلك، أي: أمره وجهته ، لأنَّه إذا ذكر بهذا الذِّكر دلَّ على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته" .

وقال الإمام ابن الجوزي(٥٩٧هـ) في"تذكرة الأريب في تفسير الغريب(غريب القرآن الكريم)"(ص٣٣٢) : فِي جَنْبِ اللهِّ ، أي : في حقِّه " .

وقال أيضاً في " زاد المسير في علم التَّفسير"(٤/ ٢٤) :" قوله تعالى: **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فيه خمسة أقوال:

أَحَدُهَا: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن.

وَالثَّانِي: في حقِّ الله، قاله سعيد بن جبير.

وَالثَّالِثُ: في أمْر الله، قاله مجاهد، والزجَّاج.

وَالرَّابِعُ: في ذِكْر الله، قاله عكرمة، والضحَّاك.

وَالخَامِسُ: في قُرْب الله ، روي عن الفرَّاء أنَّه قال: الجَنْب: القُرْب، أي: في قُرْب الله وجِواره، يقال: فلان يعيش في جَنْبِ فلان، أي: في قُرْبه وجواره فعلى هذا يكون المعنى: على ما فرَّطْتُ في طلب قُرْب الله تعالى، وهو الجنَّة" .

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) في "مفاتيح الغيب"(٢٧/ ٤٦٦-٤٦٧) :" قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** ، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ : **﴿أَنْ تَقُولَ﴾** مَفْعُولٌ لَهُ ، أَيْ : كَرَاهَةَ أن تقول: **﴿يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، وَأَمَّا تَنْكِيرُ لَفْظِ النَّفْسِ فَفِيهِ وَجْهَانِ :

الْأَوَّلُ: يَجُوزُ أَنْ تُرَادَ نَفْسٌ مُمْتَازَةٌ عَنْ سَائِرِ النُّفُوسِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهَا بِمَزِيدِ إِضْرَارٍ بِمَا لَا يَنْفِي رَغْبَتَهَا فِي الْمَعَاصِي .

وَالثَّانِي: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْكَثْرَةُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ أَنَّ الْحُكْمَ الْمَذْكُورَ عَقِيبَ وَصْفٍ يُنَاسِبُهُ يُفِيدُ الظَّنَّ بِأَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مُعَلَّلٌ بذلك الوصف، فقوله : **﴿يَا حَسْرَتى﴾** يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ الْأَسَفِ وَنِهَايَةِ الْحُزْنِ ، وَأَنَّهُ مَذْكُورٌ عَقِيبَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، وَالتَّفْرِيطُ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى يُنَاسِبُ شِدَّةَ الْحَسْرَةِ ، وَهَذَا يَقْتَضِي حُصُولَ تِلْكَ الْحَسْرَةِ عِنْدَ حُصُولِ هَذَا التَّفْرِيطِ، وَذَلِكَ يُفِيدُ الْعُمُومَ بِهَذَا الطَّرِيقِ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْقَائِلُونَ بِإِثْبَاتِ الْأَعْضَاءِ للهِ تَعَالَى اسْتَدَلُّوا عَلَى إِثْبَاتِ الْجَنْبِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَنَا عَلَى نَفْيِ الْأَعْضَاءِ قَدْ كَثُرَتْ، فَلَا فَائِدَةَ فِي الْإِعَادَةِ، وَنَقُولُ بِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْجَنْبِ عُضْوًا مَخْصُوصًا للهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وُقُوعُ التَّفْرِيطِ فِيهِ، فَثَبَتَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى التَّأْوِيلِ وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِيهِ عِبَارَاتٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُرِيدُ ضَيَّعْتُ مِنْ ثَوَابِ اللهِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ ضَيَّعْتُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي أَمْرِ اللهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي حَقِّ اللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ لَا يُفِيدُ شَرْحَ الصُّدُورِ وَشِفَاءَ الْغَلِيلِ، فَنَقُولُ: الْجَنْبُ سُمِّيَ جَنْبًا لِأَنَّهُ جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ ذَلِكَ الشَّيْءِ ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ لَوَازِمِ الشَّيْءِ وَتَوَابِعِهِ يَكُونُ كَأَنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِهِ وَجَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِهِ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ بَيْنَ الْجَنْبِ الَّذِي هُوَ الْعُضْوُ وَبَيْنَ مَا يَكُونُ لَازِمًا لِلشَّيْءِ وَتَابِعًا لَهُ، لَا جَرَمَ حَسُنَ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْجَنْبِ عَلَى الْحَقِّ وَالْأَمْرِ وَالطَّاعَةِ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» قُرِئَ يَا حَسْرَتى على الأصل ويا حَسْرَتَايَ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْعِوَضِ وَالْمُعَوَّضِ عَنْهُ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** ، أَيْ أَنَّهُ مَا كَانَ مُكْتَفِيًا بِذَلِكَ التَّقْصِيرِ بَلْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالدِّينِ، قَالَ قَتَادَةُ لَمْ يَكْفِهِ أَنْ ضَيَّعَ طَاعَةَ اللهِ حَتَّى سَخِرَ مِنْ أَهْلِهَا، وَمَحَلُّ وَإِنْ كُنْتُ نَصْبٌ على الحال كَأَنَّهُ قَالَ: فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَأَنَا سَاخِرٌ ، أَيْ : فَرَّطْتُ فِي حَالِ سُخْرِيَتِي" .

وقال الإمام المنتجب الهمذاني(٦٤٣هـ) في" الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد"(٥/ ٤٦٥) :"وقوله: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**(ما) مصدريَّة كالتي في قوله: **﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾** ،أي: على تفريطي. والجنب في اللغة: الجانب، والمعنى: فرطت في جانب أمر الله، أو طاعته، أو رضاه ".

وقال الإمام القرطبي(٦٧١هـ) في "الجامع لأحكام القرآن"(١٥/ ٢٧١) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، قَالَ الْحَسَنُ: فِي طَاعَةِ اللهِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أَيْ فِي ثَوَابِ اللهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْجَنْبُ الْقُرْبُ وَالْجِوَارُ:

يُقَالُ : فُلَانٌ يَعِيشُ فِي جَنْبِ فُلَانٍ ، أَيْ : فِي جواره ، ومنه : **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾** ، أي : على مَا فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ جِوَارِهِ وَقُرْبِهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي السَّبَبَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الشَّيْءِ جَنْبًا، تَقُولُ تَجَرَّعْتُ فِي جَنْبِكَ غُصَصًا، أَيْ لِأَجْلِكَ وَسَبَبِكَ وَلِأَجْلِ مَرْضَاتِكَ. وَقِيلَ: **﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، أَيْ فِي الْجَانِبِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَثَوَابِهِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْجَانِبَ جَنْبًا، قَالَ الشَّاعِرَ:

قُسِمَ مَجْهُودًا لِذَاكَ الْقَلْبُ   النَّاسُ جَنْبٌ وَالْأَمِيرُ جَنْبُ

يَعْنِي النَّاسَ مِنْ جَانِبٍ وَالْأَمِيرَ مِنْ جَانِبٍ، وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: أَيْ تَرَكْتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، يُقَالُ : مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فِي جَنْبِ حَاجَتِي، قَالَ كُثَيِّرٌ:

أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، أَيْ ضَيَّعْتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" مَا جَلَسَ رَجُلٌ مَجْلِسًا وَلَا مشى ممشى ولا اضطجع مضطجع لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَّا كان عليه ترة يوم القيامة" .

أخرجه أحمد في المسند (١٥/ ٣٥٧ برقم ٩٥٨٣) بلفظ قريب منه ، قال الارنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي إسحاق مولى عبد الله بن الحارث، فإنه لم يرو عنه سوى سعيد المقبري. وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٤٠٦) ، والطبراني في "الدعاء" (١٩٢٧) من طريق يحيى بن سعيد، بهذا الإسناد. وليس عند النسائي: "وما من رجل أوى إلى فراشه ... ". وأخرجه النسائي (٤٠٥) من طريق عبد الله بن المبارك، و (٨١٧) من طريق محمد بن إبراهيم بن دينار، والحاكم ١/ ٥٥٠ من طريق آدم بن إياس، ثلاثتهم عن ابن أبي ذئب، به - وبعضهم يزيد فيه على بعض. وأخرجه النسائي (٤٠٧) من طريق قاسم بن يزيد، عن ابن أبي ذئب، عن إسحاق، عن أبي هريرة - ولم يذكر فيه سعيداً المقبري. وأخرجه ابن حبان (٨٥٣) من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. فأسقط منه أبا إسحاق، والمحفوظ من حديث ابن أبي ذئب وجوده في الإسناد، ولعل الوليد دلسه، فقد كان يدلس تدليس التسوية. وأخرجه مطولاً ومختصراً الحميدي (١١٥٨) ، وأبو داود (٤٨٥٦) و (٥٠٥٩) ، والنسائي (٤٠٤) و (٨١٨) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٧٤٧) من طريق محمد بن عجلان، والنسائي (٤٠٣) ، والطبراني في "الدعاء" (١٩٢٢) ، والحاكم ١/ ٤٩٢ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، كلاهما عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. ولم يذكرا أبا إسحاق أيضا" .

أي : حَسْرَتي ، خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِمَعْنَاهُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مِنَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ مَالَهُ الَّذِي آتَاهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ، قَدْ وَرِثَهُ وَعَمِلَ فِيهِ بِالْحَقِّ، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَعَلَى الْآخَرِ وِزْرُهُ، وَمِنَ الْحَسَرَاتِ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ عَبْدَهُ الَّذِي خَوَّلَهُ اللهُ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا أَقْرَبَ مَنْزِلَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَرَى رَجُلًا يَعْرِفُهُ أَعْمَى فِي الدُّنْيَا قَدْ أَبْصَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَمِيَ هُوَ".

وقال الإمام الآمدي(٦٣١هـ) في "غاية المرام في علم الكلام"(ص١٤١) :" وَقَوله : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فَيحْتَمل أَن يكون الْمُرَاد بِهِ أَمر الله ونهية ، فَيكون تَقْدِير ذَلِك : يَا حسرتى على مَا فرَّطت فِي امْتِثَال أَوَامِر الله ونواهيه ، وَيحْتَمل أَن يكون الْمُرَاد بِهِ الجناب ، وَمِنْه يُقَال : فلَانٌ لائذٌ بِجَنْب فلَان ، أي : بجنابه وَحرمه".

وقال الإمام البيضاوي(٦٨٥هـ) في "أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل"(٥/٤٦) :" عَلى مَا فَرَّطْتُ بما قصَّرت. **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** في جانبه ، أي : في حقِّه وهو طاعته. قال سابق البربري:

أَمَا تَتَّقِينَ الله فِي جَنْبٍ وَامِق   لَهُ كبدٌ حَرّى عَلَيْكَ تَقَطَّع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله:

إِنَّ السَّماحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى   فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

وقيل : ذاته ، على تقدير مضاف كالطَّاعة ، وقيل : في قربه ، من قوله تعالى: وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ، وقرئ «في ذكر الله» .

وقال الإمام النَّسفي(٧١٠هـ) في "مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل"(٣/١٨٨) : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** في أمر الله أو في طاعة الله أو في ذاته ، وفي حرف عبد الله في ذكر الله ، والجنب الجانب ، يقال : أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته ، وفلان ليّن الجانب والجنب ، ثمَّ قالوا : فرَّط في جنبه وفي جانبه ، يريدون : في حقِّه ، وهذا من باب الكناية ، لأنَّك إذا أثبتَّ الأمر في مكان الرَّجل وحيِّزه فقد أثبتَّه فيه ، ومنه الحديث :"من الشِّرك الخفيِّ أن يصلِّي الرَّجل لمكان الرَّجل" . قال الزَّيلعي في " تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري "(٣/٢٠٦) :" قلت رَوَاهُ الْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك فِي كتاب الرقَاق من

حَدِيث كثير بن زيد الْمدنِي عَن ربيح بن عبد الرَّحْمَن بن أبي سعيد الْخُدْرِيّ عَن أَبِيه عَن جده أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ خرج علينا رَسُول الله ﷺ يَوْمًا وَنحن نتذاكر الدَّجَّال فَقَالَ (غير الدَّجَّال أخوف عَلَيْكُم الشّرك الْخَفي أَن يعْمل الرجل لمَكَان الرجل) مُخْتَصر وَقَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد وَلم يخرجَاهُ . وَرَوَاهُ أَحْمد وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَالْبَزَّار فِي مسانيدهم وَلَفظ أَحْمد أَن يُصَلِّي الرجل لمَكَان الرجل وَقَالَ الْبَزَّار لَا نعلمهُ يرْوَى عَن أبي سعيد إِلَّا من هَذَا الْوَجْه وَربيح بن عبد الرَّحْمَن حدث عَنهُ جمَاعَة من أهل الْعلم فَذكرهمْ بِأَسْمَائِهِمْ . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان فِي الْبَاب الْخَامِس وَالْأَرْبَعِينَ عَن كثير بن زيد بِهِ بِلَفْظ أَحْمد . وَالْمُصَنّف احْتج بِهِ عَلَى أَن المُرَاد بقوله : لِمَكَانِك ، أَي : لِأَجلِك " .

أي : لأجله . وقال الزجَّاج : معناه فرَّط في طريق الله ، وهو توحيده والقرار بنبوَّة محمَّد ﷺ " .

وقال الإمام ابن تيمية في " الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح"(٤/ ٤١٥-٤١٧) : "وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: (وَجَنْبٌ) فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ عَالِمٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا طَائِفَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ، أَثْبَتُوا للهِ جَنْبًا نَظِيرَ جَنْبِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا اللَّفْظُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ ، فَلَيْسَ فِي مُجَرَّدِ الْإِضَافَةِ مَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَى اللهِ صِفَةً لَهُ، بَلْ قَدْ يُضَافُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْيَانِ الْمَخْلُوقَةِ وَصِفَاتِهَا الْقَائِمَةِ بِهَا مَا لَيْسَ بِصِفَةٍ لَهُ بِاتِّفَاقِ الْخَلْقِ، كَقَوْلِهِ: (بَيْتُ اللهِ) وَ (نَاقَةَ اللهِ) وَ (عِبَادَ اللهِ) بَلْ وَكَذَلِكَ (رُوحُ اللهِ) عِنْدَ سَلَفِ الْمُسْلِمِينَ وَأَئِمَّتِهِمْ وَجُمْهُورِهِمْ.

وَلَكِنْ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا هُوَ صِفَةٌ لَهُ وَلَيْسَ بِصِفَةٍ لِغَيْرِهِ، مِثْلَ كَلَامِ اللهِ وَعِلْمِ اللهِ، وَيَدِ اللهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَانَ صِفَةً لَهُ. وَفِي الْقُرْآنِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْجَنْبِ مَا هُوَ نَظِيرُ جَنْبِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ قَالَ: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**﴿الزمر: ٥٦﴾ ، وَالتَّفْرِيطُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا قَالَ: فُلَانٌ قَدْ فَرَّطَ فِي جَنْبِ فُلَانٍ أَوْ جَانِبِهِ، لَا يُرِيدُ بِهِ أَنَّ التَّفْرِيطَ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَفْسِ ذَلِكَ الشَّخْصِ، بَلْ يُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ فَرَّطَ فِي جِهَتِهِ وَفِي حَقِّهِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا اللَّفْظُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْمَخْلُوقِ لَا يَكُونُ ظَاهِرَهُ أَنَّ التَّفْرِيطَ فِي نَفْسِ جَنْبِ الْإِنْسَانِ الْمُتَّصِلِ بِأَضْلَاعِهِ، بَلْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ لَمْ يُلَاصِقْهُ، فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ ظَاهِرَهُ فِي حَقِّ اللهِ - أَنَّ التَّفْرِيطَ كَانَ فِي ذَاتِهِ؟

وَجَنْبُ الشَّيْءِ وَجَانِبُهُ، قَدْ يُرَادُ بِهِ مُنْتَهَاهُ وَحَدُّهُ، وَيُسَمَّى جَنْبُ الْإِنْسَانِ جَنْبًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، قَالَ تَعَالَى: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾**﴿السجدة: ١٦﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾**﴿آل عمران: ١٩١﴾ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: « (صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ، فَعَلَى جَنْبٍ) ،وَإِذَا قُدِّرَ أَنَّ الْإِضَافَةَ هُنَا تَتَضَمَّنُ صِفَةَ اللَّهِ، كَانَ الْكَلَامُ فِي هَذَا كَالْكَلَامِ فِي سَائِرِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ، وَفِي التَّوْرَاةِ مِنْ ذَلِكَ نَظِيرُ مَا فِي الْقُرْآنِ" .

قلت : وقد تحاشى ابن تيمية اعتبار الجنْب صفة لله تعالى ... مع أنَّه مُضافاً لله تعالى ... فابن تيمية في كلامه السَّابق يقول: "فَلَيْسَ فِي مُجَرَّدِ الْإِضَافَةِ مَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَى اللَّهِ صِفَةً لَهُ" ، وأنا أقول : ما هو ضابط إطلاق الصِّفة على الله تعالى إذن ؟؟ والضَّابط هو أن يكون اللفظ المراد اعتبار مضمونه صفة لله تعالى لا بدَّ أن يكون نصَّاً محكماً لا متشابهاً ، قال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن "(١١/٤) : "قَالَ النَّحَّاسُ: أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْمُحْكَمَاتِ، وَالْمُتَشَابِهَاتِ أَنَّ الْمُحْكَمَاتِ مَا كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُرْجَعَ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ، نَحْوُ **﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾** ، **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾** . وَالْمُتَشَابِهَاتُ نَحْوُ **﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾** يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾** ، وَإِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** . قُلْتُ: مَا قَالَهُ النَّحَّاسُ يُبَيِّنُ مَا اخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَهُوَ الْجَارِي عَلَى وَضْعِ اللِّسَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُحْكَمَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ أَحْكَمَ، وَالْإِحْكَامُ الْإِتْقَانُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى لَا إِشْكَالَ فِيهِ وَلَا تَرَدُّدَ، إِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ لِوُضُوحِ مُفْرَدَاتِ كَلِمَاتِهِ وَإِتْقَانِ تَرْكِيبِهَا، وَمَتَى اخْتَلَّ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ جَاءَ التَّشَابُهُ وَالْإِشْكَالُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ" .

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ أقوال العلماء لا تخرج بمجموعها عن كون المُحكم ممَّا وضح وبان ولم يحتج إلى تفسير وتوضيح ، والمتشابه ما احتاج إلى كشف وبيان ...

ومن جهة أُخرى فقد نص أهل العلم على أنَّ النُّصوص التي حملت ألفاظاً مضافةً إلى الله تعالى ممَّا يسمِّيها البعض بالصِّفات التي يوهم ظاهرها التَّشبيه هي من المتشابه، وهذه طائفة من أقوالهم:

قال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم"(١/ ٤٩٧) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾**﴿الأنعام:١٥٨﴾ : " ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله " .

وقال الإمام السَّمرقندي في "بحر العلوم"(١/ ٥٢٠) عند تفسير قول الله تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾**﴿الأعراف:٥٤﴾ : " قال بعضهم: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله ، وذكر عن يزيد بن هارون أنَّه سئل عن تأويله ، فقال : تأويله: الإيمان به" .

وقال الإمام الغزالي في " المُستصفى في علم الأصول" (١/ ٢٠٢-٢٠٣) : " في القرآن محكم ومتشابه ، كما قال تعالى : **﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾**﴿آل عمران:٧﴾ . واختلفوا في معناه ، وإذا لم يرد توقيف في بيانه فينبغي أن يفسَّر بما يعرفه أهل اللغة ويناسب اللفظ من حيث الوضع ، ولا يناسبه قولهم : المتشابه هي الحروف المقطَّعة في أوائل السُّور ، والمحكم ما وراء ذلك ، ولا قولهم : المُحكم ما يعرفه الرَّاسخون في العلم والمتشابه ما ينفرد الله تعالى بعلمه ، ولا قولهم : المحكم : الوعد والوعيد والحلال والحرام ، والمتشابه القصص والأمثال ، وهذا أبعد ، بل الصَّحيح أنَّ المحكم يرجع إلى معنيين:

أَحَدُهُمَا: المكشوف المعنى الذي لا يتطرَّق إليه إشكال واحتمال والمتشابه ما تعارض فيه الاحتمال .

الثَّانِي: أنَّ المحكم ما انتظم وترتَّب ترتيباً مفيداً ما على ما ظاهر أو على تأويل ما لم يكن فيه متناقض ومختلف ، لكن هذا المحكم يقابله المثبج والفاسد دون المتشابه ، وأمَّا المتشابه فيجوز أن يعبَّر به عن الأسماء المشتركة ، كالقُرء ، وكقوله تعالى : **﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾**﴿البقرة:٢٣٧﴾ ، فإنَّه مردَّد بين الزَّوج والولي ، وكاللمس المردَّد بين المس والوطء ، وقد يطلق على ما ورد في صفات الله ممَّا يوهم ظاهره الجهة والتَّشبيه ويحتاج إلى تأويله" .

فالإمام الغزالي يصرِّح وبوضوح أنَّ بعض الألفاظ تحتاج إلى تأويل ، فالتَّأويل حقٌّ من أجل أن لا يقع المؤمن في تناقضات حين يقرأ : إضافة العين إليه سبحانه والأعين ، واليدين والأيدي ، وأنَّه سبحانه في السَّماء وفي الأرض ، وهو مع خلقه أينما كانوا ، وما إلى غير ذلك ...

فأمَّا إذا تركنا النُّصوص على ظاهرها وقعنا في التَّناقض ، وهو محال في القرآن : ﴿**وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾﴿النساء : ٨٢ ﴾ .

والتَّأويل سواء كان إجماليَّاً أو تفصيليَّاً هو مسلك السَّلف الصَّالح من الصَّحابة ومن بعدهم ... وهو الأمر العاصم للعامَّة خاصَّة ، من الوقوع في التَّشبيه والتَّجسيم ...

والمستقرئ يجد وبكلِّ وضوح أنَّ السَّلف شدَّدوا في صرف العامَّة عن تأويل المتشابه ، وزجرهم عن تفسيره ، مع التَّقرير البالغ والتَّأكيد التَّام ، في بيان أنَّه تعالى منزَّه عن المعنى الظَّاهر الجسماني الذي يتبادر للعامَّة عادة خوفاً من تسرُّع الجاهلين إلى اعتقاد ما لا يليق في حقِّه تعالى ، مستدلِّين عليه بأنَّ هذا هو تأويل الكتاب أو السُّنَّة ، وكان هذا القدر من التَّحذير يكفي في صرف أهل زمانهم عن الخوض في تفسير هذه المتشابهات .

ولمَّا لجَّ كثيرٌ من الجهلة ومن أشباههم في طلب تأويل هذه المتشابهات اضطرَّ كثير من السَّلف أيضاً إلى بيان التَّأويلات الصَّحيحة على ما تقتضيه اللغة التي نزل بها القرآن ، أفاضوا في بيان الأدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة الدَّالَّة على أنَّ ما سمُّوه تأويلاً ليس هو بالتَّأويل الصَّحيح ، ولا بمراد الله ولا رسوله ﷺ ، وبهذا تعلم أنَّ السَّلف كلّهم متَّفقون على أنَّ كلّ ما أوهم من النُّصوص الجسميَّة أو شيئاً من لوازمها في حقِّه عزَّ وجلَّ فالله منزَّه عن الاتِّصاف بشيء منه ، وهذا الظَّاهر غير مراد منه قطعاً ، لا خلاف بينهم في ذلك ، ومن تأوَّل النُّصوص بهذه المعاني الظَّاهرة عند العوام فليس هو من السَّلف ولا تابعاً لهم .

ومع اتِّفاق السَّلف على ما ذكر من الصَّرف عن الظَّاهر الذي يتوهَّمه الجاهلون فأكثرهم اكتفوا بهذا القدر ولم يخوضوا في بيان التَّأويل المراد ، لأنَّه ليس ممَّا يجب معرفته على التَّعيين ، وقد يكون

للفظ معنيان صحيحان ، فالحكم على أحدهما بكونه المراد دون الآخر تهجُّم على حرم الغيب لا مسوِّغ له في نظرهم ، والكثير منهم ـ رضي الله عنهم ـ كشفوا القناع عمَّا يصُّح أن يكون مراداً من التَّأويل ، دفعاً في نحور المبتدعة ومن انخدع بهم ، حيث يزعمون أنَّه لا معنى للآية أو الحديث إلَّا ما فهموه من التَّأويل الباطل .

فقول كثير من أهل العلم إنَّ التَّأويل : هو طريقة الخلف وليس طريقة السَّلف ، إنَّما هو من ضيق الاطلاع ... " . انظر : البراهين السَّاطعة في ردِّ بعض البدع الشَّائعة (ص٢٣١-٢٣٢) .

وفي كتابه "أساس التَّقديس" عقد الإمام الرَّازي قسماً سمَّاه "تأويل المتشابهات من الأخبار والصِّفات" : ثمَّ ذكر فيه كثيراً من الأخبار الواردة في الكتاب والسُّنَّة كالصُّورة ، والمجيء ، والنُّزول ، والوجه ، والعين ، والنَّفس ، واليد ، والقبضة ، والأصابع ، والجَنْب ، والسَّاق ...

ثمَّ أنَّه عقد قسماً آخر ذكر في فصله الأوَّل حكم ذكر هذه المتشابهات . انظر : أساس التَّقديس (ص٩١) ، (ص٢١٧) .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه القيِّم " العواصم من القواصم "(ص٢٢٨-٢٢٩) : " والأحاديث الصَّحيحة في هذا الباب ـ يعني في باب الصِّفات ـ على ثلاث مراتب :

الأُوْلَى : ما ورد من الألفاظ كمال محض ليس للآفات والنَّقائص فيه حظ ، فهذا يجب اعتقاده .

الثَّانِيَةُ : ما ورد وهو نقص محض ، فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف إليه إلَّا وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة ، كقوله : " عَبْدِيْ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي " ، وما أشبهه .

الثَّالِثَةُ : ما يكون كمالاً ، ولكنَّه يوهم تشبيهاً .

فأمَّا الذي ورد كمالاً محضاً كالوحدانيَّة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والسَّمع ، والبصر ، والإحاطة ، والتَّقدير ، والتَّدبير ، وعدم المثل والنَّظير فلا كلام فيه ولا توقُّف .

وأمَّا الذي ورد بالآفات المحضة والنَّقائص كقوله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَّ قَرْضاً حَسَناً**﴾﴿البقرة:٢٤٥﴾ ، وقوله : " جعتُ فلم تُطعمني وعطشتُ .. " ، فقد علم المحفوظون ،

والملفوظون ، والعالم والجاهل أنَّ ذلك كناية ، وأنَّه واسطة عمَّن تعلق به هذه النَّقائص ، ولكنَّه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدَّسة ، تكرمة لوليِّه ، وتشريفاً ، واستلطافاً للقلوب وتليينا ، وهذا أيُّها العاقلون تنبيه لكم على ما ورد من الألفاظ المحتملة ، فإنَّه ذكر الألفاظ الكاملة المعاني السَّالمة ، فوجبت له ، وذكر الألفاظ النَّاقصة والمعاني الدَّنيئة ، فتنزَّه عنها قطعاً ، فإذا جعلت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه ، وللنُّقصان بوجه ، وجب على كلِّ مؤمن حصيف أن يجعله كناية عن المعاني التي تجوز عليه ، وينفي عنه ما لا يجوز عليه ، فقوله في اليد والسَّاعد والكفّ والأصبع عبارات بديعة تدلُّ على معانٍ شريفة ، فإنَّ السَّاعد عند العرب عليه كانت تعول في القوَّة والبطش والشدَّة ... فأضاف السَّاعد إلى الله ، لأنَّ الأمر كلَّه لله ، كما أضاف إليه الموسى ، وكذلك قوله : " إنَّ الصَّدقة تقع في كفِّ الرَّحمن " عبَّر بها عن كفِّ المسكين ، تكرمة له ... " .

وقال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٧/ ١٤٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾﴿الأنعام:١٥٨﴾ : " ويقال: هذا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله" .

وقال الإمام ابن جزي الكلبي في "التَّسهيل لعلوم التَّنزيل"(٢/ ٢٢٥) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾﴿الزمر:٦٧﴾ : " وأمَّا السَّلف الصَّالح فسلَّموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أنَّ هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلَّا الله" .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي في " اللباب في علوم الكتاب "(٨/ ٥٢٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾﴿الأنعام:١٥٨﴾ : " وقيل: هذا من المُتَشَابه الَّذِي لا يَعْلَمُ تَأوِيله إلاَّ اللهّ" .

وفي كتابه "روضة النَّاظر "(١/ ٢٧) نصَّ الإمام ابن قدامة على أنَّ آيات الصِّفات من المتشابه ، فقال : " والصَّحيح: أنَّ المتشابه: ما ورد في صفات الله سبحانه ممَّا يجب الإيمان به، ويحرم التَّعرُّض لتأويله، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه:٥﴾ ، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ﴿المائدة:٦٤﴾ ، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾﴿ص:٧٥﴾ ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾﴿الرحمن:٢٧﴾ ، ﴿تَجْرِي

بِأَعْيُنِنَ﴾﴿القمر:١٤﴾ ، ونحوه ، فهذا اتَّفق السَّلف -رحمهم الله- على الإقرار به، وإمراره على وجهه، وترك تأويله " .

ومن المعلوم أنَّ هنالك ألفاظاً في القرآن الكريم تحتمل أكثر من معنى ، على أنَّ لها معنى أصليَّاً في الوضع العربي ، وهو أرجح المعاني ، ولذا لا بدَّ من قانونٍ يُعرفُ به المعنى المراد منها ، لأنَّ الكلام يكون عندها متشابهاً ...وقد وضَّح الإمام الرَّازيُّ القانون الذي يُعرف به المحكم من المتشابه ، فقال في "مفاتح الغيب"(٧/ ١٣٩) :"لَا بُدَّ هَاهُنَا مِنْ قَانُونٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَنَقُولُ: اللَّفْظُ إِذَا كَانَ مُحْتَمِلًا لِمَعْنَيَيْنِ وَكَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَحَدِهِمَا رَاجِحًا، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ مَرْجُوحًا، فَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الرَّاجِحِ وَلَمْ نَحْمِلْهُ عَلَى الْمَرْجُوحِ، فَهَذَا هُوَ الْمُحْكَمُ وَأَمَّا إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَرْجُوحِ وَلَمْ نَحْمِلْهُ عَلَى الرَّاجِحِ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَشَابِهُ ، فَنَقُولُ: صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الرَّاجِحِ إِلَى الْمَرْجُوحِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، وَذَلِكَ الدَّلِيلُ الْمُنْفَصِلُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَفْظِيًّا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَقْلِيًّا".

وقد اختلف العلماء في موقفهم من المتشابه ... والخلاف مبنيٌّ على تقدير الوقف في قوله تعالى : **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**﴿آل عمران: ٧﴾ ، وللعلماء فيه مذهبان:

الأَوَّلُ : الوقف على لفظ الجلالة **﴿إِلاَّ اللهُ﴾** ، وما بعده مستأنف، وهو مروي عن ابن عبَّاس ، وابن مسعود ، وعائشة ، وأبي نهيك ، وهو مذهب الجمهور ...

أدلَّة هذا المذهب :

(١) قال الطَّبري في " التَّفسير"(٥/ ٢٢٠) :"... بَلَغَنِي مَعَ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ " .

(٢) ما رواه ابن جرير في " التَّفسير" (٥/ ٢١٨) بسنده عَنْ عَائِشَةَ، قَوْلُهُ: **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾**﴿آل عمران: ٧﴾ قَالَتْ: «كَانَ مِنْ رُسُوخِهِمْ فِي الْعِلْمِ أَنْ آمَنُوا بِمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَهُ» .

(٣) ما رواه الطَّبري في " التَّفسير" (٥/ ٢١٨) بسنده عَنْ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾﴿آل عمران: ٧﴾ " أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾﴿آل عمران: ٧﴾ .

(٤) ما رواه الطَّبري في " التَّفسير" بسنده عَنْ أَبِي نَهِيكٍ الْأَسَدِيِّ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾﴿آل عمران: ٧﴾ فَيَقُولُ: «إِنَّكُمْ تَصِلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَإِنَّهَا مَقْطُوعَةٌ» ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾﴿آل عمران: ٧﴾ «فَانْتَهَى عِلْمُهُمْ إِلَى قَوْلِهِمُ الَّذِي قَالُوا» .

الثَّانِي : عدم الوقف، بل عطف الرَّاسخين في العلم على لفظ الجلالة ، ولذلك فإنَّ المتشابه ممَّا يعلمه الرَّاسخون في العلم ، وهذا مروي عن ابن عبَّاس ، ومجاهد ، والرَّبيع ، ومحمَّد بن جعفر بن الزُّبير، وغيرهم . انظر : تفسير القرطبي (٤/ ١٧) ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله (٢/ ٥٦٦) .

أدلَّة هذا المذهب :

(١) ما رواه ابن جرير في "التَّفسير"(٥/ ٢٢٠) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» .

(٢) ما رواه ابن جرير في " التَّفسير"(٥/ ٢٢٠) بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» .

(٣) لو كان المتشابه لا يعلم لَلَزِمَ عليه أن يتعبَّد الله خلقه بالشَّيء المجهول ، ويخاطب عباده بما لا يفهمون ، كما أنَّه يخالف وصفه تعالى للقرآن بأنَّه تبيان لكلِّ شيء . انظر : العدة لأبي يعلى (٢/ ٦٩٢) ، ترجيح أساليب القرآن (ص١٢٦) .

(٤) لو لم يكن المتشابه معلوماً للرَّاسخين في العلم لم يكن لهم مزيَّة ولا فضيلة على العامَّة ، لأنَّ الجميع يقولون آمنَّا به . انظر : العدة لأبي يعلى (٢/ ٦٩٢) ، حقائق التأويل في متشابه التَّنزيل (ص٧٠) .

قال الإمام ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" (ص٧٢) : "ولسنا ممَّن يزعم أنَّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الرَّاسخون في العلم ، وهذا غلط من متأوِّليه على اللغة والمعنى ، ولم يُنزل الله شيئاً من القرآن إلَّا لينفع به عباده ، ويدلُّ به على معنى أراده " .

وقال الإمام البغدادي في "الفقيه والمتفقِّه" (١/ ٢١٠) : "أَنَّ الْمُتَشَابِهَ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ لِلْعُلَمَاءِ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ" .

ومن خلال استعراضنا لكلام العلماء في هذه المسألة يتبيَّن لنا أنَّ المتشابه نوعان:

الأَوَّلُ : ما استأثر الله بعلمه وتفرَّد بمعرفته ، فلا يستطيع الإنسان أن يصل إليه ، كالعلم بذات الله ، وحقائق صفاته ، و كوقت قيام السَّاعة ، وأشراطها ، وغيرها من الغيبيَّات التي احتفظ الله بعلمه لها ، مصداق قوله تعالى : **﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ﴾**﴿الأنعام : ٥٩﴾ .

الثَّانِي : ما يعلمه العلماء عن طريق البحث وبذلُ الوُسع والطَّاقة ، وإن كان قد يخفى على كثير من النَّاس ، فالمتشابهات التي نشأ التَّشابه والخفاء فيها من الإجمال والبسط ، ونحوها .

والتَّحقيق في هذه المسألة إنَّما يعتمد على تقدير الوقف في قوله تعالى: **﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**﴿آل عمران :٧﴾ .

يقول الإمام الشَّريف الرَّضي في "حقائق التَّأويل في متشابه التَّنزيل" (ص٧-٩) : "... فمنهم من جعل الوقف عند اسم الله تعالى ، واستأنف قوله سبحانه : **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾** ، فمن ذهب هذا المذهب منهم يُخرج العلماء عن أن يعلموا كنْه التَّأويل وحقيقته ، ويطَّلعوا طلعه ، ويستنبطوا غوامضه ، ويستخرجوا كوامنه ، وحطّهم بذلك عن رتبة قد استحقُّوا الإيفاء عليها واطّلاع شرفها، لأنَّ الله سبحانه قد أعطاهم من نهج السَّبيل وضياء الدَّليل ما يفتتحون به المُبهم ـ ويصدعون المظلم ، كلُّ ذلك بتوفيق الله إيَّاهم ، ونصب منار الأدلَّة لهم ، فعلمهم بذلك مستمدٌّ من علم الله سبحانه، فلا معنى للوقوف بهم دون هذه المنزلة ، والإحجام عند إيصالهم إلى أقصى هذه الرُّتبة.

وأمَّا الذين يجعلون الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيوفّون الاستثناء حقَّه بإدخال العلماء فيه، ويجعلون لهم مزيَّة العلم بتأويل القرآن ، ومعرفة مداخله ومخارجه ، وسلوك محاجّه ومناهجه ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عبَّاس ، ومجاهد ، والرَّبيع.

فأمَّا المحقِّقون من العلماء فيقفون في ذلك على منزلة وسطى وطريقة مثلى ، فلا يخرجون العلماء ههنا عن أن يعلموا شيئاً من تأويل القرآن جملة ، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعه، والاستيلاء على قليله وكثيره . بل يقولون: إنَّ في التَّأويل ما يعلمه العلماء، وفيه ما لا يعلمه إلَّا الله تعالى : من نحو تعيين الصَّغيرة، ووقت السَّاعة، وما بيننا وبينها من المدَّة ، ومقادير الجزاء على الأعمال، وما أشبه ذلك .

وهذا قول جماعة من متقدِّمي العلماء : منهم الحسن البصري ، وغيره ، وإليه ذهب أبو علي الجبَّائي ، لأنَّه يجعل المراد بالتَّأويل في هذه الآية مصائر الأمور وعواقبها... وممَّا يؤكِّد ذلك أنَّ مجاهداً قال في قوله تعالى : ﴿ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾﴿الإسراء: ٣٥﴾ . إنَّه سبحانه أراد بالتَّأويل ههنا : الجزاء على الأعمال . فهذا المعنى يلامح ما نحن في ذكره ، لأنَّ الجزاء إنَّما هو الشَّيء الذي آلوا إليه وحصلوا عليه.

وقد قيل أيضاً: إنَّ المراد : وما يعلم تأويله على التَّفصيل إلَّا الله تعالى ، أوْ لا يعلم تأويله بعينه إلَّا الله ، لأَّن كثيراً من المتشابه يحتمل الوجوه الكثيرة ، وكلُّها غير خارج عن أدلَّة العقول ، فيذكر المتأوِّلون جميعها ، ولا يقع القطع منهم على مراد الله تعالى بعينه منها ، ولا يعلم ذلك إلَّا الله ، لأَّن الذي يلزم المكلَّف من ذلك أن يعلم في الجملة أنَّه سبحانه لم يرد ما يخالف أدلَّة العقول ، ولأنَّه ليس من تكليفنا أن نعلم أنَّ المراد من ذلك بعينه ، وإن كان العلماء يعلمونه على الجملة وعلى الوجه الذي يمكن أن يعلم عليه .

وفي قول الرَّاسخين في العلم : **﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾** دلالة على استسلامهم في ما لم يعلموا من تأويل المتشابه ، وما استبدَّ الله بعلمه من قبيل ما ذكرنا: كوقت السَّاعة ، وتمييز الصَّغائر من الكبائر، إلى ما أشبه ذلك ، فقد بان أنَّ في تأويل المتشابه ما لا يعلمونه ، وإن كانوا يعلمون كثيراً منه" .

والحقُّ أنَّه إن أُريد بالمتشابه ما لا سبيل إليه للمخلوق ، فالحقّ الوقف على **﴿الله﴾** ، وإن أُريد ما لا يتَّضح بحيث يتناول المجمل والمؤوَّل فالحقّ العطف، ويجوز الوقف أيضاً ، لأنَّه لا يعلم جميعه، أو لا يعلمه بالكُنْه إلَّا الله، وأمَّا إذا فُسِّر بما دلَّ القاطع- أي النَّص النَّقلي- أو الدَّليل الجازم العقلي على أنَّ ظاهره غير مراد ، ولم يقم دليل على ما هو المراد ففيه مذهبان : فمنهم من يجوِّز الخوض فيه وتأويله بما يرجع إلى الجادَّة في مثله ، فيجوز عنده الوقف وعدمه ، ومنهم من يمنع الخوض فيه فيمتنع تأويله ويجب الوقف عنده . انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٣/ ٧) .

وعلى ضوء ما سبق بيانه يتبيَّن لنا أنَّ الواجب على المسلم إزاء المتشابه إذا أُريدَ به ما لا سبيل إليه للمخلوق ، أنَّ الحقّ هو الإيمان والتَّسليم مع تفويض العلم بحقيقته إلى الله تعالى ، لأنَّ الآية دلَّت على ذمِّ متَّبعي المتشابه ووصفهم بالزَّيغ وابتغاء الفتنة ، كما ومدحت الرَّاسخين بالعلم الذين فوَّضوا العلم بحقيقته إلى الله وسلَّموا له ...

وفي ذلك يقول الإمام ابن حجر في " فتح الباري" (٨/ ٢١١-٢١٢) : "قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْمُتَشَابِهُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا : مَا إِذَا رُدَّ إِلَى الْمُحْكَمِ وَاعْتُبِرَ بِهِ عُرِفَ مَعْنَاهُ ، وَالْآخَرُ : مَا لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ أَهْلُ الزَّيْغِ فَيَطْلُبُونَ تَأْوِيلَهُ وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَهُ فَيَرْتَابُونَ فِيهِ فَيُفْتَنُونَ ، وَاللهُ أعلم" .

وقد حذَّر الله تعالى من تتبُّع المتشابه وطلب الوقوف على حقيقته فقال: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**﴿آل عمران :٧﴾ .

وروى البخاري (٦/ ٣٣ برقم ٤٥٤٧) بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾** قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» .

و"الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى ذَمِّ مُتَّبِعِي الْمُتَشَابِهِ لِوَصْفِهِمْ بِالزَّيْغِ وَابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ وَصَرَّحَ بِوَفْقِ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبَابِ وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى مَدْحِ الَّذِينَ فَوَّضُوا الْعِلْمَ إِلَى اللهَّ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ كَمَا مَدَحَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَيْبِ". انظر : فتح الباري (٨/ ٢١٠) .

والمتَّبعون المذمومون هنا هم أولئك الذين اتَّبعوا المتشابه لأجل الفتنة وابتغاء تأويله التَّأويل الفاسد الذي يتعارض مع القواطع العقديَّة التي تلتزم تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث .

أمَّا إذا كان التَّأويل منضبطاً بالضَّوابط الشَّرعيَّة واللغويَّة فهو ممدوح ومرغَّب فيه ، وإلَّا فما ميزة الرَّاسخ في العلم على غيره من العوام ؟!

وقال الإمام الطَّحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٦/ ٣٣٨) : "أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِعَجْزِ الْخَلْقِ عَنْ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهَا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾**﴿آل عمران: ٧﴾ ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يَقُولُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ؛ لِيَمْتَثِلُوهُ وَيَتَمَسَّكُوا وَيَقْتَدُوا بِهِمْ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾**﴿آل عمران: ٧﴾ ، فَهَكَذَا يَكُونُ أَهْلُ الْحَقِّ فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ يَرُدُّونَهُ إِلَى عَالِمِهِ، وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَلْتَمِسُونَ تَأْوِيلَهُ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ اللَّاتِي هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدُوهُ فِيهَا عَمِلُوا بِهِ كَمَا يَعْمَلُونَ بِالْمُحْكَمَاتِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدُوهُ فِيهَا لِتَقْصِيرِ عُلُومِهِمْ عَنْهُ لَمْ يَتَجَاوَزُوا فِي ذَلِكَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَرَدَّ حَقِيقَتِهِ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا فِي ذَلِكَ الظُّنُونَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ اسْتِعْمَالَهَا فِي غَيْرِهِ، وَإِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِي غَيْرِهِ حَرَامًا كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهِ أَحْرَمَ" .

فالطَّحاوي هنا يصرِّح بأنَّ الواجب على العلماء أن يعملوا على تأويل المتشابه ما أمكنهم ، فيُفرِغُوا فيه وسعهم وطاقتهم ، ولا يلجأوا للتَّفويض إلَّا عند قصورهم عن درْك المعنى المناسب لذلك اللفظ ، على أن يكون ذلك التَّأويل ملتزماً بقواعد اللغة العربيَّة وكذا الثَّوابت العقديَّة القطعيَّة .

وعليه فإنَّ الواجب على المسلم أن يؤمن بالكتاب كلِّه محكمه ومتشابهه... كما أنَّه يجب عليه أن يعلم أنَّ فتح هذا الباب على مصراعيه هو سبيل أهل الزَّيغ والإلحاد ليفتنوا النَّاس عن دينهم لتمكُّنهم من تحريفه إلى عقائدهم الفاسدة ، كاحتجاج النَّصارى بأنَّ القرآن نطق بأنَّ عيسى روح الله وكلمته ، وتركوا الاحتجاج بقوله : **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنعَمنَا عَلَيْهِ﴾**﴿الزخرف: ٥٩﴾ ، و **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾**﴿آل عمران: ٥٩﴾ ، وهذا بخلاف المُحكم فلا نصيب لهم فيه... انظر : استحالة المعيَّة بالذَّات (ص٦١) ...

ونتابع نقل أقوال العلماء في الجنْب المضاف إلى الله تعالى ...

قال الإمام ابن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي(٧٣٣هـ) في "إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التَّعطيل"(ص١٣٣) : "المُرَاد بِهِ طَاعَته وَأمره ، لِأَنَّ اسْتِعْمَال ذَلِك فيهمَا مَعْهُود شايع فِي كَلَام الْعَرَب وَعرف النَّاس ، قَالَ مُجَاهِد : يَعْنِي مَا ضيَّعت فِي أَمر الله ، وَيُقَال : فلَان يهمل جَانب فلَان ، وَرمى فلَان جنْب فلَان ، أَي : لَا يطيعه وَلَا يتعهَّده ، ذَلِك لِأَنَّ الْجنب الْمَعْهُود لَا يَقع فِيهِ تَفْرِيط ، وَلَا يعقل مَعْنَاهُ فِيهِ ، بل إِنَّمَا يَقع التَّفْرِيط فِي طَاعَة الْأَمر ، وَفِي حقٍّ وَاجِب ، أَي : بِتَرْكِهِ ، وَقد أنْشد ثَعْلَب فِيهِ :

خَلِيليَّ كُفَّا واذكُرَا اللهَ فِي جَنْبي

وَوجه التَّجَوُّز عَن الطَّاعَة أَنَّ تَارِكَ الْحَقّ مُخَالف الْأَمر" .

وقال الإمام ابن جزّي الكلبي الغرناطي(٧٤١هـ) في "التَّسهيل لعلوم التَّنزيل"(٢/ ٢٢٤) : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في حقِّ الله ، وقيل: في أمر الله ، وأصله من الجنْب بمعنى الجانب ، ثمَّ استُعير لهذا المعنى" .

وقال الإمام الخازن(٧٤١هـ) في " لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل "(٦/ ٨٢) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : على ما قصَّرت في طاعة الله ، وقيل : في أمر الله ، وقيل : في حقِّ الله ، وقيل : على ما ضيَّعت في ذات الله ، وقيل معناه : على ما قصَّرت في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضا الله تعالى" .

وقال الإمام الطِّيبي(٧٤٣ هـ) في" فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب (حاشية الطِّيبي على الكشَّاف)"(١٣/ ٤١٤-٤١٥) :"قوله: (أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته)، الرَّاغب: أصل "الجنْب": الجارحة، ثمَّ يُستعارُ للنَّاحية التي تليها، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك، نحو: اليمين والشِّمال ، قال الشَّاعر:

مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

وقيل: جنب الحائط وجانبه، **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾**﴿النساء: ٣٦﴾ ، أي: القريب، وقوله تعالى: **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي: أمره الذي حدَّه لنا، وبني من الجنب الفعل، نحو: جنبته وأجنبته واجتنبته، ومنه: **﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾**﴿النساء: ٣٦﴾ ، **﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّوْرِ﴾**﴿الحج: ٣٠﴾، وجنب فلان خيرًا وجنب شرًا، وإذا أطلق فقيل: جنب فلان، فمعناه: أبعد عن الخير، وذلك يقال في الدُّعاء وفي الخير، وسمِّيت الجنابة بذلك، لكونها سببًا لتجنُّب الصَّلاة في حكم الشَّرع، والجنوب: يصحُّ أن يعتبر فيها معنى المجيء من جنب الكعبة، ويعتبر معنى الذَّهاب عنه؛ لأنَّ المعنيين موجودان.

قوله: (لأنَّك إذا أثبتَّ الأمر في مكان الرَّجل وحيِّزه، فقد أثبتَّه فيه)، على الطَّريق البرهاني، كما أنَّ زيادًا الأعجم جعل السَّماحة والمروءة والنَّدى المعرفة بتعريف الجنس في مكان ابن الحشرج، أي: في قبَّة مضروبة عليه في قوله:

إِنَّ السَّمـاحَةَ وَالُمروءَةَ وَالنَّدى   في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

فأفاد اختصاصها به بأبلغ وجه، يعني: إذا رمتها لم تجد حصَّة منها خارجة عن هذا المكان ".

وقال الإمام أبو حيَّان الأندلسي(٧٤٥هـ) في "البحر المحيط في التَّفسير"(٩/ ٢١٣-٢١٤) :" وَالْجَنْبُ: الْجَانِبُ، وَمُسْتَحِيلٌ عَلَى اللهِ الْجَارِحَةُ، فَإِضَافَةُ الْجَنْبِ إِلَيْهِ مَجَازٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالسُّدِّيُّ: فِي أَمْرِ اللهِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: فِي ذِكْرِهِ، يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ. وَقِيلَ: فِي جِهَةِ طَاعَتِهِ، وَالْجَنْبُ: الْجِهَةُ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَفِي جَنْبٍ تُكَنَّى قَطعَتْنِي مَلَامَةً   سُلَيْمَى لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثَنَاءَ

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

النَّاسُ جَنْبٌ وَالَأْمِيرُ جَنْبُ

وَيُقَالُ: أَنَا فِي جَنْبِ فُلَانٍ وَجَانِبِهِ وَنَاحِيَتِهِ وَفُلَانٌ لَيِّنُ الْجَنْبِ وَالْجَانِبِ. ثُمَّ قَالُوا: فَرَّطَ فِي جَنْبِهِ، يُرِيدُونَ حَقَّهُ. قَالَ سَابِقٌ الْبَرْبَرِيُّ:

أَمَّا تَتَّقِينَ اللهَّ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وَهَذَا مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ، لِأَنَّكَ إِذَا أَثْبَتَّ الْأَمْرَ فِي مَكَانِ الرَّجُلِ وَحَيِّزِهِ، فَقَدْ أَثْبَتَّهُ فِيهِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى   فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ: لِمَكَانِكَ فَعَلْتُ كَذَا، يُرِيدُونَ: لِأَجْلِكَ، وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ هَذَا مِنْ جِهَتِكَ. وَمَا فِي مَا فَرَّطْتُ مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ عَلَى تَفْرِيطِي فِي طاعة الله " .

وقال الإمام السَّمين الحلبي (٧٥٦هـ) في "الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون" (٩/ ٤٣٥) :"قوله: **﴿عَلَى مَا فَرَّطَتُ﴾** «ما» مصدريةٌ أي: على تَفْرِيطي. وثَمَّ مضافٌ أي: في جَنْبِ طاعةِ الله. وقيل: **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، المرادُ به الأمرُ والجهةُ. يقال: هو في جَنْبِ فلانٍ وجانبِه، أي: جهته وناحيته ، قال الرَّاجز:

النَّاسُ جَنْبٌ والأميرُ جَنْبُ ...

وقال آخر:

أفي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْني مَلامةً   لَعَمْري لقد طالَتْ ملامَتُها بيا

ثم اتُّسِع فيه فقيل: فَرَّط في جَنْبِه ، أي : في حَقِّه ، قال:

أَمَا تَتَّقِيْنَ اللهَّ فِي جَنْبِ عاشِقٍ   له كَبِدٌ حَرَّى عليكِ تَقَطَّعُ

وقال الإمام ابن كثير(٧٧٤هـ) في "تفسير القرآن العظيم"(٦/ ٥٧٤) :" أَيْ : يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا، عَلَى مَا ضَيَّعَتْ مِنْ أَمْرِ اللهِّ، فَرَّطَتْ فِي جَنْبِ اللهَّ" .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ) في"اللباب في علوم الكتاب"(١٦/ ٥٣٢-٥٣٣) :" قوله: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** «ما مصدريَّة ، أي : على تَفْريطي، وثمَّ مضاف ، أي : في جنب طاعة الله، وقيل: في جنب الله المراد به الأمر والجِهَةُ ، يقال: هُوَ فِي جَنْبِ فُلاَنٍ وَجانِبِهِ أي : جِهَتِهِ ونَاحِيَتِهِ ،قال:

النَّاسُ جَنْبٌ وَالأَمِيرُ جَنْبُ ...

وقال آخر:

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلاَمَةً   سُلَيْمَى لَقَدْ كَانَتْ مَلاَمَتُهَا ثِنَى

ثمَّ اتَّسع فيه فقيل: فَرّط فِي جَنْبِهِ ، أي : في حَقِّه، قَالَ:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهّ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ   لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطّعُ

وقال الإمام الكرماني(٧٨٦هـ) في" الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري"(٧/ ١١٠) :" ... إشارة إلى ما ورد في القرآن **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** .

وقال الإمام الشَّاطبي(٧٩٠هـ) في "الاعْتِصَام"(٣/ ٢٦٤) :"الْآيَةُ مَعْنَاهَا : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** فيما بيني وبين الله، إذا أضفت تفريطي إلى أمره لي وَنَهْيِهِ إِيَّايَ" .

وقال الإمام الزّركشي (٧٩٤هـ) في" البرهان في علوم القرآن"(٢/ ٨٤) :" قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿مَا فَرَّطْتُ فِي جنب الله﴾** ، قَالَ اللُّغَوِيُّونَ: مَعْنَاهُ مَا فَرَّطْتُ فِي طَاعَةِ اللهَّ وَأَمْرِهِ ، لِأَنَّ التَّفْرِيطَ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ذَلِكَ ، وَالْجَنْبُ الْمَعْهُودُ مِنْ ذَوِي الْجَوَارِحِ لَا يَقَعُ فِيهِ تَفْرِيطٌ أَلْبَتَّةَ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ وَصْفُ الْقَدِيمِ سُبْحَانَهُ بِمَا لَا يَجُوزُ! ".

وقال أيضاً في" تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدِّين السُّبكي"(٤/ ٦٧٩) :" قوله تعالى: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، فنحمله على حقِّ الله وما يجب له أو على قريب من هذا المعنى ، ولا يتوقَّف فيه".

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن عماد الدِّين بن علي، أبو العبَّاس، شهاب الدِّين، ابن الهائم (٨١٥هـ) في" التِّبيان في تفسير غريب القرآن "(ص٢٨٤) : **﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** ، يقال: فرَّطت في جنب الله وفي ذات الله واحد. ويقال: ما فعلت في جنب حاجتي ، أي : في حاجتي، قال كثيِّر عزَّة:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وقال الإمام الفيروزآبادى(٨١٧هـ)في" بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز "(٢/ ٣٩٧) :"وقوله : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في أَمره وحدّه الَّذي حَدَّهُ لنا ".

وقال الإمام ولي الدِّين أبي زرعة أحمد بن عبد الرَّحيم العراقي (٨٢٦هـ) في" الغيث الهامع شرح جمع الجوامع"(ص٧٤١) :" قَوْلِهِ تعَالَى: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** فتَحْمِلُه علَى حَقِّ اللهِ، ومَا يَجِبُ لَهُ، أَو علَى قريبٍ مِنْ هذَا المعنَى، ولاَ يَتَوقَّفُ فِيهِ ".

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"(٦/ ١١) : **﴿يا حَسْرَتى عَلَى ما فَرَّطْتُ﴾** ، أي : قصَّرت. والتَّفريط إهمال ما ينبغي أن يقدَّم فِي جَنْبِ اللهِ . واعلم أنَّ بعض أهل التَّجسيم يحكمون بورود هذا اللفظ على إثبات هذا العضو لله سبحانه ، ولا يدري أنَّه بعد التَّسليم لا معنى للتَّفريط فيه ما لم يصر إلى التَّأويل. والصَّحيح ما ذهب إليه علماء البيان : أنَّ هذا من باب الكناية، لأنَّك إذا أثبتَّ الشَّيء في مكان الرَّجل وحيّزه وجانبه وناحيته فقد أثبتَّه كقوله:

إِنَّ السَّمَـاحَـةَ وَالْمُروءَةَ وَالنَّدى في قُـبَّةٍ ضُـرِبَت عَلَى ابنِ الحَشرَجِ

وتقول: لمكانك فعلت كذا، أي : لأجلك.

وفي الحديث «من الشِّرك الخفيِّ أن يصلّي الرَّجل لمكان الرَّجل» ، ولا بدَّ من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر، وللمفسِّرين فيه عبارات. قال ابن عبَّاس: أي : ضيَّعت من ثواب الله. وقال مقاتل: ضيَّعت من ذكر الله.

وقال مجاهد: في أمر الله. وقال الحسن: في طاعة الله. وعن سعيد بن جبير: في حقِّ الله.

وقيل: في قرب الله من الجنَّة ، من قوله : **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾**﴿النساء: ٣٦﴾ ، وقال ابن جبير: في جانب هدى الله ، لأنَّ الطَّريق متشعِّب إلى الهدى والضَّلال ، فكلٌّ واحد جانب وجنب. والتَّحقيق في المسألة أنَّ الذي يكون من لوازم الشَّيء ومن توابعه كأنَّه حدّ من حدوده وجانب من جوانبه، فلمَّا حصلت المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازماً للشَّيء وتابعاً له، لا جرم حسن إطلاق لفظ الجنب في الآية على أحد هذه المضافات. قال الشَّاعر وهو سابق البربري:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَّ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطّعُ

وقال الإمام بدر الدِّين العيني(٨٥٥هـ) في"عمدة القاري شرح صحيح البخاري"(٨/ ١٢٩) :"جرى دأب البُخَارِيّ أَنَّه يُفَسر الْكَلِمَة الغريبة من الحَدِيث إِذا وَافَقت كلمة من الْقُرْآن، وَهَذَا إِشَارَة إِلَى مَا ورد فِي الْقُرْآن: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**﴿الزمر: ٦٥﴾ . وَمَعْنَاهُ: ضيَّعت من أَمر الله، وَفِي جَمِيع الطُّرق وَقع: فرَّطت ضيَّعت من أَمر الله، وَفِي بعض النُّسخ: فرَّطت من أَمر الله، أَي: ضيَّعت، وَهَذَا أشبه" .

وقال الإمام الثَّعالبي(٨٧٥هـ) في "الجواهر الحِسان في تفسير القرآن"(٥/ ٩٨) :"وقوله: **﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، أي: في جِهَةِ طاعتهِ وتضييعِ شريعتِه والإيمانِ به، وقال مجاهدٌ: **﴿فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، أي: في أمر اللهَّ" .

وقال الإمام البقاعي(٨٨٥هـ) في "نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور"(٦/ ٤٦٣-٤٦٤) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** ، أي : بما ضيَّعت فانفرط منِّي نظامه ، وتعذَّر انضمامه والتئامه .

ولَمَّا كان حقّ كلّ أحد قريباً منه حسَّاً أو معنى حتى كأنَّه إلى جنبه ، وكان بالجنب قوام الشَّيء ولكنَّه قد يفرّط فيه لكونه منحرفاً عن الوجاه والعيان ، فيدلُّ التَّفريط فيه على نسبة المفرّط لصاحبه إلى الغفلة عنه ، وذلك أمر لا يغفر ، قال : **﴿فِي جَنْبِ﴾** ، وصرف القول إلى الاسم الأعظم لزيادة التَّهويل بقوله : **﴿اللهِ﴾** ، أي : حقِّ الملك الأعظم الذي هو غير مغفول عنه ولا متهاون به" .

وقال الإمام الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) في "تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن"(٣/ ٥١٣) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** : قصَّرت، **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** : جانبه، أي: حقِّه، أي: طاعته، وقيل في قربه" .

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) في"الإتقان في علوم القرآن"(٣/ ١٦) :" قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، فَنَحْمِلُهُ عَلَى حَقِّ اللهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ".

وقال أيضاً في " الإتقان في علوم القرآن"(٣/ ٢١) :" قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أَيْ : فِي طَاعَتِهِ وَحَقِّهِ لِأَنَّ التَّفْرِيطَ إِنَّمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ وَلَا يَقَعُ فِي الْجَنْبِ الْمَعْهُودِ ".

وقال أيضاً في"معترك الأقران في إعجاز القرآن"(٣/ ٩١) : **﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في حقِّ الله ، وقيل : في أمره، وأصله من الجنب، بمعنى الجانب، ثمَّ استعير لهذا المعنى".

وقال الإمام نعمة الله بن محمود النَّخجواني، ويعرف بالشَّيخ علوان (٩٢٠هـ) في "الفواتح الإلهيَّة والمفاتح الغيبيَّة الموضِّحة للكلم القرآنيَّة والحكم الفرقانيَّة"(٢/ ٢٥١) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** وقصَّرت **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ورعاية جانبه وحقّه في إطاعته وانقياده " .

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني الشَّافعي(٩٧٧هـ) في "السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير"(٣/ ٤٥٦-٤٥٧) : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، قال الحسن: قصَّرت في طاعة الله، وقال مجاهد: في أمر الله، وقال سعيد بن جبير: في حقِّ الله ، وقيل: ضيَّعت في ذات الله، وقيل: معناه قصَّرت في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضا الله تعالى ، والعرب تسمِّي الجانب جنباً، قال في «الكشَّاف» : هذا من باب الكناية ، لأنَّك إذا أثبتَّ الأمر في مكان الرَّجل وحيِّزه فقد أثبتَّه فيه ، ألا ترى إلى قول الشَّاعر:

إِنَّ السَّمـاحَةَ وَالْمُروءَةَ وَالنَّدى   فـي قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

أي: فإنَّه لم يصرِّح بثبوت هذه الصِّفات المذكورة لابن الحشرج بل كنَّى عن ذلك في قبَّة مضروبة عليه فأفاد إثباتها له، والقبَّة تكون فوق الخيمة تتَّخذها الرُّؤساء" .

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي(٩٨٢هـ) في "إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم"(٧/ ٢٦٠) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطَتُ﴾** ، أي : على تفريطي وتقصيري **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : جانبه وفي حقِّه وطاعتِه ، وعليهِ قولُ مَن قالَ :

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

وهو كنايةٌ فيها مبالغة ، وقيل : في ذاتِ الله على تقديرِ مضافٍ كالطَّاعة ، وقيل : في قُربِه من قوله تعالى : **﴿وَالصَّاحِبُ بالجَنْبِ﴾** ، وقُرِىء في ذكرِ الله " .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي(١٠٣٣هـ) في "أقاويل الثِّقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات "(ص١٨٢-١٨٣) :"وَمن الْمُتَشَابه الْجنب والحقو فِي قَوْله تَعَالَى: **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾**﴿الزمر ٥٦﴾ ...

قَالَ أهل التَّأْوِيل كَمَا فِي تَفْسِير الْبَيْضَاوِيّ **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فِي جَانِبه ، أَي : فِي حَقِّه وَهُوَ طَاعَته ، انْتهى . لِأَنَّ التَّفْرِيط إِنَّمَا يَقع فِي ذَلِك لَا فِي الْجنب الْمَعْهُود ، وَقَالَ الضَّحَّاك : **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فِي ذكر الله كَمَا قرئَ بِهِ .

وَقَالَ مُجَاهِد : الْمَعْنى على مَا ضيَّعت من أَمر الله ، وَالْمَعْنَى فِي الْجَمِيع مُتَقَارب .

وَعَن الْفراء **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فِي قُربه وجواره ، قَالَ : وَالْجنب مُعظم الشَّيْء وَأَكْثَره ، وَمِنْه قَوْلهم : هَذَا قَلِيل فِي جنْب مودَّتك ، وَيُقَال : مَا فعلت ذَلِك فِي جنْب حَاجَتي ، قَالَ كثير :

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(١١٢٧هـ) في "روح البيان"(٨/ ١٢٩) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** ، أي : على تفريطي وتقصيري ، فـ ما مصدريَّة ، قال الرَّاغب :

الإفراط أن يسرف في التَّقدُّم ، والتَّفريط أن يقصِّر، فإنَّ الفرط المتقدِّم [في جَنْبِ اللَّهِ] في جانبه وهو طاعته وإقامة حقِّه وسلوك طريقه ، قال في " كشف الأسرار" : العرب تسمِّي الجانب جنباً ، وقال الرَّاغب : أصل الجنب : الجارحة ، جمعه جنوب ثمَّ استُعير في النَّاحية التي تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك ، نحو اليمين والشِّمال ، وقيل : جنب الحائط وجانبه ، وقوله : ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، أي : في أمره وحده الذي حدَّه لنا ، انتهى" .

وقال الإمام ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) في "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"(٥/ ٩٥) : ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ قصَّرت. و «ما» : مصدريَّة، أي: على تقصيري وتفريطي ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، أي: جانبه وحقِّه وطاعته، أو: في ذاته، أي: معرفة ذاته، أو في قُربه، من قوله: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ ، أو: في سبيل الله ودينه، والعرب تسمِّي السَّبب الموصل إلى الشَّيء جنباً، تقول: تجرَّعت في جنبك غُصَصاً، أي: لأجلك، أو: في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضوانه، وهو توحيده والإقرار بنبوَّة نبيِّه محمَّد ﷺ . وقرىء «في ذكر الله»" .

وقال الإمام محمَّد ثناء الله المظهري (١٢٢٥هـ) في "التَّفسير المظهري"(٨/ ٢٢٨) :"الحسرة : الاغتمام ، وأصله يا حسرتى ، انقلبت الياء ألفاً في الاستغاثة ، وربَّما الحقوا به ياء المتكلِّم بعد ألف الاستغاثة ، كذلك قرأ ابو جعفر يا حسرتاي «بخلاف عن ابن وردان- أبو محمَّد» ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ ما مصدريَّة ، أي : على تفريطي وتقصيري ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، قال الحسن : أي : قصَّرت في طاعة الله ، وقال مجاهد : في أمر الله ، وقال سعيد بن جبير : في حقِّ الله ، وقيل : في ذات الله ، على تقدير مضاف ، أي : في طاعته أو في قربه ، وقيل : معناه قصَّرت في الجانب الذي يردّني إلى رضاء الله" .

وقال الإمام الشَّوكاني(١٢٥٠هـ) في"فتح القدير الجامع بين فنَّي الرِّواية والدِّراية من علم التَّفسير"(٤/ ٥٤٠) : "مَعْنَى ﴿عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ : عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَيَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ، وَالْعَمَلَ بِهِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، أَيْ: فِي ثَوَابِ اللَّهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْجَنْبُ: الْقُرْبُ وَالْجِوَارُ، أَيْ: فِي قُرْبِ اللَّهِ وَجِوَارِهِ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ جَنْبِ اللَّهِ: أَيْ فِي طَلَبِ جِوَارِهِ وَقُرْبِهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ فَرَّطْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَالْإِقْرَارِ بنبوّة رسول الله ﷺ ، وَعَلَى هَذَا فَالْجَنْبُ بِمَعْنَى الْجَانِبِ: أَيْ قَصَّرْتُ فِي الْجَانِبِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَا اللهِ، ومنه قول الشَّاعر:

النَّاسُ جَنْبٌ وَالأَمِيرُ جَنْبُ

أَيِ : النَّاسُ مِنْ جَانِبٍ وَالْأَمِيرُ مِنْ جَانِبٍ" .

وقال الإمام الألوسي(١٢٧٠هـ) في"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني"(١٢/ ٢٧٢-٢٧٣) : ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ ، أي : بسبب تفريطي- فـ على- تعليليَّة وما مصدريَّة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾﴿البقرة: ١٨٥﴾ ، والتَّفريط: التَّقصير ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، أي : جانبه، قال الرَّاغب: أصل الجنب الجارحة ثمَّ يُستعار للنَّاحية والجهة التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشِّمال، والمراد هنا الجهة مجازاً، والكلام على حذف مضاف ، أي : في جنب طاعة الله أو في حقِّه تعالى ، أي : ما يحقّ له سبحانه ويلزم وهو طاعته عزَّ وجلَّ ، وعلى ذلك قول سابق البربري من شعراء الحماسة:

أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

والتَّفريط في جهة الطَّاعة كناية عن التَّفريط في الطَّاعة نفسها ، لأنَّ من ضيَّع جهة ضيَّع ما فيها بطريق الأولى الأبلغ لكونه بطريق برهاني، ونظير ذلك قول زياد الأعجم:

إِنَّ السَّماحَةَ وَالْمُروءَةَ وَالنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

ولا مانع من أن يكون للطَّاعة وكذا حقّ الله تعالى بمعنى طاعته سبحانه جهة بالتَّبعيَّة للمطيع كمكان السَّماحة وما معها في البيت، وممَّا ذكرنا يعلم أنَّه لا مانع من الكناية كما توهم، وقال الإمام: سُمِّي الجنب جنباً لأنَّه جانب من جوانب الشَّيء، والشَّيء الذي يكون من لوازم الشَّيء وتوابعه يكون كأنَّه جند من جنوده وجانب من جوانبه ، فلمَّا حصلت المشابهة بين الجنب الذي هو العضو

وبين ما يكون لازماً للشَّيء وتابعاً له لا جرم حسن إطلاق لفظ الجنب على الحقِّ والأمر والطَّاعة انتهى. وجعلوا في الكلام عليه استعارة تصريحيَّة وليس هناك مُضاف مقدَّر، وليس بذاك.

وقول ابن عبَّاس: يريد على ما ضيَّعت من ثواب الله، ومقاتل: على ما ضيَّعت من ذكر الله ، ومجاهد والسدِّي: على ما فرَّطت في أمر الله، والحسن: في طاعة الله، وسعيد بن جبير: في حقِّ الله ، بيان لحاصل المعنى، وقيل: الجنب مجاز عن الذَّات كالجانب أو المجلس يستعمل مجازاً لربِّه، فيكون المعنى : على ما فرَّطت في ذات الله. وضُعِّف بأنَّ الجنب لا يليق إطلاقه عليه تعالى ولو مجازاً، وركاكته ظاهرة أيضاً، وقيل: هو مجاز عن القُرب ، أي : على ما فرَّطت في قُرب الله. وضُعِّف بأنَّه محتاج إلى تجوُّز آخر، ويرجع الأمر في الآخرة إلى طاعة الله تعالى ونحوها. وبالجملة لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزُّهه عزَّ وجلَّ من الجنب بالمعنى الحقيقي.

ولم أقف على عدِّ أحد من السَّلف إيَّاه من الصِّفات السَّمعيَّة، ولا أعوِّل على ما في المواقف، وعلى فرض العدّ كلامهم فيها شهير ، وكلُّهم مجمعون على التَّنزيه ، وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير".

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان القِنَّوجي(١٣٠٧هـ) في"فتحُ البيان في مقاصد القرآن" (١٣٦/١٢) : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾** ، أي : على تفريطي وتقصيري ، فـ ما مصدريَّة **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : طاعته ، قاله الحسن.

والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشَّيء المحسوسة، وإطلاق الجنب على الطَّاعة مجاز بالاستعارة حيث شبّهت بالجهة بجامع تعلُّق كلّ بصاحبه، فالطَّاعة لها تعلُّق بالله، كما أنَّ الجهة لها تعلُّق بصاحبها، وقال الضحَّاك: في ذكر الله ، ويعني به القرآن والعمل به ، وقال أبو عبيدة، : في ثواب الله، وقيل: في حقِّ الله أو في أمر الله أو في ذات الله.

وقال الفرَّاء: الجنب القُرب والجوار ، أي : في قُرب الله وجواره، ومنه قوله : **﴿وَالصَّاحِبُ بِالجَنْبِ﴾** ، والمعنى على هذا القول : على ما فرَّطت في طلب جواره وقُربه وهو الجنَّة، وبه قال ابن الأعرابي.

وقال الزجَّاج: أي : في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والإقرار بنبوَّة رسول الله ﷺ ، وعلى هذا فالجَنْب بمعنى الجانب، أي : قصَّرت في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضا الله، يقال : أنا في جنب فلان ، وفلان ليِّن الجانب والجنب ، ثمَّ قالوا: فرَّط في جنبه وفي جانبه ، يريدون : في حقِّه، وهذا من باب الكناية ، قال ابن عبَّاس في الآية : أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوا وعلمهم قبل أن يعلموا".

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني(١٣١٦هـ) في"مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" (٢/ ٣٣٧) : **﴿يا حَسْرَتى عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : يا ندامتا على تفريطي في حقِّ الله وأمره وطاعته ".

وقال الإمام القاسمي (١٣٣٢هـ) في"محاسن التَّأويل" (٨/ ٢٩٣) : **﴿يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ﴾** ، أي : قصَّرت **﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في جانب أمره ونهيه، إذ لم أتبع أحسن ما أنزل".

وقال الإمام الزُّرْقاني(١٣٦٧هـ)في"مناهل العرفان" (٢/ ٢٩٠) :"... وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرها مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقُّف ، كما في قوله تعالى: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** فنحمله على حق الله وما يجب له ".

وقال الإمام المراغي (١٣٧١هـ) في" تفسير المراغي" (٢٤/ ٢١) : **﴿فَرَّطْتُ﴾** : أي : قصرت، في جنب الله: أي : في عبادته وطاعته ".

وقال الإمام عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ) في"التَّفسير القرآني للقرآن " (١٢/ ١١٨٤) : **﴿يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** . والتَّفريط، معناه: التَّقصير، وجنب الله: هو ما لله، وما ينبغي له من طاعة وولاء من عباده ".

وقال الإمام محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي(١٣٩٣هـ) في"التَّحرير والتَّنوير «تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»"(٢٤/٤٦) :"التَّفْرِيطُ: التَّضْيِيعُ وَالتَّقْصِيرُ، يُقَالُ: فَرَطَهُ. وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ: فَرَّطَ فِيهِ. وَالْجَنْبُ وَالْجَانِبُ مُتَرَادِفَانِ، وَهُوَ نَاحِيَةُ الشَّيْءِ وَمَكَانُهُ وَمِنْهُ: **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾**﴿النِّسَاء: ٣٦﴾ ، أَي : الصَّاحِبُ الْمُجَاوِرُ.

وَحَرْفُ فِي هُنَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِتَعْدِيَةِ فِعْلِ فَرَّطْتُ فَلَا يَكُونُ لِلْفِعْلِ مَفْعُولٌ وَيَكُونُ الْمُفَرَّطُ فِيهِ هُوَ جَنْبُ اللَّهِ، أَيْ جِهَتُهُ وَيَكُونُ الْجَنْبُ مُسْتَعَارًا لِلشَّأْنِ وَالْحَقِّ، أَيْ شَأْنِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَوَصَايَاهُ تَشْبِيهًا لَهَا بِمَكَانِ السَّيِّدِ وَحِمَاهُ إِذَا أُهْمِلَ حَتَّى اعْتُدِيَ عَلَيْهِ أَوْ أَقْفَرَ، كَمَا قَالَ سَابِقٌ الْبَرْبَرِيُّ:

أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تقطّع

أَو تكون جُمْلَةَ **﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** تَمْثِيلًا لِحَالِ النَّفْسِ الَّتِي أُوقِفَتْ لِلْحِسَابِ وَالْعِقَابِ بِحَالِ الْعَبْدِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ حِرَاسَةَ حِمَاهُ وَرِعَايَةَ مَاشِيَتِهِ فَأَهْمَلَهَا حَتَّى رُعِيَ الْحِمَى وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَأُحْضِرَ لِلثِّقَافِ فَيَقُولُ: يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ سَيِّدِي. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ إِبْقَاءُ الْجَنْبِ عَلَى حَقِيقَتِهِ لِأَنَّ التَّمْثِيلَ يَعْتَمِدُ تَشْبِيهَ الْهَيْئَةِ بِالْهَيْئَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا مَوْصُولَةً وَفِعْلُ فَرَّطْتُ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ عَلَى أَحَدِ الِاسْتِعْمَالَيْنِ، وَيَكُونُ الْمَفْعُولُ مَحْذُوفًا وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمَحْذُوفُ الْعَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ، وَحَذْفُهُ فِي مِثْلِهِ كَثِيرٌ، وَيَكُونُ الْمَجْرُورُ بِ فِي حَالًا مِنْ ذَلِكَ الضَّمِيرِ، أَيْ كَائِنًا مَا فَرَّطْتُهُ فِي جَانِبِ اللَّهِ.

وَجُمْلَةُ **﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي إِنْشَاءِ النَّدَامَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ قَبُولِ مَا جَاءَهَا بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْهُدَى فَكَانَتْ تَسْخَرُ مِنْهُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ فَرَّطْتُ، أَيْ : فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَفْرِيطَ السَّاخِرِ لَا تَفْرِيطَ الْغَافِلِ، وَهَذَا إِقْرَارٌ بِصُورَةِ التَّفْرِيطِ".

وقال الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني(١٣٩٨هـ) في"بيان المعاني"(٢/٥٥٣-٥٥٤) :" إيَّاكم وما يعتذَّر منه، وهو «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» حين ترى أهوال القيامة

وفظايع العذاب ﴿يَا حَسْرَتى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، أي : حقّ الله وأمره وطاعته، وهذا ممَّا يُطلق عليه الجنب، قال القائل:

أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ   لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطّعُ

أي : الجانب المؤدِّي لرضائه ، كالتَّقصير في الطَّاعات ، ومخالفة الأوامر ، والتَّفريط في حقوق الغير ، وفي كلِّ ما يتعلَّق به حقُّ الله تعالى وحقُّ عباده وحيواناته ، لأنَّ لكلٍّ حقَّاً ".

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي(١٤٣١هـ) في"التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم"(١٢/ ٢٤٠) :"وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ في موضع المفعول لأجله بتقدير مضاف محذوف.

أي: اتَّبعوا ما أمرناكم به، واحذروا ما نهيناكم عنه، كراهة أن تقول نفس يوم القيامة يا حَسْرَتى ، أي: يا ندامتي عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ... أي: بسبب تفريطي وتقصيري في طاعة الله، وفي حقِّه تعالى .

وأصل الجنب والجانب: الجهة المحسوسة للشَّيء، وأطلق على الطَّاعة على سبيل المجاز، حيث شبّهت بالجهة. بجامع تعلُّق كلّ منهما- أي الجانب والطَّاعة- بصاحبه. إذ الطَّاعة لها تعلُّق بالله تعالى . كما أنَّ الجهة لها تعلُّق بصاحبها.

قال صاحب الكشَّاف: فإن قلت: لم نكّرت «نفس» .؟ قلت: لأنَّ المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر. ويجوز أن يكون نفس متميِّزة من الأنفس: إمَّا بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التَّكثير، كما قال الأعشى:

دَعا قَومَهُ حَولي فَجاؤوا لِنَصرِهِ   وَنادَيتُ قَوماً بِالْمُسَنّاةِ غُيَّبا

وَرُبَّ بَقيـــعٍ لَو هَتَفتُ بِجَوِّهِ   أَتاني كَريـــمٌ يَنفُضُ الرَأسَ مُغضَبا

وهو يريد: أفواجاً من الكرام ينصرونه، لا كريما واحداً ...

وجملة: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ في محل نصب على الحال. أي : فرَّطت في جنب الله وطاعته، والحال أنِّي لم أكن إلَّا من السَّاخرين بدينه، المستهزئين بأتباع هذا الدِّين الحقّ.

قال قتادة: لم يكفه أنَّه ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها".

وقال الدُّكتور عبدالملك دهيش في" رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" (٦/ ٥٦٤-٥٦٥) : ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ "ما" مصدريَّة.

قال الحسن: في طاعة الله .

وقال سعيد بن جبير: في حقِّ الله .

وقال مجاهد والزَّجَّاج: في أمر الله . وأنشدوا للسَّابق البربري:

أما تتَّقينَ اللهَ في جَنْبِ وَامِقٍ   له كبدٌ حرَّى عليكِ تَقَطَّع

وقال الفرَّاء : الجنب: القُرب، أي: على ما فرَّطت في قُرب الله وجواره. يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي: في قُربه وجواره .

فعلى هذا؛ يكون المعنى: على ما فرَّطت في طلب قُرب الله، وهو الجنة".

وقال الإمام محمَّد علي الصَّابوني في" صفوة التَّفاسير" (٣/ ٨٣) : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ جَنْبُ الله كنايةٌ عن حقِّ الله وطاعته، وهذا من لطيف الكنايات ".

وقال الأستاذ سعيد حوَّى (١٤٠٩هـ) في" الأساس في التَّفسير" (٩/ ٤٨٩٤) : ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ ، أي: في أمر الله، أو في طاعة الله، أو في ذاته، أو في طريقه: وهو توحيده والإقرار بنبوَّة محمَّد ﷺ ".

وقال الأستاذ جعفر شرف الدِّين (٢٠٠١م) في" الموسوعة القرآنيَّة، خصائص السُّوَر " (٧/ ٢٧٨-٢٧٩) :" وقوله سبحانه: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ ، وهذه استعارة. وقد اختلف في المراد بالجنب هاهنا. فقال قوم: معناه في ذات الله.

وقال قوم: معناه في طاعة الله، وفي أمر الله. لأنَّه ذكر الجنب على مجرى العادة في قولهم: هذا الأمر مغال في جنب ذلك الأمر ، أي : في جهته. لأنَّه إذا عبّر عنه بهذه العبارة دلَّ على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته.

وقال بعضهم: معنى فِي جَنْبِ اللهَّ ، أي : في سبيل الله، أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته، بل الأوصل إلى طاعاته.

ولَّما كان الأمر كلُّه يتشعَّب إلى طريقين: إحداهما هدى ورشاد، والأخرى غيّ وضلال، وكلُّ واحد منهما مجانب لصاحبه، أو هو في جانب، والآخر في جانب، وكان الجنب والجانب بمعنى واحد، حسنت العبارة هاهنا عن سبيل الله بجنب الله، على النَّحو الّذي ذكرناه".

وقال الدُّكتور عبد الهادي الفضلي في"خُلاصَةُ عِلمِ الكَلامَ" (ص٦) :" قوله تعالى : **﴿يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** في ذات اللهّ وفي طاعة اللهّ، كما يقال : ملك فلان في جنب فلان مالاً فاكتسب جاهاً".

وقال الأستاذ محمَّد بكر إسماعيل (١٤٢٦هـ) في" دراسات في علوم القرآن "(ص١٩٣) :" قوله تعالى: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ﴾** ، فالمراد بجنب الله حقَّه وما يجب له، كما تقتضيه لغة العرب، ليس له معنى يجب أن يُحْمَل عليه غيره ".

وقال الدُّكتور مصطفى ديب البغا ورفيقه في"الواضح في علوم القرآن" (ص١٣١) :" قوله تعالى: **﴿يَا حَسْرَتى عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ﴾**﴿الزمر:٥٦﴾ فنحمله على حقِّ الله تعالى وما يجب له ".

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

عَقِيْدَةُ بَعْضِ المُتَسَلِّفَةِ فِي الجَنْب

ابتليت الأمَّة الإسلاميَّة منذ القرن الرَّابع الهجري بفئام من النَّاس خالفوا مجموع الأمَّة وتنكَّبوا سبيل المؤمنين ، وزيَّنوا منهجهم باتِّباع السَّلف والسَّلف منهم براء ... فقد أثبتوا لله تعالى الأعضاء والجوارح بظواهر كثيرة من الآيات الكريمة والأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة، وهم بذلك مخالفون لما أجمعت عليه الأمَّة من وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ...

قال الإمام الزَّبيدي في "إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين "(٢/١٠٩) : "وقد نبغت نابغةٌ من الرّعاع لولا استزلالهم للعوام بما يقرُب من أفهامهم ويتصوَّر في أوهامهم لأجللت هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم ، يقولون : نحن نأخذ بالظَّاهر ونُجري الآيات الموهمة تشبيهاً والأخبار المقتضية حدَّاً وعضواً على الظَّاهر ، ولا يجوز أن نطرُقَ التَّأويل إلى شيء من ذلك ، ويتمسَّكون بقول الله تعالى : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلَّا الله**﴾ ، وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضرّ على الإسلام من اليهود والنَّصارى والمجوس وعبدة الأوثان ، لأنَّ ضلالات الكفَّار ظاهرة ، يتجنَّبها المسلمون ، وهؤلاء أتوا الدِّين والعوام من طريق يغترُّ به المُستضعفون ، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع ، وأحلُّوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح ، والرُّكوب والنُّزول ، والاتِّكاء والاستلقاء ، والاستواء بالذَّات ، والتَّردُّد في الجهات ، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيُّل المحسوسات ، فاعتقد الفضائح ، فسال به السَّيل وهو لا يدري اهـ .

ثمَّ ذكر المصنِّف المُحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتَّمكُّن ، فقال : هو (كون المتمكِّن جسماً مماسَّاً للعرش إمَّا مثله أو أكبر منه أو أصغر ، وذلك مُحال ، وما يؤدِّي إلى المُحال مُحال) . وتحقيقه : أنَّه تعالى لو استقرَّ على مكان أو حاذى مكاناً لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه ، فإن كان مثل المكان فهو إذاً متشكِّل بأشكال المكان ، حتَّى إذا كان المكان مربَّعاً كان هو مربَّعاً أو كان مثلَّثاً كان هو مثلَّثاً ، وذلك مُحال ، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على

المكان ، ويشعر بذلك بأنَّه متجزِّئ وله كلٌّ ينطوي على بعض ، وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنَّه رُبعه أو خُمسه ، وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدْر لم يتميَّز عن ذلك المكان إلَّا بتحديد وتطرَّق إليه المساحة والتَّقدير ، وكلُّ ما يؤدِّي إلى جواز التَّقدير على البارئ تعالى فتجوّزه في حقِّه كفرٌ من معتقده ، وكلُّ مَنْ جاز عليه الكون بذاته على محلٍّ لم يتميَّز عن ذلك المحل إلَّا بكون وقبيح وصف البارئ بالكون ، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسَّته جاز عليه مباينته ، ومن جاز عليه المباينة والمماسَّة لم يكن إلَّا حادثاً . وهل علمنا حدوث العالم إلَّا بجواز المماسَّة والمباينة على أجزائه ، وقصارى الجهلة قولهم : كيف يُتصوَّر موجود لا في محلّ ؟!! وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها إلَّا كلُّ غوَّاص على بحار الحقائق ، وهيهات طلب الكيفيَّة حيث يستحيل مُحال .

والذي يدحض شبههم أن يُقال لهم : قبل أن يخلق العالم أو المكان ، هل كان موجوداً أم لا ؟ فمِنْ ضرورة العقل أن يقول : بلى ، فيلزمه لو صحَّ قوله لا يعلم موجوداً إلَّا في مكان أحد أمرين :

إمَّا أن يقول : المكان والعرش والعالم قديم ، وإما أن يقول : الرَّبُّ تعالى مُحدث ، وهذا مآل الجهلة والحشويَّة ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم ، ونعوذ بالله من الحيرة في الدِّين" .

وقال الإمام ابن الجوزي في " دفع شبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه "(ص١٤٠) :"ومنها قوله تعالى : **﴿يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾** ، أي : في طاعته وأمره ، أي : لأنَّ التَّفريط لا يقع إلَّا في ذلك ، وأمَّا الجنْب المعهود من ذي الجوارح فلا يقع فيه تفريط .

وقال ابن حامد : نؤمن بأنَّ لله تعالى جنباً بهذه الآية .

قلت : وآعجباً من عدم العقول إذا لم يتهيَّأ التَّفريط في جنب مخلوق كيف يتهيَّأ في صفة الخالق ، وأنشد ثعلب وفسَّره :

خَلِيلَيَّ كُفَّا واذكُرَا اللهَ فِي جَنْبي

أي : في أمري".

وقال أيضاً في "دفع شُبه التَّشبيه بأكفِّ التَّنزيه"(ص٢٣١) : "قال ابن حامد : ... وكذلك نؤمن بأنَّ لله جنباً لقوله تعالى : **﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر:٥٦﴾ .

قلت : وهذا لا فهم له أصلاً ، كيف يقع التَّفريط في جنب الذَّات ؟" .

وقال الإمام الذَّهبي في " سير أعلام النُّبلاء"(١٧/ ٥٦٩) في ترجمة أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الطَّلَمَنْكِيُّ الأَثَرِيُّ !!! :" رَأَيْت لَهُ كِتَاباً فِي السُّنَّة فِي مُجَلَّدين عَامَّتُه جَيِّد، وَفِي بَعْض تَبْوِيبه مَا لاَ يُوَافَقُ عَلَيْهِ أَبَداً مِثْل: بَاب الجَنْب لله، وَذكر فِيْهِ: **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزُّمر:٥٦﴾ ، فَهَذِهِ زَلَّةُ عَالِمٍ" .

وقال الإمام ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة"(٥/ ٤٦٩) : "ولهذا تنازعوا في إثبات ذلك صفة لله ، قال القاضي أبو يعلى : فأمَّا قوله تعالى : **﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** الآية ، فحكى شيخنا أبو عبد الله في كتابه عن جماعة من أصحابنا الأخذ بظاهر الآية في إثبات الجنب صفة لله تعالى !! قال : ونقلت من خطِّ أبي حفص البرمكي ، قال ابن بطة: قوله بذات الله أمر الله، كما تقول : في جنب الله ، يعني : في أمر الله ، قال القاضي : وهذا منه يمنع أن يكون صفة لذات ، وهو الصَّحيح عندي ، وأنَّ المراد بذلك التَّقصير في طاعة الله تعالى ، والتَّفريط في عبادته ، لأنَّ التَّفريط لا يقع في جنب الصِّفة ، وإنَّما يقع في الطَّاعة والعبادة ، وهذا مُستعمل في كلامهم : فلان في جنب فلان ، يريدون بذلك في طاعته وخدمته والتَّقرُّب منه ، ويبيِّن صحَّة هذا التَّأويل ما في سياق الآية **﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** ، **﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** ، وهذا كلُّه راجع إلى الطَّاعات" .

وقال المدعو عبد الرَّحمن بن صالح المحمود في "تيسير لمعة الاعتقاد"(ص٩١) : (الجَنْب) الواردة في قوله تعالى : **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**﴿الزمر:٥٦﴾ فبعض السَّلف قال : نأخذ منها إثبات صفة الجنب لله ، وبعضهم قال :سياق الآية يدلُّ على أنَّ المعنى : على ما فرَّطت في حقِّ الله وطاعته، ولم تأت هذه الآية لبيان الصِّفة، وكلا القولين فيه حقٌّ؛ لأنَّ الذين قالوا نثبت منها الصِّفة قالوا : نعم نحن معكم أنَّ سياق الآية يدلُّ على أنَّ معناها : ما فرَّطت في حقِّ الله

وطاعة الله ، وهذا واضح الدّلالة جدّاً، وهلو أراد إنسان أن يشرح هذه الآية وقيل له : ما معنى قول تلك النَّفس في قول الله تعالى : ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ**﴾ لفسَّرها بأنَّها تتحسَّر على ما فرَّطت في الإيمان بالله ، وطاعة الله، من الصَّلاة ، والعبادة وغير ذلك، ويكون تفسيره صحيحاً .

لكن من قال : إنَّه يؤخذ منها صفات . قال : إنَّه لا يأتي التَّعبير بالنِّسبة لله سبحانه وتعالى إلَّا بما يصحُّ أن يوصف الله به، ومن ثمَّ قال : ﴿**عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ**﴾ تدلُّ على المعنى الذي دلَّ عليه سياق الآية، وأيضاً نستفيد منه أنَّ لله جنباً يليق بجلاله وعظمته ، ولا فرق بين الجنْب ، والسَّاق ، والقَدَم، والرِّجْل ، والوجه، واليدين ، والعين، وهذه الصِّفات دلَّت عليها أدلَّة صريحة صحيحة، بعضها في كتاب الله وبعضها في سُنَّة رسول الله " .

وأختم بأقوال بعض أهل العلم في كلامهم عمَّن أجرى ألفاظ المتشابه على ظاهر المعنى ...

قال الإمام أبو بكر بن العربي(٥٤٣هـ) في كتابه الرَّائع الماتع : " العواصم من القواصم "(ص٢١٣) ، فقد قال في كلامه عن الحشويَّة الذين يُجرون الألفاظ المتشابهة على ظاهر معناها :"فينبغي أن تعلموا أنَّ هذه الطَّائفة في حفظ ظاهر هذه الأخبار، لا يقال: إنَّها بنت قصراً، أو هدمت مصراً، بل هدمت الكعبة، واستوطنت البيعة، وحذار أن تنشؤوا معهم دليلاً، ولا تستأنفوا معهم من الكلام نقيراً ولا فتيلاً ، فليسوا لذلك أهلاً، ولا ينجع فيهم أن ينشر ذلك معهم، إلَّا أن تدخل إليهم من بابهم، وهو أيسر طريق إليهم في الكشف لضلالهم ، ولا تلتزم معهم مذهباً إلا أن تُبطل رأيهم، ولا يظهر لك اعتقاد إلَّا ردّ الكلام إلى القرآن والسُّنَّة، وما أجمعت عليه هذه الأمَّة، وهو قد خالفوا الكلّ، فالمهم إفساد مقالتهم، وبيان ضلالتهم، فيقال لهم: ما لكم أصحاب إلَّا اليهود، فإنَّها ألفت في التَّوارة: حين خلق الله السَّموات والأرض، ذكر فيه أنَّ خلقها في ستَّة أيَّام، واستراح يوم السَّبت، فكذبهم الله في قوله فقال: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ق:

٣٨﴾ فأخذوا لفظ الرَّاحة بظاهره، وهو إعفاء النَّفس من كدِّ التَّعب، بعد تسخيرها فيه، واعتقدته بحاله فكفَّرهم الله، وكذَّبهم".

وقال الإمام تقي الدِّين أبي بكر الحصني الشَّافعي الدِّمشقي(٨٢٩هـ) في مقدِّمة كتابه الطيِّب : "دَفْعُ شُبَهِ مَنْ شَبَّهَ وَتَمَرَّد وَنَسَبَ ذَلكَ إِلَى السَّيِّدِ الجَليْل الإِمَامِ أَحْمَد":"وبعد: فإنَّ سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمني من الحيْرة من أقوام أخباث السَّريرة؛ يظهرون الانتماء إلى مذهب السيِّد الجليل الإمام أحمد؛ وهم على خلاف ذلك والفرد الصَّمد، والعجب أنَّهم يعظِّمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقيَّة الأئمَّة، وهم أكفر ممَّن تمرَّد وجحد، ويربطون عقول العوام وضعفاء الطَّلبة بالتَّمويه الشَّيطاني ، وإظهار التَّعبُّد والتَّقشُّف ، وقراءة الأحاديث ، ويعتنون بالمسند، وكلُّ ذلك خزعبلة منهم وتمويه . فقد انكشف أمرهم حتَّى لبعض العوامّ . وبهذه الأحرف يظهر الأمر إن شاء الله تعالى لكلِّ أحد إلَّا لمن أراد الله عزَّ وجلَّ إضلاله وبقاءه في العذاب السَّرمد ...

ثم تكلَّم على بعض مجسِّمة الحنابلة ، فقال : "ومنهم ابن حامد والقاضي تلميذه والزَّاغوني وهؤلاء ممَّن ينتمي إلى الإمام أحمد ، وتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده ممَّا ذكرت بعضه ، وبالغوا في الافتراء إمَّا لجهلهم ، وإمَّا لضغينة في قلوبهم ، كالمغيرة بن سعيد ، وأبي عبد الله محمَّد الكرَّامي ، لأنَّهم أفراخ السَّامرة في التَّشبيه ، ويهود في التَّجسيم ، وحرق المغيرة ومعه خمسة من أتباعه ، كما أذكره من بعد " .

وقال الإمام اليافعي(٧٦٨هـ) في كتابه الطيِّب : "مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبَه والرَّدِّ على المعتزلة : " ومتأخِّرو الحنابلة غلوا في دينهم غلوّاً فاحشاً ، وتسفَّهوا سفهاً عظيماً ، وجسَّموا تجسيماً قبيحاً ، وشبَّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً ، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة ؛ حتى قال أبوبكر ابن العربي في (العواصم) : "أخبرني من أثق به من مشيختي ، أنَّ القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظَّواهر في صفاته تعالى : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلَّا اللحية والعورة . قال أئمَّة بعض أهل الحقّ : وهذا كفرٌ قبيحٌ ، واستهزاء بالله تعالى شنيع ، وقائله جاهل

به تعالى ، لا يُقتدى به ولا يُلتفت إليه ، ولا هو متَّبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتستَّر به ؛ بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام ؛ فإنَّه ما عبَد الله ولا عرفه ، وإنَّما صوَّر صنماً في نفسه ، فتعالى الله عمَّا يقول الملحدون والجاحدون علوَّاً كبيراً " .

ومثل ما نقله ابن العربي عن أبي يعلى هذا ، منقول في كتب الملل والنِّحل عن داود الجواربي ، تعالى الله عن ذلك . ثمَّ قال اليافعي : " ولقد أحسن ابن الجوزي من الحنابلة حيث صنَّف كتاباً في الرَّدِّ عليهم ، ونقل عنهم أنَّهم أثبتوا لله صورة كصورة الآدمي في أبعاضها ، وقال في كتابه : " دفعُ شُبَه التَّشبيه " : هؤلاء قد كَسوا هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى صار لا يُقال عن حنبلي إلَّا مجسِّم ، قال : وهؤلاء متلاعبون !!! وما عرفوا الله ولا عندهم من الإسلام خبر ولا يحدِّثون ، فإنَّهم يُكابرون العقول ، وكأنَّهم يحدِّثون الصِّبيان والأطفال ، قال : وكلامهم صريحٌ في التَّشبيه ، وقد تبعهم خلقٌ من العوام ، وفضحوا التَّابع والمتبوع " . انظر : السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السبكي ، (ص١٣٠-١٣١) ، وبهامشه (تكملة الردّ على نونية ابن القيّم للكوثري) ، مكتبة زهران ، القاهرة .

ومن المؤسف حقَّاً أن يقوم القائمون على المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من كتاب : " مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبه والرَّدِّ على المعتزلة " ، وهذه خيانة من خياناتهم العلميَّة وما أكثرها ، حتى أنَّني أجزم أنَّ من أهم الأسباب التي دعتهم لإصدار المكتبة الشَّاملة هو : العبث بكتب أهل العلم ، كي توافق هواهم وعقائدهم ، ولكن هيهات ، فإنَّ للحقِّ رجال وخدَّام ، يأبى الله تعالى إلَّا أن يسخِّرهم ويستخدمهم لكشف مخازي القوم وسقطهم وخياناتهم على مدى الزَّمان ...

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي(٧٧١هـ) في "طبقات الشَّافعيَّة الكبرى"(٨/ ٢٢٢-٢٢٣) :" ...والحشويَّة المشبِّهة الَّذين يشبِّهون الله بخلقه ضَرْبَان :

أَحدهمَا : لَا يتحاشى من إِظْهَار الحشو **﴿وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُم عَلَى شَيْء أَلَا إِنَّهُم هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾** .

وَالْآخر : يتستَّر بِمذهب السَّلف لسُحتٍ يَأْكُلهُ أَو حطام يَأْخُذهُ .

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ نُسْكَاً وَعَلَى الْمَنْقُوْشِ دَارُوا

﴿يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَأْمَنُوْكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ ، وَمذهب السَّلف إِنَّمَا هُوَ التَّوْحِيد والتَّنزيه دون التَّجسيم والتَّشبيه ، وَلذَلِك جَمِيع المبتدعة يَزْعمُونَ أَنَّهم على مَذْهَب السَّلف فهم كَمَا قَالَ الْقَائِل :

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

وَكَيف يدّعى على السَّلف أَنَّهم يَعْتَقِدُونَ التَّجسيم والتَّشبيه أَو يسكتون عِنْد ظُهُور الْبدع ، ويخالفون قَوْله تَعَالَى : **﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** ، وَقَوله : **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾** ، وَقَوله: **﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** ، وَالْعُلَمَاء وَرَثَة الْأَنْبِيَاء ، فَيجب عَلَيْهِم من الْبَيَان مَا وَجب على الْأَنْبِيَاء .

وَقَالَ تَعَالَى : **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** ، وَمن أنكر الْمُنْكَرَات : التَّجسيم والتَّشبيه ، وَمن أفضل الْمَعْرُوف : التَّوْحِيد والتَّنزيه ، وَإِنَّمَا سكت السَّلف قبل ظُهُور الْبدع ، فَوَرَبِّ السَّمَاء ذَات الرَّجع وَالْأَرْض ذَات الصَّدع لقد تشمَّر السَّلف للبدع لَمَّا ظَهرت ، فقمعوها أتمَّ القمع ، وردعوا أَهلهَا أَشدَّ الرَّدع ، فَردُّوا على الْقَدَرِيَّة والجهميَّة والجبريَّة وَغَيرهم من أهل الْبدع ، فجاهدوا فِي الله حقَّ جهاده ز

وَالْجِهَاد ضَرْبَان : ضرب بالجدل وَالْبَيَان ، وَضرب بِالسَّيْفِ والسِّنان ، فليت شعري فَمَا الْفرق بَين مجادلة الحشويَّة وَغَيرهم من أهل الْبدع ، وَلَوْلَا خُبث فِي الضَّمائر ، وَسُوء اعْتِقَاد فِي السَّرائر ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ﴾ ، وَإِذا سُئِلَ أحدهم عَن مَسْأَلَة من مسَائِل الحشو أَمر بِالسُّكُوتِ عَن ذَلِك ، وَإِذا سُئِلَ عَن غير الحشو من الْبدع أَجَاب فِيهِ بِالْحَقِّ ، وَلَوْلَا مَا انطوى عَلَيْهِ بَاطِنه من التَّجسيم والتَّشبيه لأجاب فِي مسَائِل الحشو بِالتَّوْحِيدِ والتَّنزيه . وَلم تزل هَذِه الطَّائِفَة المبتدعة قد ضُربت عَلَيْهِم الذلَّة أَيْنَمَا ثقفوا ، **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادَاً وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ﴾** ، لَا تلوح لَهُم فرْصَة إِلَّا طاروا إِلَيْهَا ، وَلَا فتْنَة إِلَّا أَكَبُّوا عَلَيْهَا" .

وقال أيضاً في " طبقات الشافعية الكبرى"(٢/ ١٧) : "...فَهَذِهِ عقيدتهم ، ويرون أَنَّهم الْمُسلمُونَ وَأَنَّهُمْ أهل السُّنَّة ، وَلَو عُدُّوا عدداً لما بلغ علماؤهم وَلَا عَالم فيهم عَلَى الْحَقِيقَة مبلغاً يعْتَبر ، ويكفِّرون غَالب عُلَمَاء الْأمة ، ثمَّ يعتزُّون إِلَى الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل ﷺ ، وَهُوَ مِنْهُم برِئ ، وَلكنه كَمَا قَالَ بعض العارفين ورأيته بِخَط الشَّيْخ تقى الدِّين ابْن الصَّلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما وهما بريان مِنْهُم : أَحْمد ابْن حَنْبَل ابْتُلِيَ بالْمُجَسِّمَة ، وجعفر الصَّادِق ابْتُلِيَ بالرَّافضة" .

وقال الإمام أحمد بن زيني دحلان في "فتنة الوهَّابيَّة"(ص٣) في كلامه عن الوهَّابيَّة : "فلمَّا وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسَّكوا به، ردَّ عليهم علماء الحرمين، وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقَّق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ، ووجدوهم مسخرة، كحُمُرٍ مستنفرة ، فرَّت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفِّرات ، فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجَّة عند قاضي الشرَّع بمكَّة تتضمَّن الحكم بكفرهم" .

قال الإمام أحمد بن محمد الصَّاوي المالكي(١٢٤١هـ) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾**﴿فاطر : ٦﴾: "وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا إنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " . انظر : حاشية الصاوي على الجلالين ، الصاوي (٥/ ٧٨) ، طبعة جديدة محققة على نسخة خطية للجلالين .

وقد عَمَدَ المتسلِّفون إلى شطب هذه الفقرة من حاشية الصَّاوي على الجلالين ، من طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى(١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! محمد عبد السَّلام شاهين ، حيث حرَّفوا النصَّ ليُصبح كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل

الكتاب والسنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي محمد الضبَّاع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : (وهم فرقة بأرض الحجاز ... يحسبون أنَّهم) . فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نقطاً ، فإلى الله المشتكى من قوم لا يستحون ولا يرعوون ...

وقال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) صاحب حاشية "ردُّ المحتار على الدُّرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة"، في حاشيته عنهم : "مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّدْ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا . قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا ﷺ) عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّى الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَى سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّد ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، ابن عابدين (٤/ ٢٦٢) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

قلت : قام الوهَّابيَّة بحذف هذه الفقرة وشطبها من حاشية ابن عابدين من النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ، كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " كاملاً من النُّسخة نفسها ...

فإلى الله المشتكى ...

وفي النُّسخة التي طبعتها دار الفكر ببيروت ، شطبوا اسم محمد بن عبد الوهَّاب ...للإيهام ...واكتفوا باسم أبيه ، فقالوا : " ... كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : ردُّ المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (٤/ ٢٦٢) ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

وهذا هو ديدنهم ، وصنيعهم مع كلِّ ما لا يتوافق مع منهجهم ومعتقدهم ...

وجاء في ترجمة عبد الوهَّاب والد محمَّد بن عبد الوهَّاب ، التي ذكرها الإمام محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكَّة (١٢٩٥هـ) في كتابه : "السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة " : "وهو والد محمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررها في الآفاق ، لكن بينهما تباين مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضبان على ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من محمَّد من الشَّر ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ محمَّد كان منافياً له في دعوته ، وردَّ عليه ردَّاً جيِّداً بالآيات والآثار ، لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً كائناً من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ، فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم ، وسمَّى الشَّيخ سليمان ردَّه على أخيه : " فصل الخطاب في الردِّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب " وسلَّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحدٌ وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة ، يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السُّوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله !!! وقيل

: إنَّ مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسَّلاح ، فأمر محمَّدٌ أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأُدخل عليه فلمَّا رءاه الشَّيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السَّيف من يده وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنَّك من الآمنين ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات " . انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، محمد بن عبد الله النجدي الحنبلي ، (ص٢٧٥-٢٧٦) ، مكتبة الإمام أحمد ، ط١ ، ١٩٨٩م .

وقال عنهم الإمام سلامة القضاعي العزَّامي الشَّافعي(١٣٧٦هـ) في "فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان"(ص٥) : "وقد تزيَّن هؤلاء للعامَّة بدعوى الانتساب إلى السَّلف، والأخذ بالكتاب والسُّنَّة، وساعدهم على رواج دعواهم انتشار الجهل بين النَّاس، وعدم علمهم بما كان عليه السَّلف الصَّالح، وقلَّة تفقُّههم في أصول الدِّين وفروعه، كما هو الشَّأن عند اقتراب السَّاعة جداً".

وقال عنهم أيضاً في " فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان "(ص١١) :"... واستغلَّ أولئك النَّفر جهل كثير من أهل العصر بتاريخ هذه الفرق الجاهلة، فأوهموا النَّاس أنَّهم يمثِّلون السَّلف الصَّالح من الصَّحابة ومن بعدهم من التَّابعين لهم بإحسان، والتَّاريخ يشهد ، والعلم بكتاب الله ينادي أنَّهم ما مثَّلوا إلَّا سلف سوء من أشياخ المشبِّهة وأئمَّة المجسِّمة، الذين يفسِّرون الكتاب بأهوائهم، ويحملون السُّنَّة على آرائهم، ويتقوَّلون على معاني كتاب الله، ويضعون على رسول الله، ويأخذون بالضَّعيف إذا وافق منهم هوى، ويردُّون الصَّحيح أو يشكِّكون في صحَّته إذا كان حجَّة عليهم" .

وقال الإمام محمَّد عبده(١٩٠٥م) في المجلَّد الخامس من مجلَّة المنار : "ولكن هذه الفئة أضيق عطنًا وأحرج صدرًا من المقلِّدين ، وإن أنكرت كثيرًا من البدع ، ونحَّت عن الدِّين كثيرًا ممَّا أضيف إليه وليس منه. فإنَّها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد، والتَّقيد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدِّين" . وانظر كتاب : الإسلام والنصرانية (ص٩٧) .

فِهْرِسُ المَوْضُوْعَات